

...بع والعاشر — السنة الثامنة — ربيع الاول والثاني 1385 يوليوز و غشت 1965

في هــذا العــدد

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
المملكة المغربية - الرباط

ثمن العدد درهم واحد

العدد التاسع والعاشر
السنة الثامنة
ربيع الأول - ربيع الثاني
1385
يوليوز - غشت
1965
ثمن العدد : درهم واحد

دعوة الحق

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » – قسم التحرير – وزارة عموم الاوقاف
الرباط – المغرب . الهاتف 10 – 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 – 485 – الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » – قسم التوزيع – وزارة عموم الاوقاف – الرباط – المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » – قسم التوزيع – وزارة عموم الاوقاف – الرباط
تليفون 308.10 – 327.03 – الرباط



بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة العربي الثالث
بمدينة الدار البيضاء

ان مؤتمر القمة للدول العربية سيعقد دورته المقبلة ببلادنا وسيكون مقر المؤتمر مدينة الدار البيضاء التي سجلت صفحات خالدة في تاريخ الكفاح الوطني ضد الاستعمار والمستعمرين وانجبت من الابطال ما جعلها تحتل مكانة مرموقة بين عواصم العالم العربي . وبهذه المناسبة سيستقبل المغرب ملوك ورؤساء الدول العربية وبمعيتهم الشخصيات اللامعة التي توجه السياسة العربية ، كما سيتقاطر على بلادنا مئات الصحافيين من العالم باسره لاخذ لقطات وارتسامات عن هذا المؤتمر الذي يعد بحق حدثا تاريخيا هاما في نهاية هذه السنة وقبيل افتتاح الدورة المقبلة للامم المتحدة .

ومما لا شك فيه ان محادثات المؤتمر ومقرراته ستصطبغ بطابع الجدية والفعالية وستكون مناسبة لتصفية الجو وبعث الشعور بالقومية العربية في قالب يتفق مع ما تقتضيه الارادة الطيبة التي عبر عنها الملوك والرؤساء في مناسبات سابقة والتي ترمي الى البحث عن نقط ارتكاز تتبلور حولها المصالح المشتركة في الميادين الثقافية والاقتصادية والتجارية يضاف الى ذلك احكام الخطة لاحباط مساعي الاستعمار المقنع والمكشوف والدفاع عن الاراضي المغتصبة من الوطن العربي واسترجاع فلسطين وانصاف ابنائها البررة الذين شردوا وعذبوا واخرجوا من ديارهم .

ومما لا شك فيه ان مداولات المؤتمر ستتسم بالصراحة والبحث عن الحلول الواقعية التي لا ترتكز على العواطف وحدها .

ونحن نعتقد ان خطاب جلالة الملك الحسن الثاني ايده الله ونصره وجميع تدخلاته اثناء المناقشات ستكون صريحة وواقعية بناءة تتضمن الحلول الناجعة للقضايا المعروضة على بساط الدرس وستحظى بتجاوب تام مع اراء ملوك ورؤساء الدول العربية الشقيقة وستنبثق من هذا كله مقررات تكون في مستوى الاحداث وتضمن للعالم العربي الانطلاقة التي طالما ترقبها ليسير سيرا حثيثا نحو المجد والرقي والسعادة .

ويسر مجلة دعوة الحق بهذه المناسبة ان تحيي جميع الملوك والرؤساء الذين سيحلون ببلادنا وجميع من يرافقهم من الوزراء والشخصيات كما نرفع تحياتنا الى الصحافيين الذين يزورون المغرب بهذه المناسبة ونتمنى للجميع مقاما طيبا في ربوع قطرنا كما نضرع الى الله العلي القدير ان يجعل التوفيق والنجاح حليف هذا المؤتمر ويحقق به ءامال العروبة والاسلام انه سميع مجيب .

كلمة العدد

دعوة الحق

في افتتاحية العدد الاول من هذه السنة ، تحدثنا عن عزمنا الاكيد على تركيز هذه المجلة التي تصدرها وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية لاداء رسالتها الاسلامية والثقافية ، وقلنا انذاك :

(أن هذه المجلة بهمم قرائها وكتابها لن تشتكي بعد اليوم فقرها في الانتاج القيم ، والغذاء الصالح ، وأملها ان يهب علماء الاسلام في كل قطر من اقطاره لرفع رايتـــه ، واعلاء كلمة « الحق ») .

ولقد استطاع القراء ، في كل مكان ، ان يلحظوا مدى الجهد الموصول الذي بذل لجعل هذه المجلة ، التي بقيت على المستوى المعهود ، الذي يتسم باصالة الفقه ، وعمق النظر ، وغزارة الفائدة ، ملتقى أقطاب الفقه والادب ، الذين يتنامى عددهم للاسهام في حقولها ، مستشعرين الشجاعة في مواطن « الحق » وحين الباس ، لتصحيح الزائف ، وتقويم المعوج ...

ولا غرو ، فقد انبثقت هذه المجلة الى الوجود وهي تحمل « دعوة الحـــق » واسست على الهدى من أول يوم ، وظلت اوسع دائرة للتثقيف والتوجيه ، تنير الاذهان ، وتهذب الافكار ، وتحمل سريرة طيبة صافية وقصارى جهدها ان تعمل على نشر آداب الاسلام ، واظهار حقائقه ، نقية من كل لبس ، واضحة من كل غموض ، تقـــذف « بالحق » على الباطل فيدمغه ، فاذا هو زاهق ، كما كان رائدها الكشف عما الحق بالدين من بدع ومحدثات ، مقررة حقائقه على وجهها الصحيح ، داعية الى الفلاح بالتي هي ارفق ، وادعى الى القبول .

وقد حرصت منذ ان كانت على تمتين الصلات الروحية والفكرية بين اعضائها في الشرق والغرب ، وهكذا ، فقد استقطبت حولها صفوة مختارة من الباحثين ، ومجموعة من رجال الفكر والادب ، الذين اذكوا روح البحث والدرس في هذه البلاد ، وكشفوا للعقل آفاق المعرفة ، ونهجوا للنفس طرائق الكمال ، محاولين انتشال هذا الوطـــن الغالي من ضروب التفسخ والانحلال ، عاملين على حركة البعث والنشور ، فاجتثوا

شجرة هذه الادواء ، أو كادوا ، وارسلوها (كلمة طيبة ، كشجرة طيبة ، أصلها ثابت ، وفرعها في السماء) كانت غذاء القلب ، وطمانينة الروح ، ومبعث حرارة تبعث الدفء في القلوب ، فتدفعها الى الامام ، وتملأها بالامل والرجاء ، مما شيد لهذه المجلة ، التي تعمل لاقرار الحياة الفكرية على قواعد ثابتة ، واصول منتجة ، صرح مجدها خلال هذه السنوات الثمان التي تعتبر تاريخ نهضة ، وثرات فكر انساني خلاق .

كما انها قاومت البدع والاوهام ، وما لفق ضد الاسلام من ترهات واباطيل ، وانكر من بديهيات وحقائق ، وكشفت الغطاء عن السرائر ، ممن بدت البغضاء من افواههم ، وما تخفي صدورهم أكبر ، فيذهب الباطل زاهقا ، وتبقى كلمة « الحق » هي العليا .

واهتمت بما يحيط بهذا العصر من مشكلات عقلية ، ومعضلات ذوقية ، فحللتها تحليلا علميا على ضوء التفكير القوي القويم ، والتعبير الدقيق المهذب ، اللذين يتمشيان وروح الاسلام ، ومقتضيات التطور ، حتى لا يبقى الفكر الاسلامي في عزلة عن أيـــة مشاركة في تيار الحياة العالمية ، لان أحوال العالم — كما أراد الله — في تجدد مستمر ، وحاجات الناس في توسع مطرد ، وعقولهم في نمو متكامل ، فشرائعهم لا تقف بهم عند وضع واحد ، والا كانت الحياة جامدة هامدة ، ولامر ما يبعث الله على راس كل مائة سنة من يجدد لهذه الامة أمر دينها .

ونعترف بالعجز والتقصير عن مخاطبة جميع الذين آزرونا بالعون ، وآثرونـــا بالعطف ، وأمدونا بمنتوجهم الفكري ، وابحاثهم ودراساتهم ، او بتوجيهاتهم الرشيدة ، القمينة بالاكبار والاجلال ، وقد دفعتهم الغيرة والحمية على حقائق الاسلام أو القضايا الانسانية ، والشؤون الفكرية أو الادبية ، فلهم منا أصدق الشكر وأوفر الثناء .

واذا كان لابد من رد الفضل الى أهله ، والمكرمات الى منابعها ، فانه يجب هنا ان نسجل بكامل الفخر والاعتزاز ذلكم التشجيع الذي يوليه مولانا صاحب الجلالة الملك الصالح الحسن الثاني حفظه الله لهذه المجلة التي هي قبس من نور هديه ، ومـــرآة صافية من تربيته القومية ، وثقافته الاصيلة ، وخلقه السجيح ، ورقيه الصحيح .

وكما عودنا سبحانه التوفيق في البدء ، والنجاح في المسعى ، فانه سيقوي عزمنا لتحقيق الرسالة السامية التي يضطلع باعبائها قادة الرأي والنظر في هذه الامة المسلمة ، وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا .

دعوة الحق

دراسات إسلامية

قصة الإيمان بين العلم والفلسفة

للشيخ طه الولي

بعث الشيخ طه الولى سكرتير عام جمعية المكتبات اللبنانية فى بيروت كلمة قيمة كان قد ارسلها الى صديقه سماحة الاستاذ الشيخ نديم الجسر مفتي طرابلس ولبنان الشمالي فى تحليل كتابه القيم : ((قصة الايمان بين العلم والفلسفة والقرآن))

وقد ارسل الينا فضيلة الشيخ طه الولي بنص هذه الكلمة التي خص مجلتنا بنشرها ؟

فله منا بالغ الشكر .

((دعوة الحق))

السلام عليكم ورحمة الله وبعد .

لم يخالجني ادنى ريب عندما اقبلت على مطالعة كتابكم القيم ، ((قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن)) انني بين يدي دراسة عميقة ومركزة تهدف الى معالجة موضوع فكري خطير شغل اذهان العلماء واهل الراي فى مختلف ادوار التاريخ البشري ، منذ بدا الانسان فى محاولته الاولى لادراك حقيقة وجوده والوصول الى تعليل الظواهر المختلفة التى تتحكم فى هذا الوجود ابتداء من اللحظة التي يبصر فيها نور الدنيا حتى يغمض عينيه فى غيابة المصير الاخير .

وليس بالامر اليسير ان يبحث الانسان فى حدود ذاته المتواضعة كيف ابتدأ ومن أين أتى؟ ولماذا هو موجود وكيف ستكون حقيقته بعد جسر الحياة التي هو فيها ؟ وماذا سيحدث له بعد ان يصبح فى بطن الارض وديعة غامضة بين يدي عالم آخر ليس له من عالمنا الذي نحن فيه الا الظنون والاوهام بما لا يقوم على اساس الحدس والتأويل .

ولعلني لا اهتك سترا ولا اكشف سرا اذا اكدت بهذه المناسبة ان هذه الاسئلة ستبقى عالقة فى اذهان البشر كلما حاولوا ان يتطالوا الى ما وراء المادة التي هم فى غمارها آناء الليل واطراف النهار لان هؤلاء البشر وفضول المعرفة بعضها من بعض كالضوء من المصباح فكل انسان يولد وفيه نزوع الى الفضول لا يملك ان يتخلص منه ولو اراد ، فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله . ويستوي فى هذا الفضول كافة الناس ، عالمهم وغير العالم لا تفريق فى ذلك بين طبقة واخرى من طبقات المجتمع ، ذلك ان العقل الانساني فى مختلف مستوياته يجد نفسه امام مشكلة فكرية واحدة ، اذا تفاوتت احجامها بالنسبة لكل فرد فانها لا تتفاوت منازعها بالنسبة للمجموع . وان كتابكم ((قصة الايمان)) قد أكد هذه الحقيقة الصادعة عندما تناول بجرأة وثقة الاسئلة المحرجة من ((حقائق الاشياء)) وحاول الاجابة عليها من خلال آراء الفلاسفة ومذاهب العلماء وبلاغة الكتاب وخيال الشعراء ... حقيقة كل شيء وكنهه . وأصله وغايته ما وراءه .. وما كان قبله .. من الذى خلقه ؟ ومن أي شيء خلقه ؟ ومتى خلقه ؟. وما هو هذا الخالق وما كنه ذاته ؟ وما حقيقة صفاته .. وما هو هذا الانسان وما حقيقته وما هو عقله وكيف يتم ادراكه وما مبلغ الادراك من الصحة وما هو الخير ؟ وما هو الجمال؟ ولماذا كان الخير خيرا والجمال جميلا ..؟ »

ولست هنا فى مجال تكرار الكلمات التي جاءت على قلمكم البارع فى صيغة علامات استفهام عميقة اطلقها الانسان القلق الذي جعلتموه فى كتابكم حيران بن الاضعف على نحو ما جعل ابن طفيل انسانه حي بن يقظان ولو شئت ان اتابعكم فى هذه العجالة لكان علي أن اكرر ما ذكرتموه سؤالا سؤالا وجوابا جوابا بيد انني اكتفي من ذلك بالتنويه الى ان القضية التى اخذتم نفسكم بالدفاع عنها قد جاءت اليوم وكأنها على ميعاد مع الظرف المناسب والمكان المناسب ايضا .

لقد حرصتم في ((قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن)) على مواجهة ((الظروف السيئة)) التي تجتازها فكرة ((الله)) في اوساط الشباب العربي بعد ان تسربت اليهم تيارات غريبة لا نريد ان تترك ((للدين)) سبيلا الى قلوب تتحفز لان تخفق يوما على ايقاع رسالة عبقرية ذهبتأصولها في صميم المفاهيم الانسانية التى عاشها اباؤنا حين فجرت دعوة الاسلام طاقاتهم لابتداع الحضارة التي تركت في الدنيا دويا حتى كانما تداول سمع المرء انمله العشر .

اجل ، في الظرف المناسب والوقت المناسب نزل كتابكم الى الميدان ليخوض معركة الايمان بالله مع اولئك الذين يريدون ان يجعلوا من هذا الايمان مرحلة بدائية ناءت تحت عبء التطورات الفكرية الحديثة ولم تعد تملك القدرة على الصمود في الواقع الانساني كعنصر اساسي في بناء الحضارة والتقدم والازدهار .

والذى يبدو للمراقبين من اهل القلم والمفكرين ، ان الملابسات التي تكتنف افكار الناس في هذه الايام تبدو وكانها بوادر تحول اساسي في اسلوب الحياة على مختلف افانينها وضروبها فنحن بالفعل بين يدي ثورة انقلابية حادة لا يخلو من تأثيرها ابناء هذا الجيل المعاصر سواء فيما يتصل بشؤونهم المادية او النفسية ولست اجور بالقول ولا اجنح للمبالغة اذا اكدت بهذه المناسبة ان البشرية لم تشهد في تاريخها الطويل وفي اى مكان اصابته رعشة الحياة من هذا العالم .. اقول ان البشرية لم تشهد مثل ما هي في صدده اليوم من الانسلاخ عنكل شيء قديم والاقبال على كل شيء جديد من غير ان يكون للانسلاخ والاقبال في كثير من الاحيان مبرر جدي يتعدى شهوة التغيير وما هو مألوف من متابعة الضعيف للقوى والصغير للكبير ولا سبيل للحكم على هذا الوضع المثير الذي اصبح حقيقة لا سبيل الى انكارها او تجاهلها ، الا من خلال الاعتراف بان المجتمع البشري يعاني اليوم جهدا ذهنيا مضنيا جعله يتقبل الانعطاف معالتيار الثوري الذي يعصف بقادته ملقيا بهم في دوار لا يعرف الرفق ولا الهوادة ولا الاعتدال .. وانه ليصح القول بان العصر الذي نمر به اليوم هو عصر الثورة بكل ما يفهم من هذه الكلمة من معطيات التطرف والجموح والاضطراب بين المتناقضات . والحكم على زماننا بانه عصر الثورة ليس في حاجة الى الشواهد التي تؤكده او تبرره . وعلى الرغم من ان الفكر لا يستطيع ان يحصر كافة العناصر التي ينبض عليها المجتمع الذي هو فيه لانه يعجز عن الاحاطة بها وهو في غمارها .. على الرغم من ذلك فان خصائص هذا العصر القائم بلغت من الحدة والبروز والتاثير بحيث

يمكن لاي انسان اوتي مسكة من الادراك العلمي ان يلمس لمس اليد انه يعيش الثورة التي يتميز بها عصره في كل لون من الوان الحياة المحيطة به .

ولا سبيل الى التكهن عن المدى الذى ستبلغه هذه الظاهرة كما انه لا سبيل الى تعيين الآثار التي ستترتب عليها في النهاية الا اننا نستطيع ان نزعم بان القيم المعنوية المتوارثة تستدرج اليوم لمأزق حرج جدا قد يؤدي بها الى التخلي عن مكانتها في نفوس الكافةوافساح المجال لقيم أخرى نعرف كيف تبتدىء ولكننا بكل تأكيد لا نعرف كيف تنتهي وتستقر ..

ومن هنا قلت ان كتاب قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن يبدو وكانه مغامرة جريئة وعبقرية في وسط محفوف بكل عوامل التنكر للايمان والفلسفة والعلم والقرآن .

والخوض في حديث ما وراء الطبيعة يتراءى اليوم عبر كسف صفيقة من الجمود والانكار والكفران بعد ان غشيت افكار ابناء هذا الجيل موجة عاتية من النظر الى الكون على انه واقع عفوي تكامل بفعل توافق القوى المادية مع المفاعلات الكيماوية البحتة من غير ان يكون وراء ذلك موجبات اخرى تواضع من قبلنا على تحديدها بواجب الوجود وهذا ما يحملنا على اكبار الجهود التى تصديتم لها في رحلتكم الطويلة مع اولئك الرجال الذين انفقوا حياتهم وهم يقدمون الدليل تلو الدليل على ان الحياة وما تنطوي عليه من حيوان وجماد ليست صدفة مجردة بدات من المجهول وسوف تنتهي الى المجهول كذلك ، دون ان تعنى حكمة او تهدف الى غاية .

ولا ريب في انكم وفقتم الى اقناع الكثيرين من المترددين والقلقين والحائرين بان الايمان بوجود الخالق ليس في جوهره نتيجة حتمية لليأس والعجز والقصور ولا هو مجن يتقي به العقل الانساني محاذير وهمية تراكمت عليه وهو يبحث عن طريق الخلاص من مخاوفه الذريعة التى تمخضت فيه وهو ينظر بجزع قاتل الى المصير الذي لا مفر منه : الموت .

واستطيع ان اقول بان دعوتكم الى الله سلكت سبيلا جديدا لم تحرثه شباة قلم من قبل ، لا من شيوخ الاسلام ولا من كهنة بقية الاديان التي تدور في فلك السماء فلقد عودنا هؤلاء واولئك ان يشقوا طريقهم الى غرضهم من خلال الاساليب التقليدية التي تعتمد على ما جاء في الكتب الروحية التي تحدد معتقداتهم وطقوسهم مجترين بذلك الحجج التي رددها العشرات والمئات من امثالهم الذين سبقوهم في القرون الخالية حتى اصبح ما

يخرجونه للناس ضربا من الحديث المعاد والحلقة المفرغة التي تدور على نفسها . وهي طريقة فقدت الكثير من وقعها وتاثيرها واصبحت عاجزة عن تحقيق أى تقدم الى اهدافها التبشيرية . بينما اخذتم نفسكم بتجربة طريقة تنهض على سلسلة من الاراء التي كانت في منهوم الكثيرين حجة على الايمان لامعة فاذا بيراعكم الخصيب يميط عنها غشاوتها السلبية الجاحدة ، ويقدمها من جديد بثقة واطمئنان في اطار من الايجابية المؤمنة لتصبح حجة دامغة في صالح الدين وما يدعو اليه من رسالة الحق التي حمل كبرها الانبياء والمرسلون صدوعا بامر الله رب العالمين .

... هكذا اكزنوفيس ، ... ثم بارمينيدس ... وبعد هذا تلميذه مليسوس ومن ثم هرقليطي وامبدوقلس وديموقريطس وانكساغوراس ... الى سقراط وافلاطون وارسطو والبيثور واخيرا افلوطين صاحب المذهب الذي تفاعلت به بعض المذاهب الدينية المعروفة .. هذا الرهط كله من اساطين الفكر اليوناني القديم نأى بجانبه عن الاخذ بقصص الاولين واعرض عن التسليم بقدسية الاساطير التي لا تستند الى السلطان الحجة والمنطق السليم . وركز اهتمامه بالبحث عن الاله الحق .. فمنهم من اهتدى اليه ومنهم من عجز عقله عن تصوره .. ومنهم من اسلمه جهد البحث الى شرك الضلال في الخيالات والاوهام .. بيد انهم جميعا كانوا مجتمعين على قاسم مشترك اعظم الا وهو (الايمان بفكرة الاله الحق المجرد عن صفات المادة ، من حيث يشعرون او لا يشعرون (1)

اذن ، فان اولئك النفر ممن خليت عقولهم مظاهر التفكير الفلسفي . لا سيما القديم منه وذهبوا الى انكار الخالق متوهمين بان ما ذهبوا اليه يعكس النتائج التي خلص اليها كمال العقل الانساني متمثلا بالفلسفة والفلاسفة ، ان اولئك النفر ليسوا على شيء ولو يسير من الحقيقة فيما يتوهمون وحري بهم ان يصبروا انفسهم مع اهل الفكر حتى تتكشف لهم اغراض هؤلاء وليتأكدوا من ان (الايمان بالله) كان وراء كل النظريات التي تمخض عنها الذهن العلمي للبشر ابتداء من بواكير خلجات البحث عن الحقيقة في اعماق التاريخ السحيق حتى يومنا هذا الذي نصبح ونمسي فيه على دراسة الذرة وما يلازمها من خصائص واسرار (وان الفلسفة بحر على خلاف البحور ، يجد راكبه الخطر والزيغ في سواحله وشطئانه والامال والايمان في لججه واعماقه .. كما تقولون .. أو كما يقول باكون : القليل منها يبعد عن الله اما الكثير منها فيرد الى الله (2) .

فيما تقدم بعض ملاحظات تخلفت في الذهن عن مادة الكتاب وموضوعه لم ارد بها وفاء حقه علي ولا اداء واجبي نحوه ولكنها قطرات سالت على شباة القلم بين يدي رغبة ارجو تحقيقها في مستقبل اطمح أن يكون قريبا واقدم فيها الشيخ نديم الجسر في الاطار الذي هو له أهل من الكرامة والمكانة والعلم .

على انه قبل ان ارفع القلم عن هذه العجالة جدير بي ان اعرب عن شعور الطمانينة اذ ارى مثل كفاءة الشيخ نديم الجسر تضع ثقلها في ميدان يكاد يكون خاليا الا من خصوم الحق ورسالة الخلود شاغلا بذلك فراغا لا يمكن ان يسد غيره مسده وممهدا لمن يتحسس في ذاته الغيرة والكفاية ان يشاركه في شرف الوقوف عند حياض العقيدة الى ان يرتد الى العقول الحائرة قرارها والقلوب الخائفة امنها ليدور الزمن دورته التي تعود بنا الى حيث تركنا السلف من العزة والمنعة وبهرة الحضارة .

بيروت — الشيخ طه الولي

---

1) ص24 من قصة الايمان
2) ص 207 من قصة الايمان



ثقافة القرآن، والثقافة العالمية

للأستاذ : محمد الحمداوي

- 2 -

كان المعنى الذي حملنا عليه التركيب (ثقافة القرآن ثقافة عالمية) في المقال السابق ، هو المعنى الذي تقتضيه دلالة الالفاظ والتراكيب عند صرفها الى اقرب واوضح معانيها ، وقد كان الخطأ فيه بناء على ذلك المحمل بسيطا لا مركبا ، اذ كان خطأ في الحكم لا في التصور ، فتصورنا (ثقافة القرآن) ــ باعتبار ان الاضافة محضة معنوية كما سبق ــ على انها انواع من التجارب العلمية والعملية ، وانماط السلوك التي اكتسبها المومنون بالقرآن ، والمتبعون لهديه ، والملتزمون للعمل تبعا لتعاليمه ، تصور صحيح . ولكن حكمنا على هذه الثقافة بانها ثقافة عالمية بالمعنى السابق كان حكما خاطئا ، ومبعث الخطأ فيه هو الخلط بين انواع من مكتسبات انسانية نوعها اختلاف الزمان والمكان ، واختلاف المؤثرات البيئوية والوراثية التي جعلت لكل ثقافة انسانية ميزتها الخاصة بها ، في هذه الحقبة من الزمان دون تلك وفي هذه التربة دون الاخرى ، وبتأثير هذا العامل دون ذاك .

فهل يمكن ان يكون الكاتب قد عنى بقوله (وثقافة القرآن ثقافة عالمية) معنى آخر غير المعنى الذي سبق ؟ بحيث يكون خطؤه على غير الاساس الذي سبق ، او يكون صوابا كله ، تؤيده حجج العقل ، ودلائل الشرع ؟ .

كان يمكن ان يحمل الكلام على ان المقصود منه هو النص على ان ثقافة القرآن هي احدى انواع الثقافات العالمية التي اكتسبها الانسان منذ ان بدأ تجاربه الثقافية على هذه الارض ، ويكون حينئذ قولنا ان (ثقافة القرآن ثقافة عالمية) كقولنا : ثقافة الهند ثقافة عالمية ، وثقافة الصين ثقافة عالمية ، وثقافة اليونان ثقافة عالمية ، وثقافة الانباط ثقافة عالمية ، وثقافة الغرب ثقافة عالمية ، ولكن الاخبار بهذا المعنى هو من البداهة بحيث يكون من باب السماء فوقنا ، والارض تحتنا ، واقوال العلماء ــ كافعال العقلاء ــ يجب ان تصان عن العبث ، فليس هناك من هو في حاجة الى الاخبار بان كل ثقافة انسانية هي ثقافة عالمية ، فالجميع يعرف ان الثقافات الانسانية هي جميعها، وفي مختلف اطوارها وعصورها ثقافات (انسية) فما هي (ملكية) ولا هي (جنية) ولا دخل لعالم ما وراء الانسان فيها.

وليس هناك من كلام يمكن ان يكتب على هذا العنوان بهذا المعنى لشرحه وتفسيره .

وكان يمكن بمعنى آخر ان تغض العين عن دلالة الالفاظ عما وضعت له ، وان تؤول الكلام على انه تجوز واسع في التعبير ، القصد منه هو النص على ان ديانة القرآن ديانة عالمية ، اي ان دعوة القرآن دعوة عامة ، وان الاسلام جاء لاصلاح جميع شؤون البشر حال نزول القرآن وبعد نزوله الى يوم القيامة ، وهذا المعنى ــ لو قصد اليه الكاتب ــ معنى صحيح تقره براهين العقل ، ودلائل الشرع ، وهو المعنى الذي نفهمه حين نتلو الآية الكريمة متحدثة عن القرآن (ان هو الا ذكر للعالمين) وحين نتلو الاية الكريمة متحدثة عن رسول القرآن (وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا) وحين نستمع الى الحديث الشريف الذي تحدث فيه النبي (ص) عن عموم بعثته فقال : (.. وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة) (1) وهو المعنى الذي عناه جعفر الصادق عند ما سئل : (ما بال القرآن لا يزداد على النشر والدرس الا غضاضة ؟ ، فاجاب : ان الله لم يجعله لزمان دون زمان ، ولا لناس دون ناس) (2) وهو المعنى الذي قصد الى بيانه الاستاذ رشيد رضا حين الف كتابه «الوحي المحمدي» ، والاستاذ فريد وجدي حين الف كتابه (الاسلام دين عام خالد) والاستاذ عبد الرحمن عزام حين الف كتابه (الرسالة الخالدة) . وقصد الى بيانه غير هذا وذينك من علماء المسلمين والمنصفين من غير المسلمين . ولكن مهما تجتهد انت وانا لنعرف الكلام الى اي معنى من المعاني السابقة مهما كان خطؤها او صوابها ، فان مقصد الكاتب في صلب المقال الذي جعل التركيب (ثقافة القرآن ثقافة عالمية) عنوانا له ، ملتمسا تفسيره منه ، ومدلولا على معناه به ، لا يساعدك ويساعدني على ذلك ، لانك حين تسمعه يصرح ويقول في تثبيت وصرامة : (ان ما كنا بعدا بين

1) البخاري ومسلم والنسائي
2) الابحاث السامية ج 1 ص 14

حضارة الاغريق والرومان ومن سبقهما من البابليين والاشوريين والانباط والفنيقيين والعبريين ، وبين الحضارة القرآنية الاسلامية لم يكن له من وجود الا في ثنايا عقولنا الضيقة) ، ويقول : (وبحسب النظرة السطحية يبدو ان القرآن « اخذ » من عالم الكتاب ـ بني اسرائيل ـ « كذا » اكثر مما اخذه من عالم الحكمة ـ اليونان ـ « كذا » وليس الامر كذلك بل فقد « نقل » القرآن لنا من الحكمة ما لا يقل « اخذه » من الكتاب مع الزيادات القيمة والتعليقات الموجهة ، والتعديلات القومية) ويقول : (واستعمل « القرآن » المحاورات السقراطية) (فقد « استخدم » القرآن المنطق الاغريقي) ويقول : (و « استخدم » القرآن نفس القواعد الراقية التي استخدمها الروم) ويقول اخيرا في كلمة جامعة لكل جوامع كلمه السابقة : (فاخذ القرآن من كل امة احسن ما عندها) . اقول ، انت وانا حين تسمع هذه الاقوال وغيرها مما جاء في صلب المقال من الاستشهادات المؤيدات سدت عليك ابواب الفهم ، في مجاهيل الكلام ، غير ان تفهمه على ما اراد به صاحبه من ان يفهم وهو انه يعني بقوله : (ثقافة القرآن) القرآن نفسه ، واصدر الحكم على هذا القرآن بانه (ثقافة عالمية) ثم اخذ يستدل على هذا الاتحاد الثقافي بين القرآن وغير القرآن بما اخذه القرآن ونقله واستعمله واستخدمه من مخلفات الثقافات السابقة ، وقواعدها الراقية ، واساليب فلاسفتها في الحوار وفي المنطق ، حوار سقراط ، ومنطق ارسطو ، وعلى هذا فالاضافة في قول الكاتب (ثقافة القرآن) ليست اضافة محضة معنوية كما سبق ، بل هي اضافة بيانية المقصود منها القرآن نفسه على مثل الاضافة في قول الله تعالى : (فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) فالمقصود من الآية هو الليل نفسه ، والنهار نفسه ، لان الله قال من قبل (وجعلنا الليل والنهار آيتين) وحينئذ فقد اختلط مفهوم لفظة (ثقافة) بمفهوم لفظة (القرآن) واصبح القرآن الذي نفى الله عنه الحدث فقال (وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم) وقال (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) قال الحافظ البيهقي (1) : (فاخبر انه كان موجودا مكتوبا قبل الحاجة اليه في ام الكتاب ، واخبر ان القرآن كان في اللوح المحفوظ ، يريد مكتوبا فيه ، وذلك قبل الحاجة اليه ، وفيه ما فيه من الامر والنهي والوعد والوعيد ، والخبر والاستخبار) قال : (واذا ثبت انه كان موجودا قبل الحاجة اليه، ثبت انه لم يزل كان) (2) اصبح القرآن الذي هو بهذه المثابة عند الله وعند المسلمين ، والذي سبق ما سبق في تعريفه عند علماء اصول الدين واصول الفقه ، اصبح (ثقافة) ، وهي ما هي مشروط في تعريفها الجهد المحدث ، والممارسة المتغيرة ، والتجارب المتتابعة والاختبارات اليومية والقصد الانساني المعزوم ، وليس شيء من ذلك على الله بجائز في فطرة العقل ، ومنطقة الايمان ، وعقيدة القرآن ، ثم وليس بجائز ايضا في فطرة العقل ، ومنطقة الايمان ، وعقيدة القرآن ان نحكم على القرآن نفسه بانه (ثقافة عالمية) ، اذ لا يمكن ان يفهم بهذا الحكم الا على انه احتوى تلك التجارب وانماط السلوك التي اكتسبتها شعوب العالم ، وانه فوق ذلك نقل واخذ واستخدم واستعمل كل ما في الثقافات البشرية المحدثة من محاسن وفضائل ومزايا .

لقد اتفق علماء المسلمين على ان القرآن معجزة المعجزات بالنسبة الى رسالة محمد (ص) وقد عبر القرآن نفسه عن صفة الاعجازهذه حين قال الله: (قل:لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) ، ولست ادري كيف يعقل ان تكون هذه المعجزة الالهية التي يعجز الانس والجن عن ان ياتوا بمثلها او بمثل سورة منها حتى ولو بذلوا في ذلك من الجهد والتعاون مبلغ النهاية ، مستمدة وآخذة من اعمال هؤلاء العاجزين ؟ .

ان الكاتب اذا الف كتابا ، او كتب مقالا في اي موضوع من موضوعات العلم الخاصة او العامة ، لا بد ان يكون كتابه ذاك او بحثه هذا ، مستمدا من مصادر مسموعة او مقروءة ، او تجارب محسوسة ممارسة بالعقل او بالحس ، وهو في هذا لا محيد له من الافتقار الى مراجعة الذاكرة او الكتاب لتصور المعلومات ، واصدار الاحكام ، فكيف يسوغ في شريعة العقل الصحيح ، والايمان الراسخ ، والمنطق الفطري ، ان الرب الحكيم العليم جل جلاله ، افتقر في انشاء القرآن المنزل على محمد (ص) الى كل امة من الامم التي خلقها وما عملت ، فجعل من احسن اعمالها (ماخذا) لكتابه القديم المعجزة ؟ (والله خلقكم وما تعلمون) (قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون) .

ان الله قد وصف كتابه القرآن في القرآن بانه (تنزيل من حكيم حميد) وبانه (وحي يوحى) وبانه روح من امره (وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا) ووصف اولئك الذين قالوا (اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا) وقالوا : (واعانه عليه قوم آخرون) وصفهم بانهم (جاءوا ظلما وزورا) ورد عليهم فقال : (قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض) ، ووصف النبي (ص) فضل ما نزل عليه من القرآن على غيره فقال : (ما من نبي من الانبياء الا اعطى ما مثله آمن عليه البشر ، وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا) (3) وقال (فضل

---

1) المحدث الكبير ، والاصولي الفقيه المتوفى سنة 458

2) الاسماء والصفات للبيهقي ص 229

3) البخاري ومسلم واحمد .

كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه (1) قال الحافظ ابن حجر فيما نقله من معاني الحديث الاول (ان القرآن ليس له مثل لا صورة ولا حقيقة) ((2) وقال (فلما كان لا شيء يقاربه فضلا عن ان يساويه كان ما عداه بالنسبة اليه كأن لم يقع (3) **فكيف يجتمع هذا الوصف الالهي والنبوي للقرآن** الكريم وفهم العلماء لمعنى هذا الوصف ، مع وصف من وصفه بالاخذ والنقل والاستخدام والاستعمال لما انشأه خلق الله من الثقافات والعلوم واساليب الحوار والمنطق ؟

وصدق من قال :

العبد عبد وان تعالى والرب رب وان تنزل

وعند ما اراد السيوطي ان يتكلم على بعض الآيات التي يكون نزولها في القرآن قد اتفق مع نزولها في غير القرآن من كتب الله السابقة ، لم يقل ان القرآن كتاب لاحق ، اخذ ونقل من كتب الهية سابقة ، وانما قال : (ما انزل منه على بعض الانبياء وما لم ينزل منه على احد قبل النبي) فلم يحد السيوطي عن لفظ النزول قيد انملة ، اذ الله ليس محتاجا لان ياخذ من كتبه تلك ـ بله كتب واعمال خلقه ـ ما يضعه في كتابه هذا ، على ان المختار عند العلماء ان المراد بتوافق نزول بعض الاي في القرآن وفي غير القرآن من كتب الله السابقة توافق في المضمون لا في اللفظ لما اختص به القرآن من وجوه الاعجاز دون سائر الكتب الالهية السابقة .

ونحن عندما نسمع الاستاذ يتحدث عن مآخذ القرآن ويقول : (واستخدم القرآن نفس القواعد الراقية التي استخدمها الروم) (واخذ القرآن من كل امة احسن ما عندها) ، ينصرف ذهننا اول ما ينصرف الى القانون الروماني الذي هو ارقى ما تركه الرومان من قواعد ، وفي هذا الباب نكتفي بان نضع بجانب قول الاستاذ الوزاني قول عالمين اجنبيين عن الاسلام ، يردان على اولئك الذين زعموا ان الفقه الاسلامي متاثر بالفقه الروماني ، قال الاول وهو الاستاذ «اللينو» المستشرق الايطالي الشهير ، بعد ما سرد كثيرا من الفروق الواضحة بين الفقه الاسلامي والفقه الروماني : (انهم اهملوا الفارق العظيم الذي يوجد بين الغرب القديم وبين العالم الاسلامي في تصور القانون ومصادره ، فقد توجد امثلة من الافكار والنظم راسخة ومنتشرة في العالم الهلنستي الذي فتحه العرب ، ومع ذلك فان هذه الافكار والنظم لم تنجح في ان تنفذ الى الفقه الاسلامي) (4) وقال الثاني وهو الفقيه الفرنسي زيس (ZEYS) : (اني احس حينما اقرأ في كتب الفقه الاسلامي اني نسيت كل ما اعرفه من الفقه الروماني ، فبينما يعتمد قانوننا على العقل البشري تقوم الشريعة على الوحي الالهي ، قال : **فكيف يتصور التوفيق بين قانونين** وصلا الى هذه الدرجة من الاختلاف (5)

فاذا رفض علماء اجانب بناء على ما اهدتهم اليه ادلة البحث العلمي ان يقبلوا تاثر فروع الشريعة بقوانين الرومانية ، فكيف ساغ لعالم مسلم ان يقول ان اصل اصول الشريعة وهو القرآن ان تاثر بقواعد الروم الراقية ؟ .

ثم كيف يستطيع القارىء ان يجمع بين قول «اللينو» (انهم اهملوا الفارق العظيم بين الغرب القديم وبين العالم الاسلامي) وقول زيس (كيف يتصور التوفيق بين قانونين وصلا الى هذه الدرجة من الاختلاف) وبين قول الاستاذ الوزاني : (ان ما كنا نعده بعدا بين حضارة الاغريق والرومان ومن سبقهما ، وبين الحضارة القرآنية الاسلامية لم يكن له من وجود الا في ثنايا عقولنا الضيقة) ؟ .

اظن اننا هنا في حاجة الى الاتيان ببعض اقوال علماء المسلمين المعاصرين للتحكيم بين قولي العالمين الاجنبيين والعالم المسلم فلنستمع اذن الى الاستاذ محمد ابي زهرة استاذ الشريعة الاسلامية بكلية القاهرة وهو يقول : (ان القانون الروماني هو خلاصة ما وصل اليه العقل البشري في مدى ثلاثة عشر قرنا في تنظيم الحقوق والواجبات ، فاذا وازنا بينه وبين ما جاء على لسان محمد النبي الامي انتجت الموازنة ان العدل فيما قاله محمد ليس من صنع بشر ، انه الحكيم العليم اللطيف) (6) والى الاستاذ عبد القادر عودة حين يقول (واذا استطاعت عقول البشر ان تصنع ما يصنعه مخلوق في مستوى ما صنعه مخلوق آخر ، فان هذه العقول لا تستطيع باي حال ، ان تضع ما يصنعه المخلوق في مستوى ما صنع الخالق ، لانها تدرك الفرق بين الصناعتين ، وتحس المدى الواسع بين الصانعين ، ولا شك ان العقول التي تدرك هذا جديرة بان تدرك الفرق بين الشريعة الاسلامية وهي من صنع الله ، وبين القوانين الوضعية وهي من صنع البشر (7)

وبعد فقد تلمست كثيرا عساني اعثر على دليل واحد ، او شبهة واحدة على الاقل ، ادرأ بهما ثبوت الخطأ فيما قاله الاستاذ الوزاني عن عالمية (ثقافة القرآن) بكل ما يمكن ان يتحمله اللفظ من وجوه الاحتمال فلم افلح ، وانما وجدت الدلائل تتراكم على عكس ما قال وقرر . وفي عدد مقبل ان شاء الله سنتناول بالبحث الشواهد والمؤيدات التي اتى بها الاستاذ تثبيتا لنظريته والتي قالت مقدمة تحرير « دعوة الحق » انه قد ابتعد بها في بعض جوانبها عن النظريات المعروفة .

الدار البيضاء : محمد الحمداوي

---

1) الترميذي ـ 2) فتح الباري ج 9 ص 5 ـ 3) فتح الباري ج : 13 ص 211 .
4) الفكر القانوني الاسلامي لفتح عثمان ص 94 .
5) المصدر السابق ص 103
6) شريعة القرءان ص 11 ـ 12 .
7) التشريع الجنائي الاسلامي : ج 1 ص 5 ـ 6 .

محمد البشير الابراهيمي، فقيد العروبة والإسلام

بقلم القائد العربي المجاهد عبدالله التل - حاكم القدس سابقاً

الزمان : الثلث الاول من القرن العشرين ، والمكان جزء عزيز من ديار العروبة والاسلام هو الجزائر : واوضاع البلاد السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية يصورها :

استعمار فرنسي عمره مائة عام ، قضى على كيان البلاد السياسي ، وادخل فى روع الغرب المستعمر ان الجزائر فرنسية لانها ـ بحسب رأيه ـ امتداد لارض فرنسا يفصل بينهما البحر ، وتغلغل فى نفوس عدد كبير من عرب الجزائر انفسهم فجعلهم بمختلف الوسائل ، يرددون دعوى فرنسا الفاجرة ومنطقها العجيب المستهجن .

واقتصاد وطني منهار ، بعد ان اغتصب الفرنسيس فى مدى قرن كامل ملايين الافدنة من الارض الخصبة ، ونهبوا موارد البلاد وخيراتها ، واحتكروا التجارة والزراعة والصناعة ، وحولوا شعب الجزائر الى قطيع من العبيد لاعمل له سوى تامين رفاهية السادة المستعمرين ، وتموين فرنسا بالخمر الذي يستقطر من اعناب كروم الجزائر ، وتموين غرب اوربا بالقمح الذي تنبته حقول الجزائر .

وثقافة فرنسية استعمارية ، هدفها تخريب العقول والنفوس ، وتحطيم الشخصية العربية الاسلامية ، والقضاء على اللغة العربية لانها لغة القرآن، وافشاء الامية حتى زادت نسبتها فى الشعب الجزائري على 90 ٪ ، وخلق الدسائس والفتن لتمزيق الشعب واقناع البربر انهم جنس آخر يختلف عن عرب الجزائر

وحرب سافرة ظالمة لا رحمة فيها ولا هوادة ، تشنها فرنسا « ام الحرية » على الدين الاسلامي الذي يدين به الشعب العربي فى الجزائر ، كما يدين به الشعب العربي فى المغرب وتونس وليبيا بلا استثناء ، حتى اننا لانكاد نجد جزائريا او مغربيا او تونسيا او ليبيا واحدا يدين بغير الاسلام ، والذين يعيشون في هذه البلاد من غير المسلمين هم من يهود الغرب ومسيحييهم . ومع هذا فقد عمدت فرنسا طوال سني استعمارها اللعين ، الى محاربة الاسلام فى لغة الاسلام، لغة القرآن . كما حاربته بنشر الخرافات والبدع وتشجيع الزوايا والطرق التي يديرها مسلمون من عملاء فرنسا . وحاربته منذ اليوم الاول الذي دنست فيه اقدامها ارض الجزائر، يوم صادرت اموال المسلمين واوقاف المسلمين ومساجدهم وحولت بعضها الى كنائس .

وحاربته يوم جعلت من حكوماتها وحكامها أوصياء على الاسلام ، ووضعت القوانين التي تعطي الادارة الفرنسية حق الاشراف على الشؤون الاسلامية، وسيطرت بذلك على على اركان الاسلام الاربعة : الصوم والصلاة والحج والزكاة .

فاصبح الشعب الجزائري المسلم يصوم ويفطر ويعيد بحسب الاوامر الذي يلقيها المدير الفرنسي . ويصلي وراء الائمة الذين يختارهم الحاكم الفرنسي من بين الخونة والجواسيس ويحج الى بيت الله الحرام بالرخصة الفرنسية التي لا تعطى الا بالرشوة ولعدد زهيد من افراد الشعب .

ويخرج بعضه فى الخفاء ، زكاة رمزية ، لانه شعب فقير معدم ؛ نهب الفرنسيس وطنه وثروات بلاده فلم يبق عنده مال يزكيه .

ولم تستطع فرنسا السيطرة على الركن الخامس وهو الشهادة ، لان الانسان قد يتلوها فى سره ومن غير أن يسمعها الجندي الفرنسي .

حاربت فرنسا الاسلام الذي جاء به القرآن الكريم وحمل رسالته محمد صلى الله عليه وسلم ، واخترعت بدلا عنه اسلاما جديدا مبنيا على البدع والخرافات واسمته (اسلام جزائري) .

وفرنسا التي ادعت العلمانية ، وفصلت الدين عن الدولة رسميا سنة 1905 لم ترض فى الجزائر الا بالاشراف التام على الدين الاسلامي . ولم تسمح للمسلمين بممارسة شعائرهم الدينية بحرية ، وحجرت على حرية الدين الاسلامي وآدابه وافكاره ، وفي الوقت نفسه اباحت نشر الفساد والرذيلة والاباحية والانحلال والكفر والالحاد

على مثل هذه الصورة الكئيبة كانت الجزائر فى الثلث الاول من القرن العشرين ، يوم قضت العناية الالهية بتكوين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، لتقود معركة التغيير الجذري فى حياة الشعب العربي فى الجزائر ، بقيادة العالم المرحوم عبد الحميد بن باديس ومن بعده شيخنا الجليل المرحوم محمد البشير الابراهيمي ، الذي ظل حاملا راية الجهاد اكثر من خمسة وعشرين عاما ، الى ان انتقل الى جوار ربه فى شهر المحرم المنصرم 1385 – مايو 1965

ولقد كان البشير الابراهيمي بما وهبه الله من علم وفضل والمام كامل باللغة العربية وآدابها وفنونها واسرارها ، وقدرة خارقة على التوجيه والوعظ والاقناع خطابة وكتابة ، وبما اوتي من مواهب وطاقات علمية وفكرية وعملية وسياسية لانظير لها ، مؤهلا لحمل راية الجهاد والذود عن شعب الجزائر المستعبد وعن دينه المضطهد . فحملها بشجاعة وامانة واخلاص فى ظروف عصيبة واحوال رهيبة .

فمن الناحية الجزائرية قاد البشير الابراهيمي حملة الاصلاح الديني لتطهير الاسلام من الخرافات والبدع التي الصقها الفرنسيس واليهود وعملاؤهم من العرب . وتولى مهمة تنوير العقول وتبصيرها بحقيقة الدين الاسلامي وآدابه وتاريخه ، فقضى على الدين المزيف الذي اخترعه الفرنسيس واسموه (اسلام جزائري)

طالب بفصل الدين الاسلامي عن الحكومة ، اسوة بالدين المسيحي الذي تركت له الحرية التامة في ممارسة طقوسه وشؤونه . وندد بالسياسة الاستعمارية الغبية الغاشمة التي ترمي من وراء بسط سيطرتها على الدين الاسلامي ، الى القضاء على الاسلام

طالب باعادة اوقاف المسلمين التي اغتصبها الفرنسيس على مر السنين ، وهدفهم تجريد الاسلام من وسائل دعمه ونشره وبقائه .

طالب بحرية التعليم العربي واعتبار اللغة العربية لغة البلاد الرسمية . كما طالب باستقلال القضاء الشرعي عن القضاء الفرنسي المبني على اسس تبيح الرذيلة وتشجع الانحلال .

حارب الحزبية لانها اداة تمزيق ، وداء وبيل ينخر فى جسم الشعب ، وبخاصة العلمانية منها ، وتلك التي تشجع الكفر والالحاد . وكان رحمه الله بعيد النظر حينما اعتبر الحزبية اشد خطرا على المسلمين من المستعمر نفسه .

سخر من سياسة فرنسا التي كانت تسعى الى التفريق بين العرب والبربر . واثبت ان الدماء البربرية التي مازجت الدم العربي فى سلسلة من الزمن امتدت ثلاثة عشر قرنا قد اصبحت عربية . واكد ان وحدة الشعب فى الجزائر راسخة خالدة سداها وحدة الدم واللسان ولحمتها الدين الواحد وروحانية الاسلام .

تحدى سياسة الاندماج التي نادت بها فرنسا بصفاقتها وحماقتها ، واثبت بشجاعته وقوة حجته ، زيف دعوى فرنسا وسخف منطقها . ودلل على عظمة الاسلام وطاقاته الكامنة التي تعصم شعب الجزائر المسلم من الانمحاء والذوبان والاندماج .

قاوم هيئات التبشير ومن ورائها سلطات الاستعمار ، واليهودية العالمية ، وثراء الفاتيكان وبذله وسخائه .

تصدى للغزو الفكري الاستعماري الذي يشكك المسلمين فى تاريخهم وتراثهم ، تمهيدا للقضاء على مقومات وجودهم ، وجعلهم كمية مهملة فى ميزان القوى العالمية .

فعل البشير الابراهيمي كل هذا واكثر منه فى الميدان الجزائري الداخلي . واصاب نجاحا كبيرا فى معركة اللغة العربية وتدريسها فى مدارس الجمعية التي اخذت تتزايد يوما بعد يوم ، حتى اربت على 400 مدرسة رغم بطش المستعمر وارهابه وجبروته ، ورغم القوانين الصارمة التي كانت تقضي بالقاء القبض على المدرس الذي يضبط متلبسا بتعليم اللغة العربية ، بينما تعطى الحرية للسارق والزاني والفاجر والافاق والمخرب .

ونجح الابراهيمي فى ابراز الشخصية الجزائرية العربية المسلمة ، بعد ان احالها المستعمر خيالا ووهما. ونجح فى تجديد شباب الاسلام ، ومسح عنه الغبار الذي تراكم على مر السنين بفعل الاستعمار والتبشير

ونجح الابراهيمي فى خلق جيل من الشباب العربي الجزائري المؤمن بعروبته ووطنه ودينه . وكان ذلك الجيل هو نواة جيش التحرير الجزائري الذي خاض معركة المليون شهيد ، وحرر الجزائر من استعمار مدمر دام 132 عاما . ولولا جهود جمعية العلماء المسلمين فى الجزائر وكفاح رئيسها ابن باديس والابراهيمي لما قامت ثورة الجزائر فى غرة نوفمبر 1954 . ولولا الجيل الذي رباه البشير الابراهيمي ومعاونوه من علماء الجزائر ، لما استطاع شعب الجزائر ان يقدم للثورة وقودها من شباب محمد الذين انتظموا فى قوافل لاعد لها ولا حصر ، باذلين دماءهم وارواحهم فى سبيل الله وفى سبيل الوطن .

وعلى الجانب العربي العام وقف البشير الابراهيمي حياته على الذود عن حياض العروبة والاسلام ، من الرباط غربا الى اندونيسيا شرقا ، ومن القرم والتركستان شمالا الى حضرموت جنوبا . ولم يكن فى يوم من الايام اقليميا يعمل للجزائر وحدها او للشمال الافريقي وحده . ولم يكن عنصريا يدعو الى قومية ضيقة . بل كان انسانا واسع الافق كبير القلب نقي الضمير ، يدعو الى وحدة اسلامية تسبقها بالضرورة وحدة عربية تقوم على دعائم راسخة من الايمان بالله والايمان بهذه الامة التي شرفها الله بحمل رسالة الاسلام .

والبشير الابراهيمي الذي خبر دسائس الاستعمار وذاق من ويلاته وجرائمه ووحشيته ، لم يترك فرصة تمر الا اهتبلها لتسخير قلمه ولسانه وطاقاته العديدة ، من اجل الدفاع عن الاقطار العربية التي ابتليت بالاستعمار .

دافع عن حرية المغرب الاقصى ، وعن حرية تونس وليبيا ومصر وسوريا والعراق وفلسطين ، كما دافع عن مسلمي الهند وروسيا والصين . وعاش الابراهيمي معارك الكفاح والتحرير التي خاضتها الامة العربية من محيطها الى خليجها . عاش احداث العروبة والاسلام وتفاعل معها وانفعل بها . دعا الى الاتحاد والوحدة ، وندد بالانقسام والفرقة ، افحم الغرب المستعمر وابطل دعواه وانكاره عروبة الشمال الافريقي وكونه من صميم ديار العروبة والاسلام .

وتغنى الابراهيمي بالازهر واثره فى الثورات المصرية المتتابعة وفضله على العالم الاسلامي . ودعا الى تطوير التعليم فى الازهر ليزاوج بين علوم الدين وبين علوم الدنيا . ويهيىء ابناءه لان يكونوا رجال دين ودنيا .

ولفلسطين من كفاح الابراهيمي سهم وافر . فقد اعتبرها قضية العرب والمسلمين الاولى ، ومشكلة المشكلات فى العصر الحديث . نبه لاخطار الصهيونية وحذر من الاعيب اليهودية العالمية ومكرها وخداعها قبل ان تقع الكارثة . وحين ضاعت فلسطين اصيب الابراهيمي بجرح لم يندمل ابدا . وبكاها دما ، وندد بالعرب والمسلمين الذين فرطوا فى الامانة وما استطاعوا نيل شرف حماية بيت المقدس من الغزو الصليبي الجديد ، الذي تستر فى هذه المرة من وراء راية صهيون . ولا غرابة فى هذا ، فالابراهيمي كان يرى ان فلسطين احق بالحماية والرعاية من الجزائر وطنه الاول . وكان يرى ان بيت المقدس جزء من الدين الاسلامي ، وواجب الدفاع عنه فرض عين على كل مسلم ومسلمة .

ولم ترض همة الابراهيمي بالاطلاع على المشكلات العربية الاسلامية والاسهام فى حلها وهو جالس فى وطنه الاول الجزائر ، وانما رحل الى المشرق العربي والمشرق الاسلامي اكثر من مرة زار بلاد العرب والمسلمين وعاش فى سوريا ومصر مهاجرا فى سبيل الله مبتعدا عن ظلم الفرنسيس : زار فلسطين والحجاز وتركيا وافغانستان وباكستان واندونيسيا وايران . وكان فى جميع اسفاره داعية خير ومحبة وتوفيق ووحدة . فرق فى علاقاته بين شعوب الاسلام وحكامها، فاحب الاولى وبذل فى سبيلها من علمه وفضله وصحته ، وتعالى على الحكام الذين يسيرون فى ركاب المستعمر عدو العرب والاسلام ، ولم يتوان عن لومهم وتوجيه النقد لهم وتبصيرهم بعاقبة ذلهم وخيانتهم . وكان الابراهيمي فى حله وترحاله يعرف العرب والمسلمين فى مشارق الارض ومغاربها ، بحقيقة المأساة الجزائرية ، فعرف الناس الجزائر بعالمها وسفيرها الابراهيمي

وفي السنوات التي قضاها الابراهيمي فى مصر، سعدت بان اكون من تلاميذه الذين نهلوا من غزير علمه وقبسوا من كريم اخلاقه . عرفته فى اطوار متباينة من مر الحياة وحلوها ، واشهد بانه كان على الدوام ذلك الامام العملاق الذي لاتهزه احداث الحياة ولا تفت في عضده او تنال من عزيمته وقوة ايمانه .

ولقد توج الابراهيمي جهاده وكفاحه في تأييده المطلق للثورة الجزائرية . ومنذ اليوم الاول لاندلاعها ، أوقف الابراهيمي نشاط الجمعية وامر جميع اتباعه وانصاره وتلاميذه ومريديه وهم يشكلون خلاصة الشعب الجزائري ، بتأييد الثورة والالتحاق بكتائب الجهاد .

وفي احتفالات عيد النصر التي اقيمت في الجزائر اول نوفمبر 1962 ، رايت البشير الابراهيمي في احسن ساعات حياته واعظمها . لقد ام جموع المسلمين التي احتشدت لاداء صلاة الجمعة في مسجد كتشاوة الذي حوله الاستعمار الفرنسي الى كاتدرائية وظل كذلك طوال مدة الاحتلال الذي دام 132 عاما ، الى ان عاد الحق لاهله بعد انتصار الثورة .

والقى الابراهيمي خطبة الجمعة مكتوبة على غير عادته ، وكان واضحا ان المناسبة العظمى قد هزته وفرضت على شيخوخته الجليلة ان يسجل ما كان يجول في خاطره على الورق . وجاءت الخطبة درسا رفيعا في السياسة والتاريخ والدين لا تعالي فيها ولا شماتة ، وقد لخصت الخطبة تاريخ الجزائر بما فيه من دروس وعبر ، وعبرت عن فرحة الحاضر وآمال المستقبل . وكانت في نظري خطبة وداع فاه بها فارس عالم بطل ، اثقلت كاهله العلة وارهقته تبعات الجهاد الطويل . وكنت وانا استمع الى خطبته ترن في اذني كلمات البطل اسامة بن المنقذ :

مع الثمانين عاث الدهر في جلدي
وساءني ضعف ساقي واضطراب يدي
فان كتبت فخطي جد مضطرب
كخط مرتعش الكفين مرتعد
فاعجب لضعف يد عن حملها قلما
من بعد حطم القنا في لبة الاسد

على ان الجهاد الذي كان باديا على الشيخ البطل لم يحجب عنا ابتسامة الرضى واشراقة فرحة العمر التي كانت تنفذ الى اعماق الجماهير الملتفة من حول الشيخ فتفهم تفسيرها :

من عاش بعد عدوه يوما فقد بلغ المنى

وبعد ، فاني لا استطيع في هذه الكلمة القصيرة ان ادون جزءا يسيرا من تاريخ الشيخ العالم البشير الابراهيمي ، لان تاريخه يحتاج للاحاطة به الى مؤلف خاص تدون فيه اعماله ومفاخره ومآثره وبطولاته وتضحياته .

اما خسارة العروبة والاسلام بفقد البشير الابراهيمي فعظيمة لا يعوضها الا الله القادر على هداية شبابنا ودفعهم الى ترسم خطاه والسير على نهجه .

رحم الله شيخنا العزيز واسكنه فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا .

اربد (شرق الاردن) ـ ((عبد الله التل))

العالم ينتظر

ان هذا الجيل قد اصبح في حاجة الى بعث جديد والى ان نقول له مرة ثانية قم باذن الله ، لقد سحرتنا الحضارة الغربية ، وقد استطاع الغربيون ان يقتلونا من غير حرب وضرب ، لقد استطاعت امتك واصحابك ان يثلوا عروش كسرى وقيصر ، والعالم ينتظر من جديد ثائرا جديدا يؤمن بالله ويكفر بغيره ويكسر طلاسم هذه الحضارة ويبطل سحرها . ((محمد اقبال))

ارتسامات بعض المفسرين حول القرآن وتفسيره

للأستاذ : محمد الطنجي

المسلمون يدينون ويعتقدون بوجود اله قادر على كل شيء ، محيط علمه بكل شيء ، لايخفى عليه شيء فى الارض ولا فى السماء ، هو موصوف بكل اوصاف الكمال والجلال ، ومنزه عن كل عيب ونقصان ، تنزه فى ذاته وصفاته عن الكم والكيف ، ولذلك عجزت العقول عن ادراك كنه ذاته ، فلا تحيط المخلوقات به علما ، كما قالت الآية : (لاتدركه الابصار ، وهو يدرك الابصار ، وهو اللطيف الخبير) (يعلم مابين ايديهم وما خلفهم ، ولا يحيطون به علما) هو رب العالمين ، خفي بذاته وتجلى بآثاره وعظيم قدرته وحكمته (هو الاول والآخر والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم) .

وكان من عظيم رحمته بالمخلوقات انه اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، وانه فضل الانسان على غيره من الحيوان بالفهم والبيان ، بعد فطرة الالهام ، كما قال الله سبحانه : « الرحمن علم القرآن ، خلق الانسان علمه البيان » واكمل رحمته به بارسال الرسل بهداياته وشريعته العملية والخلقية ، الى كل امم البشرية ، كما قال عز وجل « وان من امة الا خلا فيها نذير » وذلك بواسطة وحيه المنزل عليهم ، (عليهم السلام) فارشدوا العقول الحائرة بالدعوة الى الخير ، واقاموا الشريعة العادلة ، ونشروا العقيدة الفاضلة ، وضربوا المثل للخلق بسيرهم الطاهرة ، فكانوا خير قدوة بينهم ، حتى استقام الكثير من امم الاجابة على الطريق المستقيم .

وكان اجل الرسل قدرا ، واعظمهم اثرا وذكرا ، خاتم النبيئين الذي ختمت به الرسالة بعد بلوغ العقول البشرية طور رشدها ، سيدنا محمد بن عبد الله عليه السلام الذي جاء بكتاب سماوي ووحي الاهي لهداية البشرية عامة ، كما قال الله تعالى في حكمة ارساله : « هو الذي ارسل رسوله بالهدى ، ودين الحق ، ليظهره على الدين كله » فكان لهذا الرسول العظيم ولكتاب الله الخالد الذي انزل عليه اعظم الاثر فى الشعب العربي اولا ، حيث تكونت بتربية الرسول له بشريعة القرآن خير امة اخرجت الناس ، تامر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتومن بالله ، ففتحت هذه الامة القليلة العدد القلوب بدعوة الاسلام ، واقامت فى كثير من الشعوب دولا اسلامية على امتن نظام ، نشرت العدل ، وعممت التربية الخلقية والعلمية والفضل ، فظهرت بفضلها المدنيات الفاضلة ، والحضارات الباهرة في كثير من بقاع المعمور .

واعجب ما فى الامر حسبما ذكر المؤرخون فى واقع التاريخ ان هذا الانقلاب الاجتماعي العظيم فى التاريخ البشري العام لصالح العدالة والمساواة والعلوم والفنون والاخلاق الفاضلة حصل فى سنين معدودة بالنسبة لعمر الدول ، كل ذلك بواسطة الكتاب العزيز الذي لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبالرسول الذي فطره الله على خلق عظيم حتى كان له فى هداية البشرية ذلك التاثير العظيم الذي يستوي المسلمون والمنصفون من غيرهم فى الاعتراف به .

وعليه فالهداية الى السعادة الدنيوية والاخروية بالعزة والفوز هي اول وصف يدخل فى التعريف بالقرآن كما قال الله تعالى فى حق كتابه : « ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ، ويبشر المومنين » . ولكن بعض علماء الاصول يميزونه ببعض خواص لاتتناول لبه مثل قول السبكي : (الكتاب القرآن والمعنى به اللفظ المنزل على محمد (ص) للاعجاز بسورة منه المتعبد بتلاوته) فلم يذكر السبكي حتى كونه بين دفتي المصاحف التي بايدي المسلمين لزيادة الضبط

والتوضيح كما فعل غيره . قال الحافظ ابو محمد بن حزم : (القرآن الذي بالمصاحف بايدي المسلمين شرقا وغربا فما بين ذلك من أول أم القرآن الى آخر المعوذتين كلام الله) . على اننا نجد من علماء الاصول المتضلعين من عرف القرآن بما يناسب المهمة التي انزله الله من اجلها ، فهذا الامام الشاطبي يقول فيه : (ان الكتاب قد تقرر انه كلية الشريعة وعمدة الملة ، وينبوع الحكمة ، وآية الرسالة ، ونور الابصار والبصائر ، وانه لا طريق الى الله سواه ، ولا نجاة بغيره ، ولا تمسك بشيء يخالفه ، وهذا لايحتاج الى تقرير واستدلال عليه لانه معلوم من دين الامة ، واذا كان كذلك لزم ضرورة لمن رام الاطلاع على كلية الشريعة وطمع في ادراك مقاصدها واللحاق باهلها ، ان يتخذه سميره وانيسه ، وان يجعله جليسه على مر الايام والليالي نظرا وعملا ، لا اقتصارا على احدهما ، فيوشك ان يفوز بالبغية ، وان يظفر بالنتيجة ، ويجد نفسه من السابقين ، وفي الرعيل الاول ، فان كان قادرا على ذلك ولا يقدر عليه الا من زاول ما يعينه على ذلك من السنة المبينة للكتاب والا فكلام الائمة السابقين والسلف المتقدمين ممن اخذ بيده في هذا المقصد الشريف والمرتبة المنيفة) .

وهذا الاتجاه من الامام الشاطبي هو في تبيين الغاية من القرآن وجملة محتواه فقط اما عند توسعه في بيان مقاصد القرآن واغراضه فقد تعرض الى ان كليات الشريعة توجد في القرآن المكي قبل الهجرة النبوية ثم ياتي تفصيل التشريع على اختلاف انواعه في القرآن المدني حين اجتمع شمل المهاجرين والانصار، وتكوين المجتمع الاسلامي الاول في عهد الرسول (ص) بالمدينة المنورة ، ومن المناسب في هذا المقام ان نتعرض لقضية انزال القرآن بتبيين وجهة نظر العلماء فيها ، وان كانت من جهة الاعتقاد والعمل بالشريعة لايتعلق بها غرض مهم ؛ الا ان المثقفين يقف الغموض امامهم عند الرغبة في فهمها ، ذلك انه لفت نظري ان الله سبحانه قال : « انا انزلناه في ليلة القدر » . وقال تعالى : « شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن » . ومن المعلوم ان القرآن لم ينزل جملة على الرسول العربي عليه السلام بل نزل منجما حسب الحاجة والتدريج في التشريع ، وتلقين العقيدة ، واستعداد الناس للعمل بالشرائع المنزلة ، كما يوضح هذا المعنى ما رواه الامام البخاري عن عائشة قالت : (انما نزل اول ما نزل من القرآن سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى اذا ثاب الناس الى الاسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل اول شيء لاتشربوا الخمر لقالوا لاندع الخمر ابدا ، ولو نزل لا تزنوا لقالوا لاندع الزنى ابدا) قال السيوطي في الاتقان : (رايت هذه الحكمة مصرحا بها في الناسخ والمنسوخ (المكي) .

فنزوله منجما على الرسول الامين محل اتفاق الا ان هناك قولة لابن عباس رواها عنه جمع الرواة هو ان القرآن انزل جملة الى سماء الدنيا في ليلة القدر ، ويحتمل الانزال في ليلة القدر ان يكون انزاله على هذه الصفة في ليلة قدر واحدة في رمضان وهذا هو المروي عن ابن عباس وقال السيوطي : (انه الاصح الاشهر ، او يكون الانزال في عشرين ليلة قدر ، او ثلاث وعشرين ، او خمس وعشرين ، في كل ليلة ما يقدر الله انزاله في كل السنة ، ثم نزل بعد ذلك منجما في كل السنة نقله القرطبي عن مقاتل بن حيان ، وحكى الاجماع على انه انزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى بيت العزة في السماء الدنيا فتفرع عن القول بالانزال جملة واحدة الاحتمالان المشار اليهما .

اما القول الثالث فهو انه ابتديء انزاله في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجما في اوقات مختلفة من سائر الاوقات . وبه قال الشعبي قال ابن حجر في شرح البخاري هو الصحيح المعتمد) نقله السيوطي .

تعقيب على بعض هذه الاقوال :

اولا ـ قول الحافظ ابن حجر في ابتداء انزاله ثم تتابع منجما ينفي الاجماع الذي ذكر القرطبي على انزاله الى سماء الدنيا .

ثانيا ـ يظهر من بعض الروايات عن ابن عباس انه حاول بقوله الجواب على اشكال حصل لبعض الرواة فاخرج ابن مردويه والبيهقي في الصفات من طريق السدى عن محمد عن ابن ابي المجالد عن مقسم عن ابن عباس انه ساله عطية بن الاسود فقال اوقع في قلبه الشك قوله تعالى : « شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن » وقوله : « انا انزلناه في ليلة القدر » وهذا انزل في شوال وفي ذي القعدة وفي ذي الحجة وفي المحرم وصفر وربيع فقال ابن عباس انه انزل في رمضان في ليلة القدر جملة واحدة ثم تتابع رسلا على مواقع النجوم في سائر الشهور والايام . قال ابو شامة قوله (اي ابن عباس) رسلا اي رفقا وعلى مواقع النجوم اي على مثل مساقطها يريد : (انزل في رمضان في ليلة القدر جملة واحدة ثم انزل على ما وقع مفرقا يتلو بعضه بعضا على تؤدة ورفق . انتهى نقله السيوطي .

ثالثا — تظهر رغبة العلماء فى الجمع بين الانزال جملة والانزال بالتفصيل حتى يكون لهذا القرآن فضل على بقية الكتب المنزلة كما يستفاد من ابي شامة في المرشد الوجيز حيث قال : (لولا ان الحكمة الالهية اقتضت وصوله اليهم منجما بحسب الوقائع ، لهبط به الى الارض جملة كسائر الكتب المنزلة قبله ، ولكن الله باين بينه وبينها فجعل له الامرين انزاله جملة ثم انزاله مفرقا تشريفا للمنزل عليه) .

على ان السيوطي ينقل انكار وجود دليل على انزال كتب الوحي جملة عن بعض فضلاء عصره فيقول ما تقدم فى كلام هؤلاء من ان سائر الكتب انزلت جملة هو مشهور فى كلام العلماء وعلى السنتهم حتى كاد يكون اجماعا ، وقد رايت بعض فضلاء العصر انكر ذلك ، وقال : انه لا دليل عليه بل الصواب انها نزلت مفرقة كالقرآن ، قال السيوطي واقول : الصواب الاول ومن الادلة على ذلك آية الفرقان السابقة يعني قوله تعالى : « وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ، كذلك لنثبت به فؤادك » يقول كاتبه انه لاتصريح فى الاية بان الكتب الموحى بها قبل القرآن نزلت جملة واحدة ، بل المستفاد من الآية ان انزال القرآن مفرقا لتثبيت فؤاد النبي بتجديد تنزيل الوحي عليه حينا بعد حين كما قال فى آية اخرى : « وقرآنا فرقناه لتقراه على الناس على مكث ، ونزلناه تنزيلا » على ان الكتاب العزيز فيه الناسخ والمنسوخ وما هو انكار على قول قيل او فعل فعل او جواب عن سؤال سئل وهذا ما يجعل انزاله مفرقا اقرب الى الفهم والمعقول .

واخيرا نقول : ان انزال القرآن جملة هو من امور الغيب التي نتوقف فيها حتى ترد عن الرسول فى حديث مرفوع صحيح الاسناد واذا لم يصح هذا ، فالامساك عن الخوض فيه اولى ، اما تلقين هذا للعوام او للمثقفين بمجرد اقوال لغير الرسول المعصوم عن الخطا فمما لا يناسب فى العصر الحاضر ، ولم تحصل اي اشارة فى القرآن الى هذا الانزال جملة والواقع الكائن نحن نثبت انزاله منجما مفرقا فقط .

اما تفسير القرآن فالاصل الاول فيه هو بيان الرسول وتفسيره للناس ما نزل اليهم ، على ان هذا البيان قليل بالنسبة لما امتلات به كتب التفسير قال الزركشي فى البرهان للناظر في القرآن لطلب التفسير مآخذ كثيرة امهاتها اربعة :

الاول النقل عن النبي (ص) وهذا هو الطراز المعلم ، لكن يجب الحذر من الضعيف منه والموضوع فانه كثير ، ولهذا قال احمد : ثلاثة كتب لا اصل لها المغازي والملاحم والتفسير ، قال المحققون من اصحابه مراده انه ليس لها اسانيد صحاح متصلة والا فقد صح من ذلك كثير كتفسير الظلم بالشرك فى آية الانعام والحساب اليسير با لعرض ، والقوة بالرمي فى قوله تعالى « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة » . نقله السيوطي وعقب عليه بقوله قلت الذي صح من ذلك قليل جدا بل اصل المرفوع منه فى غاية القلة .

وتوجد وسيلة مهمة لتفهم معاني القرآن وهو معرفة اسباب النزول قال ابن دقيق العيد : بيان سبب النزول طريق قوي فى فهم معاني القرآن . وقال ابن تيمية معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فان العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب ، وقد يصل الحال الى عدم معرفة معنى الآيات قبل معرفة سبب النزول

ومن هم الحجة فى معرفة سبب النزول ، ونقل بيان الرسول الى الامة ؟ لاشك ان من شاهد التنزيل وعاشر الرسول هم اعلم الامة بمعاني كتاب الله الا انه لابد من معرفة صحة سبب النزول بالسند الصحيح الى الصحابي وقول الصحابي ليس حجة الا فيما يتعلق بسبب نزول الآية بالسند المتصل الصحيح اليه ، فقد ذكر ابن الصلاح فى مقدمة مصطلح الحديث ان ما قيل من ان تفسير الصحابي حديث مسند فانما ذلك في تفسير يتعلق بسبب نزول آية يخبر به الصحابي او نحو ذلك . الى ان قال : (فاما سائر تفاسير الصحابة التي لاتشتمل على اضافة شيء الى رسول الله (ص) فمعدودة فى الموقوفات) وقد اقر السيوطي ما قاله ابن الصلاح معقبا على قول الحاكم قال فى الاتقان : قلت ما قاله الحاكم نازعه ابن الصلاح وغيره من المتاخرين لان ذلك مخصوص بما فيه سبب النزول او نحوه مما لا مدخل للراي فيه قال السيوطي ثم رايت الحاكم نفسه صرح به في علوم الحديث فقال : ومن الموقوفات تفسير الصحابة واما من يقول تفسير الصحابة مسند فانما يقوله فيما فيه سبب النزول فقد خصص هنا وعمم في المستدرك ، فاعتمد الاول والله اعلم . اما تفسير التابع فقال السيوطي نقلا عن الزركشي : (وفي الرجوع الى قول التابعي روايتان عن احمد واختار ابن عقيل المنع وحكوه عن شعبة

لكن عمل المفسرين على خلافه فقد حكوا فى كتبهم اقوالهم لان غالبها تلقوها الصحابة وربما يحكى عنهم عبارات مختلفة الالفاظ فيظن من لا فهم عنده ان ذلك اختلاف محقق فيحكيه اقوالا وليس كذلك بل يكون كل واحد منهم ذكر معنى من الآية لكونه اظهر عنده او اليق بحال السائل وقد يكون بعضهم يخبر عن الشيء بلازمه ونظيره والآخر بمقصوده وثمرته والكل يؤول الى معنى واحد غالبا ، فان لم يمكن الجمع فالمتاخر من القولين عن الشخص الواحد مقدم ان استويا فى الصحة عنده والا فالصحيح المقدم انتهى.

وهذا ما يفتح آفاقا جديدة امام الراغبين فى التفسير من حيث وزن اقوال الصحابة فى غير سبب النزول وكذلك الشأن بل احرى فى قول التابعين فمن بعدهم وخصوصا ما نقل عن اهل الكتاب من الاسرائليات التي امتلأت بها كتب التفاسير بغير حق فعلى العلماء ان يتثبتوا فى التفسير المنقول عن الصحابة فاحرى المنقول عمن بعدهم . اما ما يتعلق بتفسير القرآن وما يتوقف عليه من يتكلم فيه او يستنبط منه فسنتناوله فى عدد مقبل بحول الله .

الرباط ـ محمد الطنجي

الخوف من الله والخوف من الناس

❊ الخوف من الله ، يزيل الخوف من الناس ، والخوف من الناس يزيل الخوف من الله .

(هوميروس)

الغضب

❊ الغضب ريح تهب فتطفيء سراج العقل .

(انجرسول)

❊ لا تتكلم وانت غاضب ، فلقد يصدر عنك كلام تندم عليه طوال حياتك .

(لوكاس)

دين الحضارة المثلى

❊ لو درس اعداء الاسلام هذا الدين بعمق ، متجردين عن اهوائهم واغراضهم لعلموا ان الدين الاسلامي دين صالح لكل زمان ومكان وانه دين الحضارة المثلى وان المسلمين لو استغلوا امكانيات هذا الدين وطاقاته لاستفادوا وافادوا البشرية جمعاء .

(موديبوكيتا رئيس جمهورية مالي)

توحيد الدعوة الاسلامية

للأستاذ عبد السلام الهراس

ان العالم الاسلامي لفي أمس الحاجة الى قيادة مذهبية تشكل حياته وفق ثقافة و فكـرة حضارية ، وبذلك فقط يمكن أن يقضى على المشاكل التي يتخبط فيها ، وكانت ملامح هذه القيادة ابتدات تتكون في الافق الاسلامي ، الا ان المؤامرات والطيش وحب الشهوات اسرعت بالاجهاز عليها وابعادها عن قيادة المسلمين الفكرية ! ولذا فان الدعوة الاسلامية تكاد تكون غائبة عن ميدان المعركة الرهيبة التي يخوضها العالـم الاسلامي مع نفسه والخارج ، بعد ان كانت اعظـم مفجر لطاقاته النفسية والروحية والفكرية ، واكبـر خطر يهدد الاستعمار والصهيونية ...

واضطرت الدعوة الاسلامية الى الانطـواء على نفسها متخنة بالجراح ، متقلة بالاشجـان ، ومهددة بالفناء والاستئصال . ومع ذلك فان نبضها ما يـزال اقوى من التهديد ، يستعصى على كل اسباب الموت . وما تزال الفكرة التي تدعو اليها حيـة في النفـوس ، راسخة في الافكار ، مرتبطـة اشد الارتباط بالافـراد والجماعات الاسلامية ، محتلة مكانتها الطبيعية مـن اهتمامها . وقد اصبح الاقتناع اليوم اكثر من اي وقت مضى بان العالم الاسلامي يعيش في فراغ عقائـدي وفكري ، ويعاني ازمـة ايديولوجيـة تهدد استقراره وسلامه ووحدته ، وتجعله عرضة المؤامرات الفكريـة والثقافية ، التي تستهدف تمزيق كيانـه ، وتشتيت قواه ، وتوسيع الشقة بينه وبين التفكير الجدي فـي حل مشاكله ، وما هذه الجامعات والمدارس والبعوث الثقافة الاستعمارية الا فيالق عسكرية مزودة بأفتك الاسلحه ، وأحدث التصميمات الاستراتجية للتدمير، والتهديم والافساد . وان كل محاولة لملء هذا الفراغ المخيف بالفكر الشعاري والتقليد الاعمـى ، والمذاهب الفائمة السرابية او التلقين والترقيع والاعتماد على الحماس الجاهـل ، والنزوات الطائشـة ، واحـلام اليقظة ــ ان كل محاولة من هذا النوع مصيرها الفشل المحقق ؛ ومن حسن الصدف ان يقـع في يدي ، وأنـا اكتب هذا المقال ، كتاب يعترف فيه صاحبه ، وهـو كاتب غربي مشهور ، بضحالة الفكرة التي كان يعتنقها ، ويقدم اكثر من دليل ، واكثر من مظهر لما يقول ، وقد وصف فكر « مذهبه » القديم بالفكر الشعاري ، وقـد دفعت الايديولوجية الوهمية وذاك الفكر الشعـاري باصحابه الى اتخاذ سلوك شاذ يتسم بالعنف والدم ، والسلبية ، واخيرا مايزالون في فراغهم الاول ، دون أن يجدوا فيما انتحلوه من مذهب ادنى غنـاء . واذا كان صاحب هذه الوثيقة يعترف بالفشل ، وهـو على حق ، وينتقد الفكر الشعاري الذي كان من اقطابـه حينا من الدهر ، فانه لايزال يدور في الفـراغ اذ لم يتخلص بعد من عقده وتكوينه الثقافي المزيف ليـرى الحقائق بكل موضوعية وتجرد ، فهو اذ يطلـق ثلاثـا مذهبه القديم ويفضح عوراته ، ويذيـع فضائحـه ومخازيـه ، لايقدم على محاولة حاسمة تغير نفسـه تغييرا جذريا يتيح له ان يعتنق فكرة حضارية اصيلة، بل نراه يسارع الى الفرار مـن الجمال الى الجمال ؛ وهذه مصيبة طبقة كبيرة مـن المتعلميـن الـذيـن يتحمسون لامتهم باخلاص ونكـران الـذات دون أن يتجاوبوا مع اهدافها ويستجيبوا لعقيدتها ويدركـوا حقيقة تكفيرها ! مما يجعلهـا دائما حليفـة الفشل ، ويسم عهد قيادتها بالاضطراب والبلبلة وسوء الظـن والفوضى ؛ ! واذا كان صاحبنا قـد وجـد في نفسـه الشجاعة للاعتراف بالحقيقـة او بالاحـرى بنصف الحقيقة فان هناك من امثاله من لايقدر على الاعتراف بها ، وبدافع الجبن والانانية يستمر في خـداع نفسه

الى ان يلاقي مصيره المحتوم ، وبالتالي تتردى معه امتـه !

وقد فرض الفكر الشعاري نفسه على امتنا الى جانب الرجعية التي تستغل الدين لفائدتها وشهواتها ، وهكذا يلتقي الجانبان في تضييع الفرصة على الامة ، وتعويقها عن التطور الخلاق ، وجعلها دائما في مؤخرة الركب ، خائرة القوى ، عاجزة عن الحركة الحية .

اما الفكرة الاسلامية فهي غائبة او كالغائبة لان الدعوة التي كانت تلتزم بها قد اختفت من القيادة ، ولذا فهي غير مسؤولة عن هذا الواقع الذي يعيشه العالم الاسلامي لانها لاتسهم في صنعه ، ولا يتاح لها ان تفعل ذلك ، الا بقايا ترابط على بعض الثغور الاسلامية في استماتة عجيبة ، وبأمل مشبوب يغالب اليأس ، ويصارع الفشل ، وعلى تلك البقايا يعقد العالم الاسلامي آماله .

ففي لبنان ، دعوة عباد الرحمن ، استطاعت قيادتها ان تتجنب كثيرا من الاخطار ، رغم ضراوتها وتعدد مصدرها ، وأن تربي في احضانها طليعة مؤمنة منذ صباها ؛ وقد ابتعث الآن وتخرج معظمها من الجامعات وبعضها وصل الى رتب علمية ممتازة . وفي غير لبنان من شباب الاسلام من اصبح مهيأ للقيادة والمسؤولية ؛ الا ان انعدام الوحدة القيادية للدعوة الاسلامية يجعل نشاط هؤلاء محدودا وضائعا .

ولذا نسارع الى توجيه هذا الاقتراح للجماعات الاسلامية القائمة الآن ، وبالاخص عباد الرحمن بلبنان والجماعة الاسلامية في باكستان ودار الندوة بالهند : وهو « توحيد قيادة الدعوة الاسلامية » في العالم الاسلامي ، ولاجل ذلك لابد من عقد مؤتمر اسلامي تقوم باعداده هذه الجماعات وليكن مؤتمرا اسلاميا من نوع جديد ، لا كهذه المؤتمرات التي تعقد باسم الاسلام ولا يستفيد المسلمون منها شيئا .

وهذا المؤتمر ينبغي أن تشرف عليه لجنة واعية صارمة لاتتساهل في تعيين اعضائه ، لان الذين يدعون الفكرة الاسلامية كثر ، ولكن مصيبة المسلمين في هؤلاء الذين يحتلون الدنيا بالدين ويلبسون للناس جلود الضأن من اللين ، السنتهم احلى من العسل ، وقلوبهم قلوب الذئاب ، ويحولون الدعوة الاسلامية لمنافع رخيصة ، وشهوات تافهة . ولذا فعلى هذه اللجنة ان تحتاط اشد الاحتياط حتى لا يتسرب للدعوة الاسلامية من هم في الحقيقة الد اعدائها . وقد يكون من السهل وضع المقاييس لذلك ولكن الصعوبة في التطبيق

كما يجب توفير كافة الشروط لانجاحه في الغاية المتوخاة منه الا وهي : توحيد قيادة الدعوة الاسلامية ، وفتح فروع في جميع انحاء العالم ، وبذلك تستطيع الفكرة الاسلامية ان تستعيد نشاطها من جديد ، باسلوب جديد وفعالية اكثر

وان للدعوة الاسلامية اليوم مجالات واسعة وخصبة بعد ان استقلت افريقيا ، وازدادت الحاجة الملحة للاسلام ونظامه ، وبعد ان نضجت عناصر من شباب الاسلام الذين آمنوا حق الايمان بان الاسلام هو الفكرة الوحيدة التي يمكن ان تنقذ عالمنا المسكين

فبتوحيد قيادة الدعوة الاسلامية وتنظيم هذه الدعوة على اسس جديدة يمكن للمسلمين ان يواجهوا المؤامرات الخبيثة التي يتعرض لها الاسلام في افريقيا وغيرها ويتسنى للمسلمين ان يفرغوا حماسهم ونشاطهم في اطار فكرة حضارية بناءة .

ان عقد هذا المؤتمر اصبح ضرورة ملحة تفرضها مصلحة الاسلام والمسلمين ، وان كل انزواء للدعوة الاسلامية انما هو اتاحة الفرصة لاعداء هذا الدين للاجهار على الاسلام ، وتوجيه اجيال المسلمين نحو الانشغال بالغرائز السفلى واشاعة الفوضى الاخلاقية والفكرية في المجتمع الاسلامي مما يجعله دائما تحت السيطرة الاجنبية وموضوع استغلالها

ان المؤتمر الذي ندعو لعقده سيقدم خدمة جليلة للمسلمين والاسلام لانه سيوحد الدعوة الاسلامية التي ستوجه الاجيال المؤمنة نحو الطريق المستقيم ليحققوا الاهداف التي فشلوا في الوصول اليها تحت قيادات اخرى ..

وان الظروف لنجاح هذا المؤتمر كثيرة والمهم ان ينظم الدعاة انفسهم من جديد تحت لواء القرآن .

تطوان ـ عبد السلام الهراس

رئيس جمعية القيم يتحدث :

تعريب الأستاذ محمد البواب المصمودي

مقدمة المترجم : بعد سنة من تأسيس جمعية ((القيم الاسلامية)) عقدت اجتماعا فى العاصمة الجزائرية فى الخامس من شهر يناير الماضي تحت اشراف رئيسها السيد الهاشمي التجاني .

وقد أسفر هذا الاجتماع عن قرارات هامة نشرتها الصحف فى ابانها ، ولكن هذه القرارات اصطدمت بعاصفة هوجاء من الانتقادات المرة وجهها بعض المسلمين ((المتحررين)) كما سمتهم جريدة لوموند التي نشرت خلاصة الاجتماع والانتقادات فى عددها الصادر بتاريخ 19 — 1 — 65 .

ولاحقاق الحق وازهاق الباطل ارتأى المسيو Paul Buttin مدير مجلة Confluent (مجمع النهرين) الا أن يتقابل مع رئيس الجمعية المذكور واجرى معه استجوابا هاما فى العدد 42 — 43 من المجلة الفرنسية السالفة الذكر ، أبينا الا أن نعربه لقراء مجلة (دعوة الحق) الغراء كي يطلع عليه الناطقون بالضاد ، نظرا لما امتاز به الاستجواب من صراحة وموضوعية ومنطقية فى الدفاع عن الاسلام بمصادر الاسلام الحق : الكتاب والسنة ، وذلك بعد أخذ اذني المستجوب (بالفتح) والمستجوب (بالكسر) اللذين نجدد لهما على صفحات هذه المجلة تشكراتنا الحارة على ما أسدياه الينا من أيادي بيضاء .

والرجلان فى غنى عن كل تعريف : فالسيد التجاني رغم جنسيته الجزائرية فانه من مواليد الرباط وتابع دراسته فى ثانوية المولى يوسف ومعهد الدروس العليا قديما اي كلية الاداب والعلوم الانسانية الان وابان استقلال الجزائر تقلد منصب الامين العام لجامعة الجزائر ، ويشغل الان مستشار فني فى ديوان وزير الفلاحة الجزائري ، كما انه يشرف على تسيير جمعية ((القيم الاسلامية)) بالجزائر ويحرر مجلتها : ((التهذيب الاسلامي)) وطبعتها الفرنسية Humanisme musulman.. وأبوه الشيخ أحمد التجاني فلا زال بالرباط لحد الان ، وهو أشهر من أن يعرف ، خصوصا وأن قراء مجلة دعوة الحق قرأوا له مرارا على صفحات هذه المجلة نفسها .

أما السيد Paul Buttin فهو من الفرنسيين الاحرار الذين ساعدوا على استقلال المغرب ، حيث كان محاميا بفاس ، ابان أزمة 1953 ودافع عن الفدائيين فى المحاكم ، ويعمل الان مديرا لمجلة Confluent (مجمع النهرين) التي تهتم بالعلاقات الثقافية والفنية والاجتماعية بين أقطار المغرب العربي وفرنسا .

((المترجم))

س — بما أنكم رئيس جمعية ((القيم)) فهل فى استطاعتكم أن تبينو لنا فحوى هذه التسمية ؟

ج — القيم جمع قيمة ، واننا نقصد بذلك القيم الاسلامية .

س — فى الخامس من شهر يناير الماضي عقدتم بالجزائر العاصمة اجتماعا حضره جمهور غفير من الناس ، وكان هذا الاجتماع مثار تعليقات متعددة ، واريد أن أعرف الان ماذا كانت الغاية من عقد هذا الاجتماع ، واود باديء ذي بدء أن تحدثوني عن غاية جمعيتكم .

ج — غاية جمعيتنا هي بعث القيم الاسلامية التي لاقت محنا متعددة فى الجزائر ليس من طرف الاستعمار فحسب ولكن ايضا من جراء الانحطاط الذي أصيب به المسلمون منذ قرون متعددة فى الشرق ، ونحن سائرون على نهج جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده ، ولكن بفعالية مطابقة لمستلزمات العصر الحاضر لان الفرق الزمني بين هذه الحركات السلفية وحركتنا هو نصف قرن .

س — هل هناك فرق بين القيم التي تريدون بعثها وبين التي كان ينادي بها ((العلماء)) ؟ (1)

ج — نفس القيم تقريبا الا أن ثقافة ((العلماء)) كانت عربية فقط ، أما ثقافة الاغلبية الساحقة منا فهي مزدوجة ، وهذا يجعلنا أولا : نتاثر بالقيم الاسلامية وبالقيم المستقاة من معين آخر ... ثانيا : هذه الثقافة المزدوجة تجعلنا بمثابة همزة الوصل بين الشرق والغرب .

س — والآن ، ماذا كانت الغاية من الاجتماع الذي عقدتموه فى الخامس من يناير الاخير ؟

ج — غاية اجتماعنا كانت تستهدف شن حملة دعائية للتعريف بمثلنا العليا وباهدافنا وبعملنا وبالنتائج التي حصلنا عليها بعد سنة ، وكذلك من اجل أن نعلن عن الاحاديث التي سيلقيها بعض أفراد جمعيتنا خلال شهر رمضان الذي هو — كما تعرفونه — شهر اختبار وتوبة يراد به شحذ الشعور وتقوية العزيمة ، والسمو بالفكر والسلوك . واعتزمنا القيام بمحاضرات فى مختلف أحياء العاصمة (الجزائر) فى المساجد والاندية الثقافية والرياضية والطلابية وحتى ببعض المدارس ، ولقد عملنا مثل هذا فى السنة الماضية ، ولكن الافكار لم تكن مهيأة لتقدير مجهودنا ولكن نتيجة هذه السنة كانت عكس نتيجة السنة الماضية .

س — هل استطعتم ممارسة حملتكم الدعائية دون أن تعترضكم بعض الصعوبات ؟

ج — لم نلاق أية صعوبة مطلقا ، اذ قمت أنا شخصيا بالقاء بعض الاحاديث فى أغلبية مساجد وأندية العاصمة الجزائرية ، وحملتنا الخاصة بالمحاضرات مرت بدون مانع ، وقدمنا الى الحكومة بعض الاقتراحات تتعلق بالقيام ببعض الاصلاحات كتخصيص يوم الجمعة للعطلة الاسبوعية وادراج مواد الدين والتاريخ الاسلاميين — اجباريا — فى كل مستويات التعليم بدون استثناء حتى الجامعي منه .

س — الم يسفر موقفكم عن حوادث فى الجامعة ؟

ج — حقيقة أن الشيوعيين والماركسيين الذين تسربوا الى الجهاز الاداري والمنظمات الوطنية استطاعوا الحصول على مغادرتي للجامعة التي كنت أمينا عاما لها . ولكن البيان الذي أصدروه فى سابع عشر يناير أماط اللثام عن كون الموقعين الاربعة والعشرين ألد أعداء العروبة وأبرز ممثلين للالحاد فى الجزائر . والحكومة قلقت بعض الشيء من اجتماعنا فى الخامس من يناير نظرا لحضور محمد خيضر صدفة ، وهكذا تخيل البعض أن اجتماعنا اكتسى صبغة سياسية لم يكتسها مطلقا . وقد استفسرت فى الموضوع أمام وزير الداخلية الذي استدعاني ، والذي — أظن — أنه تفهم موقفنا جيدا ... ولكن الصحافة المحلية المنضوية تحت لواء الماركسية التي تقلقها حركتنا زورت ذلك لحاجة فى نفس يعقوب . وقرأت أيضا مقالات مروعة ضد الحقيقة فى جرائد : الفكارو — جون أفريك — وخصوصا فى : لوموند وكزيطة لوزان .

س — تلتم آنفا ان جمعيتكم تعطي لكلمة « قيم » مدلولا واسعا لكونها تتبل قيم الاسلام وحتى بعض القيم والمفاهيم الغربية ، فما هي القيم الاسلامية التي تريدون احياءها بصفة خاصة ؟

---

1) لعل المستجوب (بالكسر) يقصد بسؤاله : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ذات الماضي المجيد الحافل بالمجد ، والصيت الذائع ابان الاستعمار الفرنسي (المترجم)

ج — ان أخص القيم هي معرفة القرآن لاننا نعتبر انه كان ولا زال وسيبقى ثورة معنوية حقة ، ثقافية واجتماعية ، ففى المجال الاخلاقي كان العرب فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم فى طليعة الامم والشعوب والحضارات وحتى قبله كانت أخلاقهم من أحسن أخلاق الشعوب قاطبة . واختار الله أن يوحي بالحقيقة الى اكثر الناس جدارة بمعرفتها ((والله يعلم حيث يجعل رسالاته)) فقد اختار ان ينزل القرآن على النبي (صلعم) لانه كان يعتبره أطهر العرب ، ولقد اصطفي النبي (صلعم) من العرب لكون الله يعتبرهم أحسن شعب مهيء لقبول هذا الوحي .

س — يظهر لي انكم تبنون وجهة نظركم على نص ديني منزل اكثر مما تعتمدون على حقائق تاريخية ؟

ج — اعتمد فى الحقيقة على الاثنين معا . فالامبراطورية الرومانية حينئذ كانت منقسمة ، والامبراطوريات الغربية والشرقية والفارسية ، والحضارة الصينية والعالمان المسيحي والاسرائلي كانوا كلهم فى انحطاط .

س — الم يكن للعرب وقتئذ حضارتان : واحدة مدنية واخرى بدوية ؟ فالى اي منهما ترمزون ؟

ج — ان الجواب على هذا السؤال ليس بالامر الهين ، انني أعتبر أن المزايا الاخلاقية توجد عند البدو ، وأضيف أن سكان مكة ويثرب وصنعاء كانوا يرجعون الى بداوتهم مرارا وتكرارا . وأعرف أنه تؤخذ عليهم بعض المساوىء كوأد بناتهم حيات ، ولكن الا يمكن أن نجد لهم عذرا فى تفسير هذا العمل فى الدفاع عن شرف الاسرة والقبيلة ؟ أو أحيانا لتجنب اطعام بطن لا فائدة فيه ، ولا ننسى أن الاقلية هي التي كانت تتعاطى هذا العمل الذى استطاع القرآن وحده أن يبطله .

س — أليست هذه النظرية التي تدافعون عنها مخالفة لنظرية مسلمين متعددين آخرين يعتبرون أن الحضارة التي أتى بها القرآن كانت ثورة بالنسبة للحضارة المتقدمة ، وبالخصوص بالنسبة لحضارة البدو؟

ج — انني لا أعارض هذه النظرية البتة ، ولكنني اعتبر أنه فيما يخص الناحية الثقافية مثلا كان للعرب وقتئذ لغة من أرقى لغات الارض ، ولم يكن ثمة غرابة أن نرى البدو فى العصر الجاهلي يتقنون الاعراب بسهولة منقطعة النظير ، الشيء الذى نستصعبه اليوم ، ونلاحظ أنه كان لهم أدب شعري راقي جدا . ولا زال فحول شعراء الجاهلية أساتذة الشعر ، والذين تعاقبوا بعض ظهور النبي (صلعم) كان يستقون من معينهم .

س — اذا ما هي خلاصة القيم القرآنية التي تريدون تجديدها فى الوقت الحاضر ؟ وفى الوقت نفسه ، لماذا كتب لهذه القيم ان تتلاشى وتضمحل منذ قرون ؟

ج — ان الجواب على هذا السؤال الاخير يهمني جدا ، حيث انني وطدت العزم على نشر أطروحة فى هذا الموضوع . انني أعتبر أن مرد هذا الانحطاط لا يرجع الى غارات المغول والاتراك فى الشرق الاوسط أو للهجمات المسيحية فى اسبانيا كما يعتقد . فبعض الكتاب يرجعون سبب هذا الانحطاط الى عوامل اقتصادية أو سياسية ، وانا لا أقر هذا مطلقا ، ومن أجل اقرار الحقيقة التاريخية يجب القول بان بوادر الانحطاط ظهرت فى اليوم الذي بدأ فيه العرب يميلون الى الحلول السهلة ويبتعدون عن المثل القويمة التى أتى بها النبي (صلعم) . انحرف العرب عن مبادىء القرآن التي تشير الى الرقابة الالاهية أي الوازع الديني فى كل قول أو تفكير أو عمل انساني وهذا المفهوم للوازع الديني اساسي جدا . ففي الجاهلية كانت للعرب — كما قلت لكم سابقا — مزايا متعددة : كانوا شجعانا كرماء ، وكانوا يتقنون لغتهم أيما اتقان . وكان الفرس والبيزانطيون والاحباش والهنوديستأجرون باغلى ثمن شجاعة المحاربين العرب وفروسيتهم التى كانت مضرب الامثال وكانت للجزيرة العربية علاقات تجارية مع شعوب المحيط الهندي ، والبحر الاحمر والبحر الابيض المتوسط . فالقرآن اتاهم بما كان يعوزهم من عوامل النظام الروحي .

س — هل فى استطاعتكم أن توضحوا فكرتكم المتعلقة بالوازع الديني ؟

ج — كان للعرب سجايا متعددة ، ولكنهم كانوا فى حروب مستمرة مع بعضهم البعض ، ولكن عندما أفهمهم النبي (صلعم) معنى الوازع الديني ، استطاعوا أن يحققوا المعجزات ويخلقوا حضارة . فالوازع الديني شحد شعورهم وفكرهم وعملهم ودفعهم الى الائتلاف ونسيان المصالح الذاتية، واحلال مصلحة الجماعة محلها واحلال مجد الله محل اعزاز القبيلة ، وحب الانسانية عوض حب العشيرة . وبالرغم من مزايا النبي (صلعم) الشخصية الخارقة للعادة ، ومن صفته معلما أكبر ، فانه لم يتمتع باحترام العرب الا لكونهم عرفوا فيه الامين على الرسالة الالاهية . والنبي (صلعم) كان يعتبر انسانا مثل جميع البشر ، ولما عرف العرب معنى الوازع الديني وتشبثوا به استطاعوا تاليف أمة موحدة ، منظمة ومهذبة .

ولقد عرف القرآن — أحسن من أي كتاب منزل وأحسن من كل فلسفة وأحسن من كل مثالية أو تشريع — عرف كيف يكبح جماح شهوات العرب وغرائزهم وأهواءهم ، وعندما رجع النبي (صلعم) ذات يوم من احدى الغزوات قال لاصحابه : ((رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر)) وعنده أن الجهاد الاكبر هو جهاد النفس ومقاومة الاهواء والنوازع ، وقال أيضا : ((المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله عز وجل)) .

س — هذه الاقوال التى ذكرتموها الان ، هل هي احاديث نبوية أم هي مستقاة من القرآن ؟

ج — انها أحاديث نبوية ، ولكن الاحاديث توجد كلها في القرآن الكريم ولو لم تكن بتعابيرها فانها توجد بمعانيها . قال تعالى : ((سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والارض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين)) (سورة آل عمران 134) . وقال أيضا ((والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون ، وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفى واصلح فاجره على الله ، ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل .. ولمن صبر وغفر أن ذلك لمن عزم الامور)) (سورة الشورى 39 — 43)

فهذه أوامر قلما كان يعرفها عرب الجاهلية ولا يعملون بها الا نادرا لان الاخذ بالثأر كان من خصائصهم البارزة للمحافظة على شرف القبيلة ، والقرآن هو الذي أتاهم بمفهوم المسامحة والغفران .

س — ارجع الى السؤال الهام المتعلق بالوازع الديني ، فكيف يمارس ؟ وبعبارة اخرى ما هي العلاقات الكائنة بين الخالق والمخلوق ؟

ج — أريد أن ألقي هذا السؤال على الجيل الصاعد. فاذا كان الله قد أمرنا بخمس صلوات في اليوم ، فلكي يبقى الوازع الديني مستمرا دائما . تأملوا التوزيع الزمني للصلوات: فالفجر يقع في الصباح الباكر قبل طلوع الشمس كي نشكر الله تعالى الذى أعطانا الحياة مرة ثانية بعد النوم الذى يشبه الموت ، ونطلب منه القوة حتى نستطيع تأدية دورنا في الحياة اليومية ، وعندما اذهب الى السوق أو الى عملي أطلب المعونة من الله ، وصلاة الظهر تكون بعد الرجوع من العمل بين الثانية عشرة والنصف والواحدة زوالا ، وهي فرصة كي نحمد الله عز وجل ويساعدنا على القيام بمهمتنا في بناء المجتمع ، والعصر الذي أعطانا عملا نكسب منه قوتنا وقوت اسرتنا في الثالثة والنصف او الرابعة — حسب الفصول — وسنتحدث عنه فيما بعد . ثم تأتي صلاة المغرب التي نقوم بها مثل سابقاتها ، ولكنها تختلف عن الاخرى لكوننا نقطع علاقتنا مع الخارج ، وهي تدخلنا مباشرة في الحياة العائلية الخاصة التي يطول أمدها حتى يحين موعد الذهاب الى العمل من جديد ، وأخيرا الصلاة النهائية أي صلاة العشاء التي تؤدى قبل النوم كي نشكر الله الذي أعطانا الصحة والذي أعاننا على التغلب على مشاكل اليوم ...

وليس اليوم في الحقيقة سوى حلقة صغيرة من سلسلة حلقات تؤلف عدد الايام التى تكون الحياة . والصلاة الصعبة جدا هي صلاة العصر التى تكون في الثالثة والنصف بعد الزوال حيث تكون الاغلبية الساحقة من الناس منهمكة في عملها . لقد أمرنا الله بالقيام بهذه الصلاة من هذه الساعة بالذات التى تكون فيها افكار الانسان كلها متجهة نحو الاشغال المادية والتى تكاد تنسيه الله وتشجعه على ارتكاب محرمات تعود بالضرر عليه وعلى المجتمع معا .

واعادة الصلاة وتكرارها يقوي عند الانسان الشعور بوجود الله الذي يراقب أعمالنا وأفكارنا وحتى مشاعرنا الخاصة

وبفضل هذه المراقبة الالاهية لا نتفادى المحرمات فقط ، بل نتفادى أيضا الشطط والاجرام ، وهكذا فالانسان مدفوع باستمرار الى العمل من أجل الكمال .

افترض أنني مسؤول عن ادارة وأني وحيد في مكتبي لا يراقبني أحد أستطيع أن أتصرف حسب هواي، وأن أقوم بأي عمل آخر غير عملي فاذا كنت أصلي وأعيش في هذه البيئة المحفوفة بالوازع الديني والخوف من الله ، عندئذ أعرف أنه يوجد أحد يراقبني ويأخذ علي عدم قيامي بواجبي ، فالصلاة الحقيقية هيتدريب مستمر ومحافظة ناجحة ليقظة الضمير .

فالذين يصلون ولا يحافظون باستمرار على يقظة ضميرهم فانهم لا يفهمون من الصلاة الا طقوسا صورية تخضع لعادة عقيمة أكل عليها الدهر وشرب ، ولهذا فمآت الملايين من المسلمين والمسيحيين واليهود والهنود والبوذيين لا يفقهون شيئا من الصلاة الحقة .

س — في تعاليم الدين المسيحي تعرف الصلاة بكونها ((الصعود بأرواحنا الى الله ، كي نعبده ونشكره ونطلب منه التجاوز عن خطايانا ، ونعرض عليه عوزنا ونطلب توفيقه)) . فهل يقبل المسلمون تعريفا كهذا ؟

ج — التعريفان الاسلامي والمسيحي يلتقيان الا أن القرآن يبرز المجهود الذي يجب القيام به من اجل الاصلاح والكمال ، والله يحب الذين يؤدون عملهم من أجل الكمال ، أما الصدقة والعطاء فهي أشياء ثانوية . والمهم هو العمل من أجل الفضيلة والخير والكمال والشعور بضرورة السير في هذا المضمار . وحسب ظني هنا يكمن السبب في كون العرب قاموا بالاعمال الجليلة بعد النبي (صلعم) لا قبله ، وهذا — بلا شك — شيء عسير الادراك .

قال تعالى : ((وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون)) (التوبة 105) .

وقال أيضا : ((نعم آجر العاملين)) (العنكبوت 58) .

وقال أيضا : ((فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة)) (البلد 10 — 15) .

وقال أيضا : ((والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين)) (آخر العنكبوت)

وقال أيضا : ((والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم)) (محمد 17)

وقال أيضا : ((والله يحب المتطهرين)) (التوبة 108) .

وقال أيضا : ((يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون)) (آخر آية من آل عمران) .

وقال أيضا : ((أم حسبتموا أن تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم الباساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب)) (البقرة 214) .

وقال أيضا : ((وكاين من نبي قتل . معه ربيون كثير . فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين)) . (آل عمران 114) .

وقال يضا : ((ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات ...)) (148 من البقرة)

وقال أيضا : ((ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين ، وفي الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ، والصابرين في الباساء والضراء وحين الباس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون)) (البقرة 177) .

وقال أيضا : ((وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون)) (البقرة 280) .

وقال أيضا : ((والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويوثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون)) (الحشر 9) .

ان الفضائل التي تحدث القرآن عليها في هذه الايات التي ذكرناها كلها في حاجة الى مجهود متواصل كي تتحقق . والعرب وباقي المسلمين الذين شحنوا بهذه المفاهيم القرآنية حافظوا زهاء سبعة قرون على هذه النفسية المتحفزة للارادة والعمل الذين استطاع العرب بواسطتيهما أن ينشؤا حضارة من أرقى الحضارات . ولكن عند ما فقد المسلمون روح الصلاة واكتفوا بظاهر الطقوس ، وأهمل القرآن في زاوية النسيان بالمكتبات استرخى التحفز وأصبح الانحطاط حقيقة واقعية لا مناص منها .

وفي الوقت نفسه يدعونا القرآن في الحاح الى درس الظواهر الطبيعية والى محاولة استخدامها لصالح المجتمع الانساني والاخذ بكل ما من شأنه أن

يوافق المصلحة العامة ، ويوصينا بالبحث عن معنى الحياة واستكناه سر هذا العالم الذي نعيش فيه .

س — أتفهم جيدا فكرتكم ، انكم تستخرجون من القرآن اخلاقا ومفهوما تقدميا للحياة . ولكن ، يظهر لنا — نحن الذين نرى الاشياء من ظواهرها — أن حياة المسلمين خاملة ولا تتجلى فيها هذه الديناميكية التي تحدثوننا عنها . فكيف تشرحون هذا التنقيص من قيمة تعتبرونها احدى القيم الهامة في الاسلام للوصول الى تصور مطابق موجه نحو الماضي أكثر منه نحو التقدم ؟

ج — ان مفهوم الجمود والخمول يرجع — حسب ظني — الى عامل طبيعي وهو التماس الراحة بعد الاجهاد ولكن ربما اعترضتم علي بأن القرآن موجود امام أعين المسلمين ، وأن لهم مؤلفات تدعوهم الى العمل في المجال الثقافي والاخلاقي والاقتصادي ، وخصوصا أنه يوجد في وسطهم رجال يعطونهم مثالا للعمل ويتقشفون ويصبرون

لانهم يعلمون أن الحب لا يعطي أكله عند زرعه مباشرة ، ولكن الناس يتجهون في أغلب الاحيان نحو النتائج العاجلة وهذا يفسر كون المادية تنجح مبدئيا ، فهي تعرض نتيجة ملموسة عاجلة .

س — هل تعليم القرآن الذي كان يدرس في الجامعات الاسلامية منذ عصر الانحطاط الذي أشرتم له آنفا ، كان يهتم بالرواية أكثر منه بالدراية ؟

ج — لقد اهتم الناس في عصور الانحطاط بالنص . الا أن النص قتال للتفكير وللتدبير ، ونحن الان ننهض بعد انحطاط نسير خاصة على نهج الشيخ عبده وجمال الدين وشكيب أرسلان والبنا وسيد قطب والغزالي والسمان ... وببعض النظريات التي أتتنا من الباكستان . وقد بدأ الاهتمام بالفكر يزداد شيئا فشيئا ، وفي هذا الموضوع أخبر الله في سورة آل عمران أنه توجد في القرآن آيات متشابهات وأخر محكمات هن أم الكتاب فالذين يعتنون بالمظاهر يهتمون بأسلوب الايات المتشابهات ، أما ذوو الافكار النيرة والاذهان الثاقبة فانهم يسبرون غور القرآن ويأخذون عصارة الايات المحكمات التي تكون أم الكتاب : قال تعالى :

((هو الذي أنزل عليك الكتاب . منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم ، يقولون آمنا به ، كل من عند ربنا ، وما يذكر الا أولوا الالباب)) (آل عمران 6) .

ان الله الذي خلق الكون يعلم حق العلم كل شيء ، وهو قادر على كل شيء ، وهو معصوم ومنزه عن الخطأ ، واذا لم يرد شيئا فلا يمكن أن يكون ضد المعرفة الربانية الكلية والارادة الالاهية الحكيمة ، فجميع حوادث الخير أو الشر التي تعتري حياة الانسان لا تقع الا بعد سابق علم من الله تعالى وحتى تخضع لقوانين الطبيعة ونواميسها التي سنها الله . قال تعالى :

((ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ، ان ذلك على الله يسير ، لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ، والله لا يحب كل مختال فخور)) . (الحديد 21 — 22) .

وهذا ما سماه بعض ذوي العقول المريضة أو المتقاعسين بالقدر المحتوم أو الجبرية ولكن ((الكتاب)) الذي تتحدث عنه الاية السابقة ليس بكتاب منزل كالقرآن والانجيل والتوراة والزبور ، ولا بكتاب العلوم الخفية ، ولكنه كتاب الخلق والتكوين أي ترتيب الطبقات والانواع المخلوقة التي تتعلق بالاهداف التي ترمي اليها حياة كل كائن . ((والمكتوب)) ليس الا حركة تطور الطبيعة في كلياتها وأجزائها . وبالرغم من الانحطاط الراهن الذي أصاب المسلمين فان مفهوما كهذا سيمنعهم من الانحراف في تيار التشاؤم واليأس الذي يرتمي فيه اليائسون ، فاقدو الامل والغاضبون والمغلوبون ، وأقصد الانتحار الذي أصبح مرضا اجتماعيا تعاني من ويلاته أوروبا وأميركا واليابان .

ومن جهة أخرى فان هذه الاية القرآنية لا تتعارض مع مبدأ المسؤولية ولا مع تبعة الاختيار الحر . قال تعالى : ((انا عرضنا الامانة على السماوات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا)) . (الاحزاب 72) .

وهذا الظلم وهذا الجهل جزآن لا يتجزآن من الانانية والخبث اللذين أسالا دماء كثيرة وأسفر عن مصائب ومساوىء من عهد قابيل الى عصرنا الحاضر .

وهذا لا يتنافى مع كون الله منح الانسان الذكاء والضمير والارادة التي من شأنها أن تحمله على الارتقاء الى أعلى عليين وجعله متحكما في عوالم المعادن والنباتات والحيوانات بل في باقي الكون اذا أمكن والى هذا تشير الاية التالية : ((واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال اني أعلم ما لا تعلمون)) (البقرة 29) .

وهذه الاية الاخيرة تمجد الانسان وتخبر أنه — بالرغم من الاخطاء (كالانانية والكسل) الملازمة لطبيعتنا المتطورة ، فاننا نتوفر على الخصال الحميدة التي تساعدنا على الارتقاء وكبح جماح شهواتنا والتغلب على جهلنا وضعفنا . واليك بعض الايات المتشابهات التي لا يفقه السطحيون مدلولاتها لانها تلتبس عليهم لكون عقولهم متكاسلة خاملة قال تعالى : ((... وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله ، وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ، قل كل من عند الله ، فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا !)) (النساء 77) .

ومذهب الاختيار هذا لا يتعارض مع العلم الكلي والقوة المطلقة اللذين ينفرد بهما عز وجل فحسب ، بل ان في الايات التالية ما يبرز ذلكم الاختيار ويؤكده :

((ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك)) (النساء 77)

« وما تجزون الا ما كنتم تعملون » (الصافات 39)
« ولا تزر وازرة وزر أخرى » (النجم 37)
« وأن ليس للانسان الا ما سعى »

وتحدث الله عن الشعوب المنحطة والمغلوبة على أمرها والتي تسبب لها سلوكها السيء في الهلاك أو التي ستجد أبواب جهنم مفتوحة في انتظارها من جراء تصرفها المشين ، فقال :

« وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون » (الزخرف 76) .

« وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون » (آل عمران 117)

« ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون » (يونس 44) .

ويتجلى التصرف الحر بوضوح من خلال الايات التالية . قال تعالى : « ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد » (ق 29) .

« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » (الزلزلة 8)

« ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويوت من لدنه أجرا عظيما » . (النساء 40)

وأخيرا هذه الاية الجليلة ، الرفيعة الشان ، مفتاح كل بحث يتعلق بعزة الامم والشعوب حتى تصل الى أعلى عليين أو انحطاطها واندحارها الى أسفل سافلين . قال تعالى :

« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » (الرعد 12)

وهذه هي الايات الاساسية التي تكون قاعدة الاخلاق الاسلامية والتي تبدد ما قد يظهر حاملا لمعاني الظلم في الايات المتشابهات . فهذه الايات ليست في الحقيقة سوى ملاحظات جزئية لبعض الاحوال الخاصة أو تفصيل لمبادىء عامة ، قال تعالى :

« والله فضل بعضكم على بعض في الرزق » . (النحل 71) .

« أنظر كيف فضلنا بعضكم على بعض ، وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا » (الاسراء 21)

« ان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء » . (فاطر 8)

ويوضح الله في آية أخرى اذ يقول :

« وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض ، أولئك هم الخاسرون » (البقرة 25 — 26) .

اما فيما يخص انقسام العالم الى مالكين وغير مالكين فانه ناشيء عن ظلم ، ظلم لم يأت منه تعالى ، ولكنه نشأ عن سلوك الناس الذين جعلوا هذه اللامساواة الاجتماعية شيئا حتميا ، قال تعالى :

« ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس » . (الروم 40) .

ولكن ، نرى الفقراء راضين بمصيرهم الذي دفعهم اليه يأسهم وجمودهم ، فاذا لم يشمروا على ساعد الجد لاحلال توازن محل هذا الجور ، فان قسطا وافرا من المسؤولية عن هذه الحالة المزرية سيقع على كاهلهم . والقرآن يوجب على الفقراء والمظلومين القيام بثورة لاصلاح الحال . قال تعالى :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله » (آل عمران 109)

ويقول حديث شريف في هذا المعنى : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان » ويزيد القرآن قائلا :

« ولتكن ، منكم أمة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » (آل عمران 103)

ان كل المصلحين الدينيين والاجتماعيين والسياسيين في الاسلام كانوا يبدأون حركتهم التجديدية بالاستدلال بهذه الاية الكريمة .

ان هذا المفهوم الديناميكي للفكر والسلوك كان باستمرار السلاح الحاد الذي أشهره المسلمون المخلصون في وجه الديكتاتوريين والظالمين والمتعسفين والخائنين والمحتكرين .

القوا نظرة على تاريخ الاسلام فستجدون الحيوية تتدفق من الآية المذكورة التي كانت سببا في ظهور الخوارج والعباسيين والادارسة والاغالبة والفاطميين والمرابطين والموحدين في الجزيرة العربية والمغرب العربي ، والصفاريين والحمدانيين والبويهيين والطولونيين والمماليك والعثمانيين في الشرق .

وهكذا كان ايضا بالنسبة لابي ذر الغفاري ، لابن تومرت ، لعبيد الله الخرساني ، لابن تيمية ، لابن حنبل، لعبد الوهاب ، للسنوسي ، للامير عبد القادر ، للافغاني لعبده ، للامير عبد الكريم ، لرشيد رضا ، لشكيب ارسلان ، لابن باديس ، لحسن البنا ، للاخوان المسلمين ، للشبان المسلمين ، لعباد الرحمان ، لشبان محمد ...

س — الخص فكرتكم : اظن انكم الححتم في الوازع الديني في العلاقات بين الله والانسان وفي الاخلاق الفاضلة التي — هي حسب ظنكم — جانب من الجوانب الهامة في المذهبية القرآنية . فهل هناك قيم اخرى رئيسية ؟

ج — نعم ، هناك قضية التوحيد وهي اساسية بالنسبة الي وهامة بالنسبة للمسلمين كافة ، لكونهم لا يتساهلون فيها مطلقا ، وتكون خط دفاع يقينا شر التردي في المادية وأستسمح اذا كنت سأذكر شيئا يجرح عواطفكم لكونكم مسيحيا ، والمسلمون هم وحدهم — من بين غير المسيحيين — الذين يقدسون المسيح وأمه ، ولكننا لا نستطيع أن نقبل ، ولا حتى أن نتصور أن لله ولدا .

قال تعالى : ((ما كان لبشر أن يوتيه الله الكتاب والحكم والنبوءة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون)) (آل عمران 78)

((ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله)) (البقرة 164)

ويقول القرآن الكريم على لسان المسيح :

((ان الله ربي وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم)) (آل عمران 50)

((وقالوا اتخذ الله ولدا ، سبحانه ، بل له ما في السماوات والارض ، كل له قانتون)) ((البقرة 115)

ثم ينتقل القرآن الى المحاورة التي ستجري بين الله وعبده المسيح في يوم الحساب :

((واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله ؟؟ قال : سبحانك ! ما يكون لي أن أقول ما ليس لي به حق ، ان كنت قلته فقد علمته، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك، انك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن أعبدوا الله ربي وربكم . وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد ، ان تعذبهم فانهم عبادك ، وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم)) (المائدة)) (116 — 118)

وبعد ما يقص القرآن ولادة المسيح يزيد قائلا :

((ذلك عيسى بن مريم ، قول الحق الذي فيه تمترون . ما كان لله أن يتخذ من ولد ، سبحانه ! اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون)) (مريم 33 — 34)

((لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم ، انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ، ومأواه النار ، وما للظالمين من انصار . لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ، وما من اله الا اله واحد ، وان لم ينتهوا عما يقولون ، ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم . أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه ، والله غفور رحيم ، ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وأمه صديقة ، كانا ياكلان الطعام ، انظر كيف نبين لهم الايات ثم انظر أنى يوفكون)) (المائدة 72 — 75)

((ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ، خلقه من تراب ، ثم قال له كن فيكون)) (آل عمران 59)

وفي الحقيقة فان خلق الانسان الاول كان معجزة خارقة للمادة ، خصوصا وانه لم يكن له لا أب ولا أم ، أما المسيح فقد كانت له أم على الاقل .

ونظرا لضيق المجال فسوف لا أذكر الايات المتعلقة بالمسيح ولكنني سأختم بهذه :

((وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ، لقد جئتم شيئا ادا ، تكاد السماوات يتفطرن منه ، وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ، أن دعوا للرحمان ولدا . وما ينبغي للرحمان أن يتخذ ولدا . ان كل من في السماوات والارض الا آتي الرحمن عبدا ، لقد أحصاهم وعدهم عدا ، وكلهم آتيه يوم القيامة فردا)) (مريم 88 — 95)

((يتبع))

فراغ يجب أن يملأ

للأستاذ : محمد عبد العزيز الدباغ

- 2 -

ايها الشباب لقد حفزني الى الحديث عن الايمان والاخلاق ما الاحظه في اتصالاتي المباشرة ببعض الافراد من الانكار والجحود واللامبالاة بأي حديث يرتبط بالدين او الاخلاق او الثقافة العربية عامة .

اننا في الحكم الجغرافي والتاريخي والواقعي عرب مسلمون فاذا تسرب الانحلال الينا فهو لا يقتصر علينا وانما يتجاوزنا الى الجنس والدين .

ونحن وان كنا لا ندعو الى التعصب الجنسي او التعصب الديني فنحن مضطرون امام التيارات العالمية ان نضع انفسنا في مكاننا اللائق بنا ، فلن يرضى الانسان ان يكون امعة او ان يكون عبدا ذلولا يساق كما تساق الانعام ، خصوصا واننا لسنا طفيليين على الحضارات او العلوم فتاريخنا يشهد باننا قمنا بدور علمي واجتماعي عظيم .

ومن الواجب علينا ان لا نردد ما قمنا به في التاريخ دون ان نعمل من جديد على تحقيق مدنية صالحة فالشاعر العربي يقول :

فشر العالمين ذوو خمول
اذا فاخرتهم ذكروا الجدودا

وخير الناس ذو حسب قديم
اقام لنفسه حسبا جديدا

ان الافتخار بالماضي لا يفيد اذا لم يضف اليه عمل جديد ولكننا مع الاسف نرى انفسنا مضطرين الى الافتخار بالجدود لنجعل هذا الافتخار مستند الانطلاق ومبعث الانعتاق من هذا الجهل الذي نتخبط فيه .

ان هذا الماضي الذي نريد ان نفتخر به ليكون مبدأ الانطلاق مجهول عند اكثر شبابنا وان هذا الجهل هو سبب ضعفهم واستخفافهم بحضارتنا ولغتنا .

يجب ان يعلم شبابنا ان الاسلام هو سبب ضعفهم واستخفافهم بحضارتنا ولغتنا .

يجب ان يعلم شبابنا ان الاسلام منذ انبعث في الجزيرة العربية وهو يعمل على تحرير الفرد من الخرافات ومن الاستعباد ومن الظلم ومن الاخلاق الفاسدة .

لقد جاء الاسلام فوجد العرب يؤمنون بخرافات شتى يصرفون الطير في امورهم ويعبدون الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ويكثرون من الحروب الانتقامية ويئدون البنات متى شاؤوا وتغلب عليهم العصبية يناصر الفرد قبيلته ظالمة او مظلومة ، ويفتخر بها امام الملا فيعادي من يعاديها ويسالم من يسالمها دون ان يفكر في تاسيس قومية عربية او اتحاد عام يجمع العرب ويوحدهم .

لقد جاء الاسلام فوجد الربا منتشرا بين الناس يشل حركة الاقتصاد بينهم ويجعل للاغنياء دولة على الفقراء .

لقد جاء الاسلام فوجد انحلالا خلقيا يتسرب الى بعض الاسر ووجد المتعة املا يرتجى وهدفا يقصد ، فانكر كل ما رأى واعلن الثورة الكبرى على هذه التقاليد الفاسدة التي جعلت العرب آنذاك

متخلفين تتحكم بعض الدول الكبرى في حدودهم ويستمر التناحر بينهم وسط جزيرتهم .. ودعاهم الى الوحدة الدينية التي جمعت شملهم وفتحت امامهم باب الامل فخرجوا من الجزيرة بمبادئهم الجديدة التي افادت العالم فيما بعد .

ان الاسلام كان من اقوى الاسباب التي رفعت من شان العرب واثرت في اتحادهم حينما استجابوا لنداء الله وقد من الله عليهم بذلك وذكرهم به في الكتاب العزيز فقال : «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم ءاياته لعلكم تهتدون «1» » .

ان الاسلام دعا العرب الى الابتعاد عن الفوضى في نظام الاسرة فحرم نكاح الاستمتاع وجعل الزواج اساس مشروعية الاتصال الجنسي حتى يقع التماسك بين المجتمع وبين رغبات الفرد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » .

ان الاسلام حرم واد البنات وحرص على منح الحياة للمراة وكفل لها شخصيتها ودعا الاباء الى التفكير الجدي في مصير بناتهم فاذا كانوا يخافون عليهن انحلالا فالاولى ان يقوموا بتهذيبهن وتربيتهن فليس الموقف الذي يتبعونه بموقف سديد ، فالاقدام على قتل البنات خوفا من العار ليس الا جبنا فهو اشبه بالانتحار الذي يعتبر حلا سلبيا للمشاكل ولقد صور القرءان موقف الوائدين فقال : « واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هون ام يدسه في التراب الا ساء ما يحكمون «2» .

ان الاسلام مكن المراة من شخصيتها وجعلها شريكة الرجل ومساوية له في الحقوق حسب قانون تكافؤ الفرص وحسب الامكانيات الجنسية لكل طائفة

ومن الغريب اننا اذا وجدنا من يتحدث عن مشاكل المراة في الاسلام ممن يجهل اسباب تشريعه ظن ان المراة قد سلبها الدين حقوقها خصوصا حينما لم يسوها بالرجل في الارث او حين جعل الرجال قوامين على النساء في الزواج والطلاق وحين اباح للرجل اذا التزم بالعدل ان يتزوج باكثر من امراة واحدة .

مع ان الذين يتتبعون اسباب التشريع سيجدون ان حسن النظم ما وافق القرءان لان الاسلام امر الرجل ان يعامل المراة بالعدل والمعروف واذا استطاعت المراة ان تعيش منصفة من الرجل وابعد ظلمه عنها فقد سعدت ونالت ما تود المراة العالمية ان تصل اليه .

فمشروعية احترام المراة امر يفرضه الدين وليس الاسلام بمسؤول عن الذين نسوا الله ونسوا دينه فخرجوا عن حدود الطاعة وابتعدوا عن الالتزام الديني الذي يوجب عليهم معاملة النساء بالحسنى وزيادة .

لقد شرع الاسلام بعض ما شرعه وفقا للنظم الاجتماعية التي تسير عليها بعض المجتمعات فالرجل هو المسؤول عن النفقة وهو اقوى ضبطا لعواطفه من المراة لذلك سلك حق الطلاق الا اذا اضر بالمراة او اضاع بعض حقوقها فلها ءانذاك ان ترفع امرها للقاضي فيتولاه ويطلقها من الزوج اذا اقتضت المصلحة ذلك .

ولما كانت مسؤولية الرجل في الحياة اكثر وحاجته الى المال اقوى لانه الذي يدفع المهر ويتولى الانفاق شرع الله له حق الارث ضعفين لان الجزء الذي تناله المراة لاتنفقه الا في كمالياتها فقد يتولى الانفاق عنها زوجها او ابوها .

وان امر تعدد الزوجات ليس امرا مفروضا وفرق بين الاباحة والالزام عند من يفكر مع ان الاباحة قد روعيت فيها مصلحة المراة كزوجة وكجنس .

لقد تتبع الاسلام صفات خلقية كثيرة وشرح مشاكل اجتماعية متعددة لم يقتصر في شرحها على العاطفة ولم يامرنا بالركون اليها دون تفكير بل امرنا باستخدام العقل في ءايات من القرءان كثيرة ولقد قال العقاد في بعض كتبه (3) : « من مزايا القرءان الكثيرة مزية واضحة يقل فيها الخلاف بين المسلمين وغير المسلمين لانها تثبت من تلاوة الايات ثبوتا تؤيده ارقام الحساب ودلالات اللفظ اليسير قبل الرجوع في تاييدها الى المناقشات والمذاهب التي قد تختلف فيها الاراء .

1» من سورة ءال عمران الاية 103 .

2» من سورة النحل 58–59 .

3» من مقدمة كتاب العقاد « التفكير فريضة اسلامية »

وتلك المزية هي التنويه بالعقل والتعويل عليه في امر العقيدة وامر التبعة والتكليف »

ولاشك ان هذه الدعوة الى التفكير هي التي جعلت المسلمين يستقصون الثقافات المختلفة ويستفيدون منها وهي التي دفعت العلماء المسلمين الى التعمق في الدراسات الالهية ويحاول الربط بين الفلسفة والعقيدة .

ان هذه الدعوة الى التفكير هي التي جعلت المسلم يبحث عن الحقيقة بكل حرية ويؤمن بما وصل اليه عن طريق عقله اذا اعتمد على مقومات سليمة .

ان هذه الدعوة حررت الفكر من التبعية وجعلت الانسان يتوق الى صنع العجائب فانطلق يبحث ويبحث ويبحث حتى استطاع ان يكشف ما لا يحصر عدده ولا يحصى نوعه .

ومن اهم اكتشافاته التي انتصر بها على الامراض وصوله الى معرفة الجراثيم الفتاكة التي عرف بعضها الرازي قديما ثم ابان عنها باستور فيما بعد

وان هذه الاكتشافات حققت تطورا عظيما في الطب وفي مقاومة الامراض ولقد استفاد علماء اوروبا من تجارب العرب في هذا الميدان فان الطب العربي كان قويا لايعتمد على الخرافات الضالة ولكنه كان يعتمد على وسائل كيمائية خاصة تركب بسببها الادوية وتنتشر الصيدليات وتعم المستشفيات .

ومن اهم اطباء المغرب والاندلس ابن طفيل الذي لقي في بلاط ابي يعقوب يوسف الموحدي عناية كبرى شجعته على الحذق في الطب العمومي وفي الجراحات .

ولقد اهتم اطباء العرب بالمرضى على اختلاف انواعهم وفكروا في ايجاد وسائل للعلاج لا تقتصر على الادوية المفردة والمركبة وانما تتجاوز الى العلاج النفسي او العلاج بالفنون الجميلة التي تستانس بها النفوس .

ولقد رأى هؤلاء الاطباء ان كثيرا من المرضى بالامراض العقلية تخف وطأة مرضهم اذا عولجوا بالموسيقى الرقيقة الهادئة المطمئنة وكان التجاوب حاصلا بينهم وبين افراد الشعب لذلك نلاحظ ان بعض الاوقاف الاسلامية التي كانت في مدينة فاس وجهها اصحابها لعلاج المرضى عن طريق الموسيقى الرائعة ، وكانت الاجواق تعزف بنغماتها في مستشفى سيدي فرج «1» فتنشرح نفوس المرضى وتهدأ اعصابهم ويقل توترهم وتلين نفوسهم ويختار لهم مارق من الالحان ويجتنبون الموسيقى الصاخبة التي تثير الاعصاب كالموسيقى الجازية القلقة التي يعجب بها شبابنا الان فتزيد في توترهم واضطراب اعصابهم .

ان هاته الظاهرة تدل على تفهم العرب للدراسات النفسية ولمعرفتهم بتأثيرهم الموسيقي على تهذيب النفوس وعلاجها .

ومستشفى سيدي فرج هذا كان مركزا للدراسات الطبية في عهد المرينيين والوطاسيين لان المغاربة كانوا يجعلون المستشفيات مراكز الدراسة فيربطون بين التعليم النظري وبين التعليم التجريبي ولقد توظف فيه الحسن بن محمد الوزان الفاسي وهو صغير ولعل ذلك هو السبب الذي جعل الوزان بارعا في علوم الطب وفي العلوم التجريبية .

والوزان الفاسي هذا هو الذي لعب دورا عظيما في النهضة الاوربية الحاضرة ذلك انه بعد ان نال دراسته العلمية بمدينة فاس وبجامعة القرويين وبعد ان تقلد وظائف مختلفة في بلاد مختلفة في بلاد المغرب وقام بشؤون دبلوماسية بين الملك الوطاسي وبين الملك السعدي الذي ثار عليه وبعد ان كان يسير في احدى مهماته السياسية سقط اسيرا في قبضة القراصنة الايطاليين فنقلوه الى روما حينما لاحظوا عليه ءاثار العلم ودفعوه الى ليون العاشر الذي كان يهتم بالعلوم كثيرا فقربه اليه وحضنه على ان يترجم له ما يعرفه من علوم العرب واعلن امام رعاياه بان هذا المغربي الاسير قد تنصر ليوجد في نفوس المسيحيين رغبة في تلقي العلوم التي سيلقيها الوزان الفاسي عليهم وسماه ءانذاك بليون الافريقي حتى كاد الاسم الاصلي يضيع في اذهان الناس ولم يبق الا اسم ليون الافريقي (Léon l'Africain) يتردد بين افواه الاوربيين الذين اذا تحدثوا عن تاريخ نهضتهم ذكروا هذا الرجل العالم لذي يكاد يكون مجهولا عند من لم يهتم بدراسة حضارة العرب والمسلمين .

يجب ان تعلموا ان هذا الرجل المغربي الاندلسي الذي نهل دراسته من جامعة القرويين بفاس كان له الفضل الاكبر في التقدم الطبي في اوربا فقد الف قاموسا طبيا يحتوي على 117 صفحة حاول فيه ان ينقل المصطلحات الطبية العربية الى اللغة اللاتينية والعبرية

1» كان يوجد هذا المستشفى في حي العطارين بفاس وكان خاصا بالامراض العقلية .

وفي مكتبة الاسكوريال نسخة من هذا المعجم نقـــل بعض صفحاته الاستاذ محمد المهـــدي الحجوي في البحث الذي القاه في مؤتمر المستشرقين الثامن بفاس سنة 1933 م والذي طبع بالرباط سنة 1935 م .

لقد كان لليون الافريقي اثر على النهضة الاوروبية الحديثة فقد اصبح استاذا في كلية بولونيا واهتـــم بالدراسات الطبية والتاريخية والجغرافية وصـــار استاذا للكردنال (Gilles de Viterbe) بعد موت ليـون العاشـــر .

وهذا هو السبب الذي دفع المؤرخين الـــى ان يجعلوا من اسباب الازدهار الحضاري في اوربـــا العمل الذي قام به الوزان الفاسي لانه مهد للاوربيين طريق البحث واعانهم على التعرف على العلوم العربية التي مهدت لهم سبيل المعرفة ودفعتهم الى تتبـــع آثار العرب فاهتموا بعلومهم وبكتبهم واعانتهـــم الطباعة بعد ظهورها فشاعت الثقافة في انحاء اوربا .

ولكن من المؤسف ان العرب بعد نهضتهم قـــد اصيبوا بشلل في الاستمرار الحضاري وتاخروا علميـــا واقتصاديا وسياسيـــا واستولى الاوربيون عليهـــم الى ان قام بين العرب دعاة اصلاح دعوا الى التحـــرر السياسي والاقتصادي والفكري وعملوا على نشـــر الحضارة العربية وايقاظ الهمم ومـــا زالت هاتـــه الحركـــة تؤتي اكلها الى الان .

واود قبل ان انهي حديثي هذا ان ابرز لكـم صورة حية تمثل جانبا من حضارتنا يمكننا ان نجعله عنوانا لما كان يقوم به المغاربة في الاصلاح الاجتماعي والاهتمام بالمشاكل التي كان يود المغرب ان يتخلص منها ومـــن اهـــم هـــذه المشاكـــل القضاء على الامراض وتيسير العلاج المجاني وتعميم المستشفيات في كل انحاء البلاد وسانقل الان من كتاب المعجب وصفا لمستشفى بنـــاه المنصور الموحدي بمدينة مراكش وهو وصف رائـع يدل على مدى التقدم الذي بلغ اليه المغاربة .

قال عبد الواحد المراكشي : « وبنى ــ المنصور ــ بمدينة مراكش مارستانا ما اظن ان في الدنيا مثلـــه وذلك انه تخير ساحة فـــيحة باعدل موضـــع في البلد وامر البنائين باتقانه على احسن الوجوه فاتقنـــوا فيه من النقوش البديعـــة والزخاريف المحكمة ما زاد على الاقتراح وامر ان يغرس فيه مع ذلك من جميع الاشجار المشمومات والماكولات واجرى فيه مياهـــا كثيرة تدور على جميع البيوت زيادة على اربع بـــرك في وسطه احداها رخام ابيض ثم امر له من الفـــرش النفيســة من انواع الصوف والكتان والحرير والاديـم وغيره بما يزيد على الوصف ويأتي فوق النعت واجرى له ثلاثيـــن دينارا في كل يوم برسم الطعام وما ينفـق عليه خاصة خارجا عما جلب اليه من الادوية واقـــام فيه من الصيادلة لعمل الاشربة والادهان والاكحـــال واعد فيه للمرضى ثياب ليل ونهار للنوم من جهـــاز الصيف والشتاء فاذا نقه المريض فان كان فقيرا امـــر له عند خروجه بمـــال يعيش به ريثما يستقل وان كان غنيا دفع له ماله وتركته وسببه ولم يقصره على الفقراء دون الاغنياء بل كل من مرض بمراكش مـــن غريب حمل اليه وعولج الى ان يستريح او يموت وكان في كل جمعة بعد صلاته يركب ويدخله يعود المرضى ويسال عن اهل بيت يقول كيف حالكم وكيف القومـــة عليكم الى غير ذلك من السؤال ثم يخرج ولم يـــزل مستمرا على هذا الى ان مات رحمه الله » .

اظن ان هذا النص كاف في معرفة الاهتمـــــام الذي كان يوليه آباؤنا للعلم وللاصلاح الاجتماعي .

اظن ان الامثلة العامة التي ذكرناها كانت دليـــلا على مدى اسهام الحضارة الاسلامية العربية فـــي التطورات العلمية والفنية والخلقيـــة .

فكيف يكون موقفنا الان امـــام انفسنـــا بعد ان علمنا ان الثقافة الاسلاميـــة لم تقف حاجزا بين الفـــرد والحيـــاة ؟!

كيف يكون موقفنا مع انفســنا حين علمنا ان اللغة العربية كانت اللغة التي يدرس بهـــا الطب وتدرس الحكمة وتدرس العلوم على اختلاف انواعها ؟ !

ان اللغات في الحقيقة لا تموت الا اذا ماتت همة المتكلمين بها لهذا ارجو ان ترتفع هاته الهمة في نفوسنا وان نعمل ما في استطاعتنا فنستغل الفرص التـــي بين ايدينـــا فاذا كانت المناهج الدراسية الى الان لـــم تعرب تعريبا علميا فعلى الاقل يجب علينا ان نستفيـد من الدراسات الادبية واللغوية لاننا اذا اهتممنا باللغة نستطيع فيما بعد ان نحول العلوم التـــي نتلقاها الـــى لغتنا وسنقوم آنذاك بملء الفراغ في الاطر التعليميـــة فلا تمر سنوات معدودات حتى تسترجع بعدها قوتنا وايماننا بحضارتنا وثقافتنا . واني لآمل ان يكـــون جيلكم ممن سيحمل هاته الامانة ويسعى في تطبيقها كما ارجو ان تكونوا ممن شملتهم الايـــة الكريمة : الذين يستمعون القول فيتبعون احسنـــه اولئـك الذيـــن هداهم الله واولئك هم اولو الالباب » صـــدق الله العظيـــم .

فاس ــ محمد بن عبد العزيز الدباغ

مناقشات

نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط

الدكتور تقي الدين الهلالي

- 7 -

جواب السفارة النرويجية

زرت السفارة النرويجية فتلقاني الموظفون بحفاوة واكرام وسألت الموظف المختص ان يجيبني كتابة عن عدد الملحدين من رعايا المملكة النرويجية فكتب الي بالانجليزية ما ترجمته :

بناء على طلب البروفسور الدكتور تقي الدين الهلالي نعطي المعلومات التالية على اساس كتاب الاحصاء السنوي للمملكة النرويجية سنة 1964 لسنة 1960 :

1 ـ مجموع السكان 3.591.234

2 ـ عدد الاشخاص الخارجين عن الكنيسة القومية 134.551

3 ـ عدد الاشخاص الذين لا ينتمون الى اي دين 22.413

الطوائف المتدينة غير التابعة للكنيسة القومية

1 ـ الكاثوليكيون الروم 7.875

2 ـ الارتودوكسيون اليونانيون 610

3 ـ الانكليكانيون 494

4 ـ طوائف انجيلية اخرى 1.054

5 ـ النظاميون 11.196

6 ـ طائفة من النصارى لا يعمدون الاالبالغين 9.315

7 ـ الادفينتسيون « السبتيون » 5.272

8 ـ طائفة من النصارى ، يسمون المهتزين 208

9 ـ اللوتريون اتباع الكنيسة الحرة 16.773

10 ـ جماعة جارلبسبرك الاحرار 196

11 ـ جماعة الله 1.417

12 ـ جماعة المرسلين الالينيين 4.421

13 ـ الجمعية الانجيلية 438

14 ـ ارساليات اخرى متفرقة 453

15 ـ جمعية عيسى المسيح 496

16 ـ البنتكو ستاليون 34.122

17 ـ طوائف اخرى تلتزم التعميد بعد البلوغ 1.252

18 ـ الكنيسة الرسولية 375

19 ـ طائفة شهود جهوفا 4.188

20 ـ المسيحيون العلميون 134

21 ـ الموحدون 17

22 ـ المرمومنيون « الذين يبيحون تعدد الزوجات 1.241

23 ـ طائفة يهودية 841

24 ـ طوائف دينية اخرى 3.458

25 ـ الناس خارجون عن نظام الكنائس السابق ذكرها 6.392

ختم السفارة ـ والتوقيع غير مقروء

فتأملوا ايها القراء المنصفون هذه النسبة الضئيلة من الملحدين فى تلك البلاد ، وفى ذلك الشعب الذي هو عريق فى الحرية والديمقراطية ، كل افراده

مطمئنون على حقوقهم وملتزمون لاداء واجباتهم ؛ يدلك على ذلك كثرة الطوائف الدينية مع قلة عدد سكان تلك البلاد الشاسعة المترامية الاطراف ؛ فقد سافرت من عاصمتها اوسلو الى مدينة ناورويك في اقاصي الشمال مسافة الف ومائتي كلومترا ، لم ابلغ منتهى حدودها الشمالية ؛ حتى ان طائفة الموحدين وهم الذين يوحدون الله ولا يقولون بالهية المسيح ، ولا بانه ابن الله ؛ وانما هو بشر كسائر البشر اكرمه الله بالنبوة والرسالة ؛ لايزيد عددهم على سبعة عشر شخصا . والحكومة مع ذلك معترفة بهم ، وهم احرار في التمسك بعقيدتهم التي هي مضادة كل المضادة لعقيدة سائر افراد الشعب . ثم ان هذه الدولة كذلك من الدول العريقة في المدنية والحضارة . فاين ما يزعمه المخادعون لانفسهم ولشعوبهم من زعمهم ان شعوب اوربا لم تستطع ان تضرب بسهم في المدنية حتى تركت دينها واصبح اهلها كلهم ملحدين الا قليلا جدا . هذه دعاية اجرامية جاهلة كاذبة خاطئة ، كانت تروق للمستعمرين الماديين . والان يروجها المستعمرون الروحيون والغوغاء الجهال اتباع كل ناعق ، والمستهترون بالشهوات وفساد الاخلاق . وقد ظهر بما نقلناه وما سننقله ان شاء الله غشهم وكذبهم .

وقد سبقت الاشارة الى انني اؤخر الكلام على عدد الملحدين في البلدان التي ليس فيها حرية راي ولا حرية اعتقاد ولا غيرهما من الحريات ، اذ لا يمكن ان يعلم ما في ضمائر الناس الا اذا كانوا احرارا في التصريح بآرائهم واظهار عقائدهم غير خائفين على حقوقهم ان تفقد بسبب مخالفتهم لغيرهم من المواطنين المتعصبين .

عود الى سرد حجج الفلاسفة والعلماء على اثبات وجود الخالق سبحانه .

براهين كلارك

كان تلميذا وصديقا للعلامة نيوتن المتقدم ذكره ، وهو من اشهر فلاسفة الانجليز « 1675 – 1729 » قال في كتابه « اثبات وجود الله » :

لاجل ان اثبت وجود الله الفت نظر القارىء الى اننا نحمل في انفسنا فكرة على الابدية واللانهائية « يريد اننا ندرك ابدا لا آخر له ونهاية لا حد لها » وهي فكرة يستحيل علينا ان نلاشيها او نطردها عن عقولنا ، وهي صفات يجب ان يكون موصوفا بها كائن موجود .

كان كلارك يريد ان يقول : ان لم تكن الابدية واللانهاية موجودتين ، فمن اين حدثت في اذهاننا فكرة عنهما .

ثم قال كلارك كما مؤداه : لابد لنا من فرض ان شيئا وجد من الازل بدليل وجود الاشياء الان ؛ وهذا الفرض حقيقة لا شك فيها؛ لان كل موجود يجب ان يكون سبب اوجده او اصل قام عليه وجوده ، وهذه الاشياء ، اما موجودة بذاتها ، فهي اذن قديمة ازلية واما ان تكون موجودة بموجد تقدم عليها ، فيكون هو القديم الازلي .

ثم قال كلارك ما خلاصته : لا يمكن ان يكون هذا الوجود المادي مستقلا بنفسه ولا ابديا ، الا اذا كان هو واجب الوجود بذاته . ولكن مما لا شك فيه ان الوجود ليس هو واجب الوجود ، لانه سواء تاملت في شكله الظاهري مع قابليات اجزائه وحركاتها المختلفة ، او اعتبرت مادته التي هو مكون منها بدون التفات الى شكلها الذي هي ظاهرة به الان ، فلا ارى فيهما الا آثار ارادة واختيار ، فمجموعها في جملته ، وكل من اجزائها في موضعه وحركته ومادته وشكله . وبالجملة كل ما فيه يظهر لي انه متعلق بغيره غير مستقل ، وبعيد من ان يكون موجودا بذاته . انا اعترف ان الوجود لاجل ان يكون صالحا يجب ان تكون اجزاؤه على الترتيب الذي هي عليه اليوم ، ولكني لا ارى ان ذلك الترتيب وجد بضرورة طبيعية ؛ وهي الضرورة التي يستند عليها الملحدون ويدافعون عنها.

براهين لوك

لوك فيلسوف انجليزي شهير قال في كتابه على العقل الانساني : انه لاجل اثبات الخالق لا ترانا في حاجة الا الى التامل في انفسنا وفي وجودنا ، فانه مما لا مشاحة فيه ان كلامنا يعتقد انه موجود ، وانه شيء من اشياء الوجود . اما الذي يشك في وجود نفسه فليس لنا معه كلام .

وانا نعلم ايضا ببداهة العقل بان العدم لا ينتج مطلقا كائنا حقيقيا . ومن هنا يظهر لنا بوضوح جلي وباسلوب رياضي بانه لابد من ان يكون قد وجد شيء في الوجود من الازل ، لان كل ما له بداية يجب ان يكون ناتجا من شيء تقدمه . ومما لا ريب فيه ان كل كائن

يكتسب وجوده من وجود غيره يستمد منه كل ما هو متمتع به من الخصائص والصفات . اذن فالينبوع الازلي الذي نتجت منه جميع الكائنات يجب ان يكون هو اصل جميع قواها ، فهو اذن قادر على كل شيء . وغير ذلك فان الانسان يرى في نفسه قوة على العلم ، فيجب ان يكون الاصل الازلي الذي نتج منه الانسان عالما ، لانه لا يعقل ان ذلك الاصل يكون مجردا عن العلم وتنتج منه كائنات عاقلة . ومما يناقض البداهة ان المادة المجردة من الحس تمتع نفسها بعقل لم يكن لها من قبل . فيجب بالبداهة ان يكون اصل الكون عاقلا ، بل لا حد لعقله ، وهو الله .

براهين فولتير

فولتير اشهر فلاسفة الفرنسيين واكبر كتابهم وبحاثيهم « 1694 — 1778 » تعزى الى تعالمه هو وروسو المبادىء التي اججت نار الثورة الفرنسية المشهورة ، وهو فوق ذلك يعتبر من العقول الكبيرة في العالم . قال في قاموسه الفلسفي ما ياتي :

ان الطريقة الطبيعية للوصول الى معرفة الله واكمل الاساليب الصالحة للمدارك العامة هو عدم قصر التامل على نظام الوجود ، ولكن يجب مده على المقاصد التي خلق لها كل شيء . وقد انشاوا على هذه الفكرة اسفارا ضخمة، وكلها في الحقيقة يمكن ان تلخص في هذا البرهان وهو : اني اذا رايت ساعة يشير عقربها الى الاوقات المختلفة استنتج من ذلك بان لابد من ان يكون عقل قد رتب اوالب هذه الالة حتى استطاع العقرب ان يدل على الساعات دلالات حقيقية . وكذلك اراني ان تاملت في ءالات الجسم الانساني استنتج ان لابد من ان يكون عقل قد نظم اجزاءه واجهزته وجعله قابلا لان يتغذى في الرحم تسعة اشهر متوالية ، وانه قد متع باعين لينظر بها وبايد يتناول بها الخ .

من هذا البرهان وحده لا استنتج انا شيئا ، غير ان كائنا عاقلا صور المادة على ابدع الاشكال ، ولكني لا استطيع ان استنتج منه ان هذا الكائن خلق المادة من العدم ، وانه لا نهاية له من كل وجه . ولقد حاولت ان امثل بفكري هذه الافكار الاتية وهي : انا مخلوق لكائن اقوى مني ، اذن فيكون هذا الكائن موجودا من القدم ، وعليه فيكون قد خلق كل شيء ، وهو غير محدود بحد الخ .

بحثت لامثل هذه الافكار بذهني فلم اجد سلسلة الاستنتاج تؤدي الى هذه النتائج وغاية ما رايته اني تحققت انه يوجد شيء في الوجود اقوى مني ليس الا .

يكفي من مثل فولتير ، وهو ذلك العقل الثوري المستعصي ان يقر ويعترف بوجود شيء اقوى منه في الوجود خلقه واحكم صنعه ، ولو لم يكن هذا الاستنتاج من البداهة بالمكان المعهود لسمعت له صيحات ضد المعتقدين تصم الاذان ، يفخر الملحدون بها في كل مكان . وكم لفولتير غير ما قدمنا من كلمات تميتة واستهزاءات وجهها على الماديين الذين لا يرون في الكون الا نواميسه الصامتة .

فمما قاله في قاموسه الفلسفي ضد الماديين الذين يزعمون ان الكون خلق بالاتفاق المجرد ، وان اعضاء الانسان مثلا لم تخلق لتؤدي غرضا مقصودا ، ولكنها ادت هذا الغرض اتفاقا ، فقال فولتير حين بلغه هذا التهوس الفلسفي : ان الادعاء بان العين لم تخلق لنا لننظر بها ، ولا الاذن لنسمع بها ، ولا المعدة لنهضم بها ، يعد افظع الغباوات العقلية وباكثف العمايات الجنونية التي تلم بالعقل الانساني .

براهين جان جاك روسو

روسو من اشهر فلاسفة الفرنسيين ، بل العالم كله ، هو صاحب نظرية العقد الاجتماعي المشهورة التي سار المشرعون والساسة عليها سنين طويلة ، ويعتبر اكبر مهيىء للثورة الفرنسية بما بثه في مؤلفاته من ايقاظ الهمم واحياء النفوس ، وتنبيه العواطف « 1712 — 1778 » بدا روسو في كتابه الاعتراف بالعقيدة بالادلال على ان المادة المحسوسة تكون تارة متحركة ، وتارة ساكنة ، واستنتج من ذلك انه لا الحركة ولا السكون صفة اصلية من صفاتها .

ثم قال : ولما كانت الحركة عملا فهي نتيجة سبب لو ارتفع حدث السكون بعدها . فاذا لم يؤثر شيء على المادة فلا تتحرك مطلقا ، وهي لا يعنيها ان تتحرك او تسكن ، والسكون هو حالتها الطبيعية .

ثم لاحظ روسو ان هناك نوعين من الحركة : حركة وقتية ارادية وحركة قهرية ءاتية من مؤثر خارجي ، والتمييز بين هذين النوعين من الحركة مؤسس على التجربة وشهادة الضمير . فقال بالحرف الواحد :

انك لتسالني من اين علمت بوجود حركـــــة وقتيـــة ، فاجيبك باني علمتها ، لانـي احسست بها ، فاراني اردت ان احرك ذراعي تحرك في الحال بدون ان يكون لحركته سبب مباشر غير ارادتي .

ثم تساءل روسو عن الحركة المشاهدة في الوجود هل هي صادرة من سبب خارج عنه ، ام هي ارادية فيه . فقال : من المستحيل ان نفترض بانها ارادية فيه لان هذا الوجود المشاهد ليس في مجموعة التـام ولا نظام آلي ، ولا حس عام كما يوجد بين اجزاء الجسـد الحي . ومما هو محقق اننا ونحن جزء منه لا نشعر بشعوره الكلي . والوجود في حركاتـه المنتظمـــة المتلائمة الخاصة لقوانين ثابتة لا توجد له تلك الحريـة التي تظهر في الحركات الارادية للانسان والحيوان .

فاستنتج روسو من ذلك ان الوجود ليس بحي في نفســه يتحرك بذاته وبارادتــه ، اذن فحركاتـــه ءاتيـة اليه من سبب خارج عنــه .

ثم قال روسو بعد ذلك : ان التجربة والمشاهدة تكشفان لنا نواميس الحركة في الوجود . وهــــذه النواميس تعين نتائج الحركة ولا تعين اسبابها . فهي لا تكفي لتعليل نظام العالم وسير الوجود . ان ديكارت، قد كون السماوات والارض « بالكشتبانات » ولكنـه لم يستطع ان يطبع في كشتباناته حركاتها الاولى ، ولا ان يضع قوة هذه الاجرام المبعدة لها عـن المركـــز بالاستعانة بقوة دورة رحوية فرضها فيها . وقــد وجد نيوتن ناموس الجاذبية العامة ، ولكـن الجـذب وحده يحيل الوجود كله الى كتلة واحدة لا حراك لها ، فلزمه ان يضيف على هذا الناموس قوة اخرى ، هي قوة الدفع لتطبع في الاجرام السماوية حركة تدبرهـا دورات انحنائية . ليقل لنا ديكارت اي ناموس طبيعي ادار له تلك الزوابع التي تكلم عنها . وليرنا نيوتن تلك اليد التي دفعت الكواكب لتجري على مماســـــات مداراتهـا .

فالوجود في راي روسو لا حركة ذاتية له ، وانما حركاته كلها مكتسبة من محرك خارج عنه يطبـــع فيه تلك الحركات على النحو الذي تطبـع ارادتنـــا الحركات على اعضائنـا المختلفـة . ثم صعد روسـو من السبب الطابع للحركة الى السبب المريد المختـار فقـال :

كلما امعنت النظر في الحوادث التي تحدثهـــا قوى الطبيعة وما يقابلها مـن رد الفعـل ، وتأملت في كيفية تأثير بعضها في بعض تحققت من الانتقال مـــن نتيجة الى نتيجة بانه لابد من ان يكون السبب الاول متمتعا بارادة ، لان فرض تسلسل الاسباب الاوليـة الى ما لا نهاية هو كفرض عدم وجود اسباب اوليـة بالمرة . وبالاختصار كل حركة ليست نتيجة حركـــة اخرى ، لا تكون الا نتيجة عمل وقتي ارادي . ولما كانت الاجسام الجامدة لا تنفعل الا بحركات ، فلا يوجد عمل صحيح الا بارادة ، هذا هو الاصل الاول الذي اعتمد عليه . فانا اعتقد اذن ان ارادته تحرك الوجود وتحيي موات الطبيعـــة .

بعد ان اثبت الفيلسوف روسو من عـــــرض حركات الوجود أن لابد انها صادرة عن قوة وارادة ، اخذ في اثبات ان هذه الارادة يمدها عقل وادراك فقال: ان التأثير والمقارنة والاختيار هي اعمال كائـن مؤثر مفكر . هذا الكائن موجود . ولكنك ستقول لي ايـن هو ؟ فاقول : انه موجود ، لا في السمـوات التـي يحركها ، ولا في الكوكب الـذي يضيء علينـا ، ولا في فقط ، بل يوجد ايضا في النجمة التـي ترعـى ، وفي الطائر الذي يطير ، وفي الحجـر الذي يسقط ، وفي الورقة التي يستطيرها الريح . انا احكم بان في العالم نظاما ، وان كنت اجهل غايته ، لانه يكفي في الحكـم على وجود هذا النظام المقارنة بين اجزائـــــه ودرس مظاهر تضامنها وعلاقاتها وعرض نظامها وتـــلاؤم ابعاضها .

انا اجهل لماذا الوجود موجود ، ولكني لا اغفل النظر الى كيفية تغييره وملاحظة هذا التبادل الصميم الذي تتساعد بواسطته اجزاؤه ، فلنقارن بين غاياتهـا الخاصة ووسائلها وعلاقاتها المنظمة في كل ضرب من الضروب ، ثم لنسمع صوت ضميرنا الداخلي عـــن حكمه عليهـا ، فـاي عقل سليـم يستطيع أن يرفض شهادته لها . اي عين ليس عليها غشاوة لا يكشف لها نظام هذا الوجود عن انه صنع حكمة ليس فوقهـــا حكمه عليها ، فاي عقـل سليم يستطيـع ان يرفـض نظام هذه الكائنات والتضامن العجيب الذي بينها في حفظ مجموعها ، لا يوجد في هذا الوجود كله كائـن لا يمكن اعتباره من بعض الوجوه انه وسط مشتـرك لجميع امثاله المحتفين به ، بحيث يظهر للناظر انهـــا جميعا مقاصد ووسائل ، بعضها لبعض ، ان العقـــل ليرتبك اذا تأمل في ان هذه العلائق التي لا تحصى بين

الكائنات لا تضيـــع منها واحدة ، ولا تختلط بغيرهـــا في المجموع . فما ابعد تلك الفروض عن العقل ، تلك الفروض التي تزعم ان هذا النظام البديع المتلائم الاجزاء هو نتيجة الحركة العمياء المطبوعة في المادة بالاتفاق . ان الذين يجحدون وحدة القصد الظاهر في العلائق الموجودة بين جميع اجزاء هذا الوجود العظيم ، انما يحاولون عبثا ان يخفوا سفسطتهم تحت ستار التجريدات ، والترتيبات ، والاصول العامـة والعبارات الخالية ، مهما عملوا ، فمن المحال ان ادرك نظامـا للكائنـات مستمرا كما ارى ولا ادرك معه تلـك الحكمـة التـي وهبتها هذا النظام . فلست انا الذي يستطيـــع ان يعتقد بان المادة الميتة تستطيع ان تنتج كائنـات حية ، وان الضرورة العمياء تستطيع ان تخلق كائنات عاقلة. وان ما لا يعقل يستطيع ان يوجد كائنات مدركة .

اقوال بعض كبـار العقـول

قال العلامة هرشل الانجليزي من آكابر علمـاء الفلك في العالم كله : كلما اتسع نطاق العلـم ازدادت البراهيــن الدامغة القوية على وجود خالق أزلـــي لا حد لقدرته ولا نهاية . فالجيولوجيون والرياضيــون والفلكيون والطبيعيون قد تعاونوا وتضامنوا علـى تشييد صرح العلم ، وهو في الواقع صرح عظمـــة اللـه وحـده .

وقال العلامة العمراني الكبير هربرت سبنسـر الانجليزي كما نقله العلامة « جون لوك » الانكليـزي في كتابه ، ثمرة الحياة الذي نقلـه للعربية الفاضـــل حسن افندي رياض ، قال سبنسر : نرى من بيـن كل هذه الاسرار التي تزداد غموضا « تامل » كلمـا زاد بحثنا فيها حقيقة واضحة لابد منها ، وهي انـه يوجد فوق الانسان قوة ازلية ابدية نشا عنها كـل شيء .

وقال العلامة الطائـــر الصيــت « لينيـــه » الفزيولوجي الفرنسي كما نقله عنه العلامة كامـــل فلامريون في كتابه « الله في الطبيعة » قال لينيــه : ان الله الازلي الكبير العالم بكل شيء والمقتدر علـى كل شيء ، قد تجلى لي ببدائع صنائعه حتى صـرت دهشـا متحيرا ، فأي قدرة ، وأي حكمة واي ابداع او دعـه مصنوعات يده ، سـواء في اصغر الاشيـاء او اكبرها . ان المنافع التي نستمدها من هذه الكائنات تشهد بعظم رحمة الله الذي سخرها لنا ، كمـــا ان جمالها وتناسقها ينبيء بواسع حكمته ، وكذلك حفظها عن التلاشي وتجددها يقر بجلالته وعظمته .

وقال العلامة فونتنل في دائرة معارفه : ان اهمية العلوم الطبيعية لا تنحصر فقط في اشباع نهمـــة عقولنـا ، ولكن اهميتها الكبرى هي رفع عقولنـا الى خالق الكون وتحليتنا باحساسات الاعجاب والاجلال لذاتــه المقدســة .

تعليقـــات

1 ــ قول كلارك « ان الوجـود ليس هو واجب الوجود ، لانه سواء تاملت في شكله الظاهري مع قابليات اجزائه وحركاته المختلفة ، او اعتبـرت مادته التـي هو مكـون منهـا » .

هذا يبطل دعوى القائلين بوحدة الوجود الذين يزعمون ان الوجود واحد ، فاذا اعتبرت مادته وهيولاه سميته حقا ، واذا اعتبرت اشكاله الظاهرة سميته خلقا واذا اعتبرت اشكاله الظاهرة سميته خلقا . ويمثلون لذلك بالذهب وانواع الحلي والاواني المصنوعة منه ، فان كل ما صنع من الذهب ذهب يمكن ان يذاب ويرجع الى مادته وهيولاه . وكذلك الادوات الخشبيـــة كلها خشب ، والاسماء التي جاءتهـا انما كانت بسبب الاشكال المحدثة ، وقس على ذلك سائر المواد ، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا . والحق كما قال كلارك ، ان هناك وجودين ، احدهما واجب ، وهو وجود الحق سبحانه ، والاخر ممكن ، فهو محتاج الى موجد يرجح وجوده على عدمه ويضمن بقاءه الى نهاية اجله . وهذا الوجود الثاني له مادة واشكال ، وكل ذلك محـدث وجوده جائز غير واجب ومستمد من غيره غير قائم بنفسـه . ووجود التجانس بين المادة والشكل يحتـم ذلك . وادعاء ان المادة واجبة الوجـود ، اي موجودة بذاتها ومستقلة بنفسها ، بخلاف الاشكال والصـور باطل ، لتحتم وجود التضاد بين واجب الوجود القائم بنفسـه وجائز الوجود الذي استمد وجوده من غيره .

2 ــ قول لوك «اننا لاجل اثبات الخالق لا نرانا في حاجة الا الى التامل في انفسنا » هو مثل قوله تعالـى في سورة الذاريات « 21 وفي انفسكم افلا تبصرون »

3 ــ القوة الجاذبة التي اكتشفها نيوتن ، هـي التي تربط بين الشمس وبين كل ما يدور حولها ويتبع نظامها من الكواكب ، ولكن هذه القوة الجاذبة محتاجة

الى موجد ومعدل يعدل جذبها حتى لا يستمر الى ان تلتصق الكواكب التابعة بمحورها فتصير معه كتلة واحـدة .

وهكذا يقال فى تابعية الشمس لجرم ءاخـر هو اكبر منها كالشعرى مثلا ، فان القوة الرابطة بينهما تحتاج الى موجد يحفظ ابعادها وافلاك دورانهـا ويمنعها من التكتل والاختلال .

4 ـ قول روسو « لابد مـن ان يكون السبب الاول متمتعا بارادة » اقول : ولابد ان يكون متصفـا بعلم غير محدود وقدرة غير محدودة ، وهذه بعينهـا الصفات الضرورية للخالق العلي العظيم . وما يسمونه بالطبيعة ونواميسها لا يتصف بشيء من ذلك فلا يصح أن يكون هو السبب الاول .

5 ـ قوله « وباي سفسطة يستطيع الانسـان ان يجحد نظام هذه الكائنات والتضامـن العجيب الذي بينها فى حفظ مجموعها» اقول : يستطيع ذلك بسفسطة الجهل والاقتناع به واهمال نعمة العقل ، وبذلـك يلتحق بالحيوان الاعجم « ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون » ويستطيع ذلك بسفسطة التملص من الواجبات الخلقية والاجتماعية، والانغماس فى حمأة الشهوات البهيمية مندفعا مع ماتسوله له نفسه من ارتكاب الموبقات ، والتدنس بالدنايا المخزيـات .

انتظروا فى المقال التالي جـواب سفارة دولـة السويد عن عدد الملحدين فى بلادها وذكر شبهـات الملحدين التي اوردوها فى الاستـدلال بزعمهم علـى التعطيـل وجحود الخالق تعالى والرد عليها . وبالله التوفيـق .

الرباط : الدكتور تقي الديـن الهلالي

العلـم وعـدولـه

قال النبـي صلى الله عليه وسلم : « يحمل هذا العلم من كل خلـف عدولـه ، ينفـون عنه تحـريف القائلين ، وانتحـال المبطليـن ، وتاويل الجاهليـن » .



نظرة في منجد الآداب والعلوم

للأستاذ : عبد الله كنون

-4-

حرف الثاء

104» في ص 119 « العمود الاول » تعريف بالشاعر ثابت قطنة جاء فيه : « حاكم في خراسان، صعد المنبر يوم الجمعة ورام الكلام فتعذر عليه ، فقال انتم الى امير فعال احوج منكم الى امير قوال » ويلاحظ عليه ان ثابتا انما كان واليا على بعض كور خراسان ولاه عليها المهلب بن ابي صفرة والي عموم خراسان ، خلافا لما يوهمه كلامه من انه كان حاكمها العام وان المحفوظ في الكلمة المذكورة انها لعثمان بن عفان «ض» وقد ارتج عليه لما اراد الخطابة بعد مبايعته بالخلافة ، اما ثابت فالمروي عنه انه علا المنبر فحصر ، فنزل وهو يقول :

فان لم اكن فيهم خطيبا فانني
بسيف اذا جد الوغى لخطيب

فقيل له لو كنت قلت هذا البيت على المنبر لكنت اخطب الناس .

105 في ص 120 « ع.ل » تعريف بقبيلة ثقيف قال فيه : « لقب قبيلة عربية اسمها قسي ، قطنت في طائف قبل الهجرة الصواب ان يقول في الطائف فان اسم جد جاهلي سميت به القبيلة وهو ابن منبه بن بكر ابن هوازن ، وقيل ان اسمه قسي وثقيف لقبه ، وعلى كل حال فلم يقل احد ان اسم القبيلة قسي بدليل النسبة اليها فانها ثقفي بكل وجه ، وقوله قطنت في طائف قبل الهجرة » وهو غير محرر ، فثقيف هو الالف واللام في هذا الاسم لازمة لا تحذف ، وهذا زيادة على ما فيه من ايهام انها انما قطنت الطائف في خصوص الوقت الذي ذكره بالذات وليس كذلك .

106» وفي الصفحة والعمود نفسيهما تعريف بثمامة بن اشرس اخطأ اولا في ضبطه بفتح الثاء المثلثة ، وهي بالضم وقال فيه ما يلي « القرن 9 » من المتكلمين . امام اهل الفكر الحر في العصر العباسي الاول ، استدعاه هارون الرشيد والمامون الى بلاطهما وكان يلذع بنقده اراء المحافظين » وهذا الكلام لا يفيد في التعريف بالرجل شيئا ، فالقول انه من اهل القرن التاسع يوهم ان تاريخ وفاته غير معروف والامر بالعكس ، فهو قد توفي سنة 213هـ « 828م » والقول انه امام اهل الفكر الحر الخ .. وانه كان يلذع بنقده اراء المحافظين ، كلام يحتاج الى دليل وبيان ، فمن الى قال انه امام اهل الفكر الحر ؟ ومن هم المحافظون الذين كان يلذعهم بنقده ، والصواب في ترجمة الرجل او التعريف به على سبيل الاختصار ان يقال : من ائمة الاعتزال تنسب اليه الثمامية من فرق المعتزلة وكان ذا لسان وفصاحة وقربه الرشيد والمامون لعلمه وادبه .

107» في الصفحة المذكورة « ع.ني » ذكر الذهب المعروف بالثوبة وضبطه بسكون النون والصواب فتحه .

108» في ص 121 « ع.ل » وهو يعدد الثورات في التاريخ قال : « (ثورة عرابي باشا) في مصر على السلطان العثماني « 1881» وشعارها مصر للمصريين انتصر الانكليز على عرابي باشا في تل الكبير «الصواب التل الكبير » ايلول 1882 » والمشهور في الثورة العرابية انها كانت ثورة على التدخل الاجنبي في مصر وانصياع الخديوي لرغبات الانجليز ، لا على السلطان العثماني او نفوذه الروحي في مصر ، والمؤلف

نفسه يرجع الى ذلك حيث يقول : « انتصر الانكليز على عرابي باشا » فاذا كانت الثورة على السلطان العثماني فكيف انتصر عليها الانكليز ؟ هل الانكليز هم السلطان العثماني ؟

حرف الجيم :

109» في ص 124–128 وهو يذكر الجامعات العلمية التي تعنى بالدراسات العربية والاسلامية تكرر تعبيره بالعلوم الالسنية ومعهد الالسنية والسنية اللغات الشرقية ، وهو تعبير غير صحيح فان النسبة انما تكون للمفرد لا الى الجمع والتعبير بالعلوم اللسانية اخف على الالسن من الالسنية ، ومثل ذلك يقال في بقية التعابير ، ومما يلفت النظر في هذا المقام انه لم يذكر جامعةالقرويين مع قدمها واختصاصها بالدراسات المذكورة .

110» في ص 130 «ع.ل» تعريف بالجاهلية وعهدها وهو تعريف مفيد ، وفيه تصنيف لشعرائها ذكر من بينهم عبيد بن الابرص وضبطه بضم العين وهو بفتحها

111» وفي الصفحة نفسها « ع.ني » تعريف بالجبائي وابنه ابي هاشم ضبط نسبهما فيه بكسر الجيم وفتح الباء مع التخفيف والصواب ضم الجيم وتشديد الباء نسبة الى جبى بالالف المقصورة لا جبة كما قال .

112» في 131 « ع. ل » تعريفان بجبل طارق على ان المراد بالاول المضيق او البوغاز والثاني البقعة وكان من حقه في التعريف الاول ان يزيد بعد كلمتي جبل طارق كلمة بوغاز او مضيق بين هلالين للفرق بين المعرفين .

113» وفي الصفحة المذكورة « ع. ني » وقع ذكر جبال جبلة في جزيرة العرب ويوم جبلة من ايام العرب وضبط الاسمان معا بسكون الباء والصواب فتحها .

114» كذلك ذكر ثمة جبلة بن الايهم اخر ملوك غسان وضبط اسمه بسكون الباء وهو بالفتح

115» في ص 132 « ع.ني »وقد ذكر مدينة الجديدة المعروفة بالمغرب وضبط اسمها بضم الجيم وفتح الدال على صيغة التصغير وهو بفتح الجيم وكسر الدال مكبرا .

116» في ص 134 «ع.ل» تعريف بجذيمة بن الابرش ملك الحيرة ، ضبط فيه اسمه بضم ففتح وهو بفتح فكسر وكذا جذيمة بن عدي المذكور بعده .

117» في ص 136 «ع. ل» اثناء التعريف بالقطر الجزائري وقع ذكر مدينة البليدة فرسمت هكذا بليدا بالف آخرها وهو خطأ ، كما ذكرت مدينة وجدة ضمن مدن الجزائر وهي مدينة مغربية لا نزاع فيها

118» وفي الصفحة المذكورة والمكان نفسه تعريف بالامير عبد القادر الجزائري جاء فيه انه ولد بقرب مسكرة وهي بسكرة بالباء .

119» وفي هذه الصفحة «ع.ني» تعريف بابي موسى الجزولي النحوي المشهور جاء فيه انه اخذ في القاهرة على ابن البري هكذا بالالف واللام وهو ابن بري ، وذكر له من التصانيف شرح قصيدة بانت سعاد واغفل كتابه الذي اشتهر به وهو مقدمته الجزولية في النحو التي تعرف بالكراسة «1» .

120» في ص 138 « ع.ل » تعريف بقبيلة جعدة ضبط فيه الاسم بضم الجيم وهو بفتحها وقال منها الشاعر الشاعر نابغة الجعدي ، والصواب النابغة الجعدي .

121» وفي « ع.ني » من هذه الصفحة ذكر لجعفر الطيار واستشهاده في غزوة « مؤتة » وقد كتب هذا الاسم بالف مقصورة بدل التاء وهو خطا .

122» في ص 139 «ع.ل» تعريف بالملك الظاهر جممق ضبط فيه اسمه بضم الجيم والميم وهو بفتحها

123» وفي هذا المكان ايضا تعريف بجلال الدين الرومي ، جاء فيه من مؤلفاته « المثنوى » في تفسير المذاهب الصوفية ، وهو المثنوى بمثلثة فنون منظومة شعرية في 000 25 بيت بالفارسية تعرض فيها لمذاهب الصوفية والفلاسفة ، وذكر المؤلف ان لجلال الدين ءاراء غريبة في التوحيد والشرع ، ونحن

1» تنظر الحلقة وامر ذكريات مشاهير رجال المغرب الخاصة بترجمته .

وان كنا لا نبرئه من شطحات التصوف التي عرف بها كثير من المتصوفة الا ان ما عرضه المؤلف في ترجمته هو تلخيص سيء لما جاء في ترجمته بدائرة المعارف الاسلامية « لكارادوفو» فمن الواجب ان لا يعتمد .

124» في ص 140 « ع.ل » ذكر لجلق موضع في جنوبي «كذا» سوريا الخ ومهما يختلف القول في هذا الاسم فان اطلاقه على عاصم الشام « دمشق » معروف ووارد في الشعر العربي القديم والحديث فكان من المناسب البدء به او الاقتصار عليه .

125» وفي هذا المكان ايضا تعريف بجليات وهو عند العرب جالوت لا جليات عربوه بذلك قديما وفي القرءان الحكيم « وقتل داود جالوت » .

126» في ص 141 «ع.ني» وقع ذكر الجناحية وتعريفها بما يلي : « جماعة المنتمين الى ذي الجناحين وهو لقب عبد الله بن ابي طالب الذي قتل في مؤتي » وذو الجناحين هو جعفر بن ابي طالب لا عبد الله وقد تقدم له ذكره من غير ذكر لهذا اللقب ، اما مؤتي فقد مر بنا آنفا انها مؤتة بتاء آخرها .

127» في ص 142 «ع.لج ترجمة لخليل الجندي الفقيه المالكي المعروف،ذكر فيها ان له كتاب المختصر، وهو مخطوط في غوطا ؛ وهذا من القصور العجيب فان مختصر الشيخ خليل هذا طبع عشرات المرات في المشرق والمغرب ، وشرح بعشرات الشروح المطبوعة هي ايضا والمنتشرة في كل مكان .

128» وفي المكان نفسه ذكر لمدينة جنديسابور وان فاتحها هو موسى الاشعري على ايام الخليفة عمر ابن الخطاب والصواب في اسم الفاتح ابو موسى لا موسى .

129» وفيه ايضا ما يلي : « جن الريف : قصر ملوك غرناطة قرب حمراء غرناطة الاندلس » وهذا من الغرائب التي تقع في معجم للاداب والعلوم ، المقصود كما لا يخفى جنان العريف او جنة العريف على ما يكثر دورانه على الالسنة والاقلام .

130» وفيه كذلك تعريف بابي سعيد الجنابي القرمطي هذا نصه : داعي القرمط «كذا» نشر الاشتراكية بينهم « كذا» تباعه يسمون ابو سعيد « كذا » واذا صححنا كلامه بان الصواب ان يقول داعي القرامطة على الاقل ، فماذا نقول في هذه الاشتراكية التي نشرها بينهم وعودة الضمير جمعا على غير مذكور ؟ ثم هذا التعبير الركيك الملحون : تباعه يسمون « ابو سعيدي » في معجم ادبي علمي ؟

131» وفي الصفحة نفسها «ع.ني» تعريف بابن جنى النحوي المعروف ذكر اسمه معرفا بالالف واللام هكذا : ابن الجنى وهو خطا .

132» وفي هذا المكان ايضا ذكر لمدينة جنوة الايطالية وقد كتبها بالالف المقصورة هكذا جنوى وما كتبها العرب الا بالتاء المربوطة آخرها .

133» في ص 143 «ع.ني» ترجمة للجواليقي ذكر فيها بعض مؤلفاته فجعل منها كتابا في تفسير الكلمات الاعجمية ، وهو بلا شك يعني كتاب المعرب المشهور لهذا المؤلف .

134» في ص 145 «ع.ل» ذكر لبني جهور من اعيان قرطبة الذين حكموا فيها على عهد ملوك الطوائف ولكنه جعلهم بني جوهر بتقديم الواو على الهاء وهو غلط فظيع ان لم يكن من خطا الطبع .

135» في ص 146 « ع.ني» ترجمة للشيخ عبد القادر الجيلاني ذكر فيها ان له كتابا اسمه السفينة لطالبي طريق الحق وهو الغنية بالغين المضمومة ثم النون الساكنة لا السفينة ، ثم قال انه مخطوط في برلين وهو مطبوع متداول .

طنجة ــ عبد الله كنون

توحيد اللغة العربية

للأستاذ: عبد المجيد بن جلون

الالفاظ كائنات حية تولد وتنمو ويشتد عودها ويبرق جمالها ثم يدركها الوهن فتمرض وتموت كسائر الكائنات على حد سواء ، وهي كالكائنات ايضا تولد ميتة احيانا وتموت في صباها احيانا اخرى وقد تطول فترة جمالها وحياتها ايضا .

ولما كانت هذه هي طبيعة سائر اللغات ـ لا اللغة العربية وحدها ـ عمد مدونوها الى مراجعتها بين الاونة والاخرى وتنظيفها من الالفاظ الميتة وتسجيل الالفاظ الجديدة التي ولدت على لسان المتكلمين بهذه اللغة ، ولذلك فان اللغة لا يضعها المدونون ولا يبحثون عنها في المعاجم القديمة ، وانما يسجلونها بالضبط كما تسجل اسماء المواليد والموتى في سجلات معينة ؛ وهذا هو المعنى الحديث لتدوين اللغات ، بينما تسيطر علينا نحن فكرة احياء الالفاظ القديمة والتنقيب عليها في بطون معاجم مرت على وضعها مئات السنين ، بالضبط كما لو كنا نبحث عن مواليد في مقبرة ..

ولاجل ان اوضح ما ارمي اليه يحسن ان اشير الى اسم « مصر الجديدة » التي تطلق على احدى ضواحي القاهره وكيف ولد على لسان حوذي ، وكان يطلق عليها قبل ذلك اسم « هليوبوليس » ذلك ان المرحوم « انطون الجميل » حينما كان رئيسا لتحرير جريدة الاهرام استوقف عربة ولما ركبها ساله الحوذي الى اين ؟ اجابه « الجميل » هليوبوليس » فقال الحوذي : تقصد « مصر الجديدة » فاعجب رئيس التحرير بهذه التسمية وروج لها حتى اصبحت اسماء للضاحية ومات اسم « هليوبوليس » .

ولما كانت هذه الديمقراطية ـ كالديمقراطية السياسية ـ في حاجة الى تربية وثقافة واخلاق وذوق ، فان وقت تطبيقها ما يزال بعيدا ، ولكن قبل ان نفكر في سبيل تنمية اللغة العربية وتنقيبها وطبعها بطابع الدقة التي تحتمل الا المعنى الواحد ، يحسن ان نفكر في موضوع توحيد اللغة العربية وانقاذها مما هي معرضة اليه من التصدع الذي وجب ان نقف في وجهه ونقاومه .

واللغة العربية قابلة للتشتت وكادت تتحول الى لغات عربية ، ولا اقصد اللغات العربية الدارجة وانما اقصد الفصحى ، فهي كثيرة المترادفات التي ولع العرب بها الى حد انهم كانوا يحولون الصفات والنعوت الى اسماء ليضاعفوا من ثروة هذه اللغة ، وكانوا يفخرون بان لهذا الشيء او ذاك عديدا من الاسماء ، ويصرف اطفالهم وقتا طويلا في استقصائها والالمام بها ، ولما تقادم العهد على هذه اللغة التي كانت في يوم من الايام حديقة منسقة منظمة ، تحولت الى غابة شجراء لم تشذب اعوادها منذ مئات السنين ولم تمتد اليها يد العناية الا في اواخر القرن الماضي .

ولتصدع اللغة العربية اسباب اخرى ، غير كثرة المترادفات التي اشرنا اليها ، ومنها ترامي اطراف العالم الذي يتكلم اللغة العربية ، ووجود عدد من الصحارى فيه ، كانت تقطع اطرافه وتعزل بعضه عن بعض ، مع انعدام وسائل المواصلات ، ثم سيطرة مختلف الاجانب عليه وتمزيقهم له وعزل اطرافه بعضها عن البعض الاخر ، بل والذهاب الى محاربة اللغة العربية باسرها ، فعزلته الصحارى اولا ثم ساندها الاستعمار .

ومنها ختلاف البيئات المتراوحة من الثلوج الى القيافي ، وقد مكنت كثرة المترادفات هذه البيئات من ان يكون لها مفعولها الكبير ، لان لكل بيئة ذوقا يختار اسما غير الاسم الذي تختاره البيئات الاخرى ، كلها او بعضها .

ثم أن تشوء اللغات الدارجة وتباعدها فى فى اللفظ واللهجة والاسلوب كان له تاثيره على اللغات العربية فى اللفظ واللهجة والاسلوب ايضا ، واذا كانت اللغة العربية الفصحى قد اخذت تؤثر على هذه العاميات فان هذه العاميات ايضا بدات تشق طريقها الى اللغة العربية الفصحى ، واخذت تطل براسها فى الصحف والمجلات .

هذه حقائق تاريخية قمينة بالتامل ووضعها موضع الاعتبار ، ولكنها لا تعني على وجه التاكيد ان الهوة لا تزداد الا اتساعا ، وان المشكل لا يزداد الا تفاقما ، بل على العكس من ذلك بذلت جهود فردية جبارة خلال المائة سنة الماضية ، بذلها العلماء والادباء والشعراء والمترجمون اعادت الى اللغة العربية بريقها ، وجعلتها قادرة بصفة عامة على التعبير عن ادق المعاني باجمل الالفاظ ، بل اضافت الى بريق اللغة العربية القديمة بريقا جديدا استمد من اللغات الحية والثقافات الاجنبية الحديثة .

وكان لنشأة الصحف والمجلات السيارة وانتشار الكتب ، والكتب المدرسية بصفة خاصة ، ثم بعد ذلك لاختراع وسائل المواصلات السريعة ، ولقيام محطات الاذاعات فى البلاد العربية تتساند فى وقت التساند ، وتتهاتر فى وقت التهاتر ، ويهمها فى كلتا الحالتين ان تكون مفهومة على اوسع نطاق فى سائر البلاد كلها ، وقد كان لكل هذا اثره الفعال فى لم شتات الاقطار الاجنبية ، ان لم يكن فيها جميعا ، موجهة الى العالم العربي باللغة العربية ، ويهم واضعي هذه البرامج هم ايضا ان تكون مفهومة على اوسع نطاق فى هذه البلاد كلها ، وقد ان لكل هذا اثره الفعال فى لم شتات هذه اللغة وانقاذها من خطر التشتت الذي كانت معرضة له بحيث يمكن القول بان نجاتها قد تحققت.

وقد تحررت اليوم معظم البلاد العربية واصبحت الحدود التي اقفلها الاستعمار بصفة عامة مفتوحة اليوم فى معظم الاحيان ان لم يكن فى جميع الاحيان ، وتحققت وسائل التغلب على العوائق الطبيعية ، كما اصبح لكل بلاد عربية سلك ديبلوماسي فى البلاد العربية الاخرى ، ويعيش بذلك مجموعة او مجموعات عربية من كل قطر فى هذه الاقطار ، ويختلط هؤلاء العرب الوافدون من جميع الاقطار العربية كل قطر عربي ، ويساعد ذلك على تبادل التفاهم بين افراد مجموعة عربية مصغرة فى كل قطر، ما تلبث ان تعود الى بلادها لتحدث تقاربا لم يكن متاحا من قبل .

وهنا يجب ان ننوه بحركات التعريب التي قامت وتقوم فى كل بلد عربي حاول الاجانب طمس معالم اللغة العربية فيه ، ولكنه كافح الى ان حقق استقلاله، كما نشاهد هنا فى المغرب .

ولكن هذا لا يعني على الاطلاق اننا نتكلم لغة عربية واحدة لها معجم واحد مدقق يمكن الرجوع اليه، للعثور على اللفظ الواحد ، الذي يعني المعنى الواحد دون سواه فى سائر انحاء العالم العربي ، وهذا هو المجهود الذي يجب ان يقوم به اللغويون العرب مجتمعين لا منفردين، على مبعدة من المشاكل السياسية وفى جو تغمره محبة اللغة العربية والغيرة على وحدتها ، والعمل على ابرازها كلغة موحدة نهائيا ، واعادة المعاجم القديمة الى رفوف التاريخ لتكون مصادر تاريخية ، اما ان تكون مصادر لغوية فلا ، لان اللغات تستمد من الناطقين بها ، فى الوقت الحاضر، لا من التاريخ ، فتاريخ اللغة العربية شيء واللغة العربية الحديثة شيء اخر ، كما لا احتاج ان اقول .

ان الوحدة العربية الصحيحة لا يمكن ان تتمم على الصعيد السياسي اولا ، وانما يجب ان تتم اولا عن طريق الثقافة ، واول ما يجب ان يتم عن طريق الثقافة هو توحيد اللغة وتدوينها من جديد حسب القواعد المرعية الحديثة ، وبتعاون مجد مخلص بين جميع البلاد العربية ، ولست اريد ان اخوض الان فى موضوع الطرق الكفيلة بتحقيق ذلك ، وانما اكتفي بتسجيل الفكرة ، ولكن لماذا ؟

لان مواد تفكيرنا هي الالفاظ واسلوب تفكيرنا مستمد من اسلوبنا اللغوي ، فاذا لم نستعمل الفاظا واحدة ، واذا لم نتبادل التفاهم باساليب واحدة واضحة الدلالة ، صعب علينا التفاهم فى اي شيء ، كبيرا كان او صغيرا ، لان التفاهم يبدا بتحديد الالفاظ وتوحيدها وقديما – وليس قديما جدا – قال فولتير « اذا اردنا ان نتفاهم فلنحدد معنى كل كلمة نستعملها » .

لقد تقدمت اللغة العربية فى طريق التوحيد وهي ما تزال تتقدم الى اليوم هذا امر لا شك فيه ، ولكن هل تتقدم بالسرعة التي تتطلبها امكانيات السرعة فى العصر الحديث ؟ هذا هو السؤال .

الرباط – عبد المجيد بن جلون

بمناسبة ذكرى ثورة الملك والشعب

جلالة الحسن الثاني المقاوم

للأستاذ أحمد زياد

ان وراء كلمة « المقاوم الحسن الثاني » تاريخا حافلا ودقيقا باخباره ، ووقائعه ومواقفه ، وفي طي هذه الكلمة ذكريات مجيدة ورائعة من تاريخ الملك الحسن الثاني وكفاحه الى جانب والده محمد الخامس رضوان الله عليه ، كما ان الكلمة تحيط بها مواقف بطولية من تاريخ الحسن الثاني وتتوجها بعد ذلك ازاهير من اكاليل النصر والظفر ، وهكذا فان كلمة المقاوم بالنسبة للحسن الثاني تعتبر ذات مدلول يتبلور في وقائع التاريخ البعيد والقريب والحاضر كذلك .

والمقاوم الحسن الثاني ابتدا المقاومة وهو في طور التلميذ ، ثم في دور الطالب ابتداها في صفوف المدرسة المولوية بالمشور ، ثم شبت وترعرعت معه فكرة المقاومة من اجل الكيان المغربي ومن اجل شخصية الدولة ومن اجل الملك الذي كان وما يزال يجسم الكيان المغربي والشخصية المغربية تجسيما عبر عصور التاريخ والاجيال .

وكانت المقاومة في تلك الحقبة من تاريخ المغرب ما تزال بالصمت في اغلب مظاهرها وصورها اذ ان الاخذ والرد كانا يجريان في صمت ، وفي صمت رهيب في الكثير من الاحيان ، وكان الحسن الثاني يعيش هذا الصراع الرهيب الذي كان يتقاطع من حين لآخر بفترات من الهدنة تكمن خلالها الجمار تحت الرماد والى حين .

ولما اكتملت لدى الحسن الثاني عوامل التثقيف وعناصر التفكير السياسي كان الستار قد بدا ينسلخ شيئا فشيئا عن مشاهد ذلك الصراع الرهيب ثم اخذت جوانب المسرح في الاتساع لتتجاوز محيطها وحيزها فيما بين القصر الملكي وادارة « التشريفات » وحي الاقامة العامة لتزداد اتساعا نحو شوارع العاصمة ثم الى بقية المدن المغربية فالى كافة القرى والمداشر بعد ذلك .

لقد كان الصراع حادا ثم اخذ يتطور ليتخذ شكله الحاسم خلال تسلسل الاحداث التي لا يمكن ترتيبها في سرد استعراضي كهذا الذي نقوم به الان .

ان الاستعمار اراد — في وقت من الاوقات ان يعجل بخاتمة الصراع فيما بينه وبين القصر ، فلجأ الى اساليب التحدي السافر وما اكثرها في مراحل هذا الصراع ، واستخدام الحرب الباردة وما ارخص وسائلها في تلك الفترات المختلفة من مراحل ذلك الصراع الحاد .

لجأ الاستعمار فيما لجأ اليه محاولة ارغام الملك الراحل رضوان الله عليه على اقرار الولاة الموالين له ، فكان توقيف الباشا الحيحي عن باشوية اكادير يومئذ من طرف الملك ايذانا بنقل الصراع من شكله الرهيب الى شكل آخر ترددت اصداؤه في الداخل والخارج .

وجاءت قضية المراسيم التي تعطي للمستعمرين حق استغلال بعض المعادن المغربية واحتكارها لتجعل الستار ينحسر جملة واحدة عن تلك الدرامة التي كان فيها جلالة الملك محمد الخامس يقاوم ويشتد في المقاومة وكان فيها الحسن الثاني بجانبه يحمل معه عبء المقاومة ويسانده في النزال .

واخذت الاحداث تتسلسل بسرعة في مشاهد مختلفة يتجدد فيها الهجوم اثر الهجوم ، وحلت سنة

1950 لتبرز النظارة في الداخل والخارج كيف تبدلت مشاهد المصارعة في هذه الدرامة الى مشاهد مقاومة .

وتعاقبت الاحداث منذ سنة 1950 الى سنة 1953 لتسجل في طياتها المراحل الاولى من المقاومة ، وفي جميع هذه المراحل كان الحسن الثاني يمثل دور ثاني اثنين اذ هما في المعركة ، ولم يكن من السهل في ذلك الحين خوض معركةلاتوجد نسبة من التساوي فيما بين الطرفين المتقابلين فيها .

فالاقامة العامة تدبر وتخطط ، ثم تبادر الى التنفيذ مستخدمة وسائل الضغط ومحاولة الاكراه ومن ورائها قوة المعمرين ونفوذهم الذي كان ممتدا الى الاوساط المالية والى « الكي دورسي » وقصر الاليزي في ام « العواصم » باريس كما كانوا يسمونها يوم ذاك .

لم تكن عناصر المعركة متساوية لا في عددها ولا في وسائلها بل انها لم تكن قريبة من التساوي ومع ذلك فان روح المقاومة في الاب الملك وفي الابن الامير لم يفت في عضدها ما كان يتوفر عليه الطرف الاخر من قوة مادية في المغرب وعبر « اقطار ما وراء البحار » وفي « ام العواصم » .

واستمر التحدي ومحاولة التعجيز من طرف الاستعمار ، وحدث اكثر من مرة ان عمد « المخرجون » في هذه الدرامة الى سحب ممثلين وتعويضهم باخرين اقدر واشد وادهى وامر من اداء الادوار التمثيلية .

فكانت ازمة سنة 1952 وما صاحبها من اهوال ومن صور « للتكتيك » الاستعماري والاستراتيجية الاستعمارية وفي هذه الفترة كان المقاوم الحسن الثاني يساهم في ادارة جوانب المعركة مساهمة فعالة برد غارات المغيرين التي كانت تتجلى في مشاهد مختلفة ووقائع متشابهة .

وحلت سنة 1953 فكانت هي السنة الفاصلة للصراع الرهيب الذي ظلت مشاهده تجري في الخفاء الى ان انجلى الستار عن جوانب المسرح كله فكان المسرح كله هو هذا الوطن المغربي بجنوبه وشماله وشرقه وغربه .

واحس الاستعمار في اواسط هذه السنة بانه لم يبق في القوس منزع ، وانه لابد من ان تختتم هذه الدرامة وكيفما كانت العواقب .

وكانت فكرة المسيو بيدو الصليبية – التي عبرت عنها جملته الشهيرة « لا يمكن ان ينتصر الهلال على الصليب في المغرب » اكبر مشجع لمقيمه العام الجنرال كيوم ومساعده المسيو ديبلسون « وفيلسوف الملحمة » ومسيو بونفاس على انهائها .

وذلك في الساعة الثانية ظهرا من يوم 20 اغسطس سنة 1953 .

وقبل انتهاء هذه الرواية بقليل كانت الاحداث الدامية قد وقعت بمدينة وجدة فافهمت الاستعمار وان كان لم يحاول الفهم انه اذا فكر هو في انهاء المعركة ، فان الشعب المغربي قرر بدايتها من جديد وفي شكل جديد .

وعقب احداث وجدة بساعات اخذت الصحافة الاستعمارية تكتب بان المقاوم الحسن الثاني هو الذي دبرها ووضع خططها وحدد مواعيدها .

والواقع ان الحسن الثاني كان منذ بداية ازمة سنة 1953 قد اخذ يقاوم التحدي بالمثل ، فكان يجري الاتصالات مع المناضلين ويتردد الى الاجتماعات السرية في خلايا المقاومين ، ويسمع ويقترح ، وذلك بالرغم عن الجواسيس الذين بثهم الاستعمار على ابواب القصر ، وفي عرض توراكة ليحصوا على المقاوم الحسن الثاني الانفاس ، وليتتبعوا خطواته وليطلعوا اسيادهم على حركاته وسكناته واتصالاته .

ويبدو – مرجحا – ان الاستعمار آثر ختم الرواية لان وسائل الترغيب والضغط ومحاولة الاكراه والحرب الباردة التي لم تكن تخلو من قذارة في بعض الاحيان – قد فشلت كلها جملة وتفصيلا »

ولانه ايضا اصبح مقتنعا بان روح المقاومة في الاب الملك والابن الامير امتد مفعولها ليظهر في ذلك التجاوب الشعبي الذي كان يستعد لينطلق في جولة تعقبها جولات .

وانتهت الرواية بابعاد الاسرة المالكة المقاومة كما هو معلوم ، ولكن المقاوم الحسن الثاني ظل يعيش مراحل المعركة سواء في كورسيكا او في مدغشقر ، ظل يعيشها ويحياها ويساهم فيها بتدبيره وتفكيره واراني في حاجة الى اذن خاص لابراز نوع هذه المساهمة ، على انه مهما يكن من امر فان الحسن الثاني بقي يناضل الى جانب ابيه وهو في منفاه السحيق وبتفكيره وتدبيره ورايه الحصيف .

ولسنا في حاجة الى استعراض صور البطولة التي اظهرها الشعب المغربي بعد ابعاد الاسرة المالكة المقاومة والتي اتخذت في بعض الاحايين شان الاساطير، وان كان في هذه البطولة ما ظهر وما بطن .

الا ان دور المقاوم الحسن الثاني في معركة التحرير سيظل بارزا فيما قبل المنفى وبعده .

وهكذا فبمجرد ما عادت الاسرة المالكة من منفاها عاد معها المقاوم الحسن الثاني ليكون في طليعة جيش التحرير المنتصر وليحمل معه اكاليل النصر الذي جاء عقب صراع رهيب وعنيف ومعارك قاسية ومريرة كان في جميعها الحسن الثاني البطل المبرز ، والقائد اللامع ، والمدبر المتبصر ، والمخطط الحكيم .

ثم استأنف المقاوم الحسن الثاني عمله وتحول بنشاطه في جيش التحرير ليخلق جيشا يحمي مكاسب التحرير ويعمل على تنميتها .

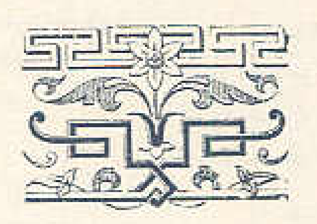
فاستطاع بعمله الدؤوب ان يخلق هذا الجيش الرفيع العماد المشرف في عدده وعدته وكفاءته وشجاعته وتولى المقاوم الحسن الثاني قيادة هذا الجيش ليقتحم بجحفله معركة اخرى ولنغمر معه في مقاومة اخرى معززا بشعبه الوفي الامين ، وذلك من اجل مقاومة التخلف ، وبناء كيان الدولة والمجتمع على انقاض العهد البائد الذي كان يحاول نسخ كيان الدولة ليمسخ بواسطته كيان المجتمع المغربي الشخصية المغربية والسيادة الوطنية لكن مساعيه باءت بالفشل امام مقاومة الشعب المغربي ومقاومة المقاومين الاولين محمد الخامس رضوان الله عليه والحسن الثاني اطال الله عمره .

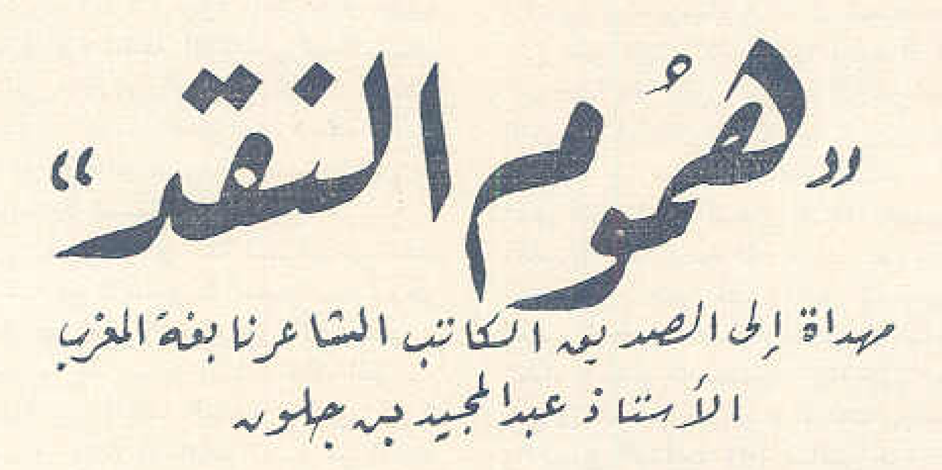
وبعد فاذن لم يكن في الامكان استعراض كل ما تنطوي عليه كلمة المقاوم الحسن الثاني، فان استعراض ما يتضمنه فهرس مجلدها الضخم ما يمكن القارىء من ان يسأل الوثائق فتجيب ، وبأكثر ما يمكن للتفاصيل .

وهكذا فان الاحتفال بذكرى ميلاد جلالة الملك الحسن الثاني من كل سنة تعد في نفس الوقت تخليدا لفكرة المقاومة التي نشأت معه في المهد ثم ترعرعت خلال الازمات التي مرت بها الاسرة المالكة وما اكثرها واشدها واستمرت في هذه المعركة التي ما يزال جلالة المقاوم الحسن الثاني يخوضها من اجل مقاومة التخلف ليلقى هذا نفس النهاية التي لقيها الاستعمار .

ويومئذ تكتمل اجزاء النصر بقيادة جلالة الملك الحسن الثاني اطال الله عمره .

الرباط ــ احمد زياد





كنت أتمنى ان لو عرفت الشاعر الخالد احمد شوقي بالصحبة لا بالنظر وحده . فلقد تاخرت عن زمنه سني ، فهو حين جاء دمشق وكرمه المجمع العلمي العربي واقام الدنيا الشامية واقعدها من اجله منهض الشآم استاذنا المغفور له «محمد كرد علي» كنت يومئذ عند وصيد الدراسة في كلية الحقوق وكلية الاداب بجامعة دمشق . فوقفت فتى ازحم بمنكبي الصفوف حتى خلصت الى حيث كان شوقي يجلس في باحة المجمع ، وبيده حامل لفافة تبغه من العقيق ، وعلى صداره سلسلة ذهبية ، ووجهه يفيض فرحة بتكريمه . وقد وقف يلقي قصيدته عنه الكاتب والصحفي المشهور الاستاذ نجيب الريس ، رحمه الله ، فاخذ يتهدج صوته بقصيدة شوقي التي حلى بها دمشق بمحاسن لا تنضوها الطبيعة عنها سجيس العصور . ومطلعها « قم ناج جلق وانشد رسم من بانوا » .

وامتزج ادبي منذ كان لي ادب بشوقي وشعره ، حتى استراح قلبي للتاليف فيه والمحاضرة ، ولم يسترح من حبه . ولما طلع علي صديقي الحميم نابغة الجامعة المصرية الدكتور شوقي ضيف يقول لي حين كنت بمصر :

— اليك اول نسخة من كتابي عن شوقي شاعر العصر الحديث .

تلقفتها منه وانا حفي بها ، اقبلها وملء قلبي مسرة ان ينهض اخي شوقي ضيف بها وكاني انا الناهض . ومثل ذلك اعيش مع ابي الطيب المتنبي بعد ان الفت فيه كتابي ، فاجده في كل سانحة من سوانح فكري وبوارحه .

ولقد هتف بي شوقي امس حين كنت اقرأ بمجلة «دعوة الحق» المغربية الرائعة التي علت الى قمم المجلات العربية الحديثة . فبعد ان قرات فيها مقالي عن « ام حكيم » الجميلة المدلهة بالحب والشراب ، وام حكيم الثانية المحاربة التي ذابت انفاسها على حدود الحسام ، اخذت اقرا في المقالات التي تجلت في هذه المجلة «1» واجول مثل نحلة من شميم زهرة الى تقبيل وردة ، حتى وجدتني وجها لوجه امام صورة فريدة ومقال نفيس ، فاكببت على قرائتهما وتفهمهما ، ولقد اهتزت عروقي لهما وارتاح فؤادي لكل تعبير تالق فيهما والفيتني مرددا بيت الشاعر شوقي الذي يقول فيه :

ضحك الدنيا احتشاد للبكا
وحزين يتاسى بحزين

فاذا انا اغير في كلماته من دون ان اشعر اني قد عمدت الى التغيير ، واذا بي اقول :

« واديب يتاسى باديب »

فتاسيت بالكاتب الشاعر ، الهادىء تفكيره ، الصافي ادبه وضميره « الاستاذ عبد المجيد ابن جلون » الذي عرض عليه الاستاذ الفاضل « محمد

«1» عدد ابريل مايو 1965 .

ابنعبد الله » وهو من أسرة « دعوة الحق » ان يكتب للمجلة مقالا يتناول فيه بالنقد المقالات والقصائد والاثار الفكرية التي جاءت في العدد السالف . وهذه سنة غير مستحبة . اخذت بالتنكر لها وشجبها منذ صدرت في مجلة من المجلات العربية في عصرنا الحديث. ولم اجد لها ضريعا ولا شبيها في مجلة لدى الغربيين . ولو كان الغربيون قد وجدوا في هذا الضرب من النقد اصغر ما يوقف عليه من الجدوى لما احجموا عنه ، وهم الذين توخوا بشأذائهم ارفع الاثار واجل الافكار . ولقد رحت اشهد ما قد سبب ذلك النقد المقيت من شنئان وعداوة بين ادبائنا العادين والملموزين ، فان الاثر المنشور في مجلة او كتاب لاديب من الادباء هو كما يقول الجاحظ في منزلة العز والحب للولد الغالي . فكيف ياتي ناقد متحذلق او مبيت ضغنا في قلبه على الحياة والادب ؟ فيسكب اشواق مصارعه على الاثر الجميل ، يريد ليشوه معالم جماله ويطمس مظاهر كماله . ولكم صرف النقدالجارح ادباء عن نشر آثارهم وقد عرفت فيهم كبيرا مختمرا في الادب والشعر ومن اعلام النهضة الحديثة وهو من اساتيذنا واصدقائنا فقلت له يوما :

— فيم ؟ لا تنشر رحلتك الاوروبية وقد اقراتنا منها اطرافا سواحر . فقال :

— افعل هذا ؟ حتى يجيء ناقد فيقول لي : احسنت ، اسأت .

كذلك ابغض الادباء الموهوبون مياسم النقد الكاوية التي تنصب بالغضب والضغائن على الاجساد، وليس للادباء من ذنب الا انهم احبوا ان يطلعوا الملا على اثر من وجدانهم الصافي .

وههنا تعاودني ذكرى مريرة لكلمة كتبها عني ناقد منذ خمسة وثلاثين عاما ، وانا طالب في المدرسة التجهيزية بدمشق اجاوز اواخر العهد بها ، وقد نشرت ذلك الزمن شعرا ، فرآه ، وكان هو في قريته شاعرها ، فكتب في جريدة دمشقية كانت حاقدة تؤثر الاغارة ، بانني لست جديرا بالحياة . فلقد اراد لي الموت يومذاك ، لانه لم يعجبه ادبي ، وقد بدرت مني حين رأيت كلامه بادرة غريبة اذ لففت الجريدة التي فيها هذا القول عني ، وفتحت باب الموقد في غرفة الدرس ، ابان الاستراحة ، وكان الوقت شتاء ، وطرحت بها جملة واحدة في النار ، وكأني اردت ان اطعم ذلك النقد المعتدي السنة اللهيب . وناقدي القديم لا يزال بحمد الله حيا — على ما علمت — وكم ادعوه اليوم ليقرأ المقال الذي كتبه عن ادبي مؤدب العصر الحديث الاستاذ العظيم « عباس محمود العقاد » نضر الله عظامه ، وقد ظهر مقاله هذا عني في كتابه الاخير « اشتات مجتمعات في اللغة والادب في الصفحة 141 فناقش فيه ءارائي في الملحمة العربية التي ادعو اليها واصنعها ، واثنى على ثناء جللني بالفخر طول عمري ، وبعد موتي (1)

وكم اتمنى ان يقرا هذا المقال السابغ ناقدي القديم ليؤمن الان انني عشت بحمد الله ، وان لي بضعة عشر كتابا مشهورة تعاد طبعاتها ، وان بعضها من المصادر الجامعية الموثوق بها في الماجستير والدكتوراه في الجامعات العربية بكليات آدابها ، وان اعلام الادب المعاصر يقرؤون آثاري ويعرفونني حق المعرفة ، وفي مقدمتهم الدكتور طه حسين والاستاذ احمد حسن الزيات مد الله في عمرهما ،

وشاع بفضل الله ادبي في ديار العروبة والاسلام ، وبلغ الديار الاوربية لدى بعض المستشرقين وبخاصة في المجر واسبانيا ، وقد كتب رئيس المجمع الادبي الاسباني بمدريد الدكتور الاكبر رامون ميناندز بيدال مقالا عني يتعلق بالملاحم والمراسلة بيننا منذ عشر سنين . ونشر المستشرق الدكتور جرمانوس دراسة تحليلية لكتابي « ابو العلا ناقد المجتمع »

كما أعزني الرئيس فؤاد افرام البستاني رئيس الجامعة اللبنانية بمقاله الرائع عن كتابي هذا في هذا الشهر .

لقد اخافني ذلك العائب الادبي ، وانا ناشيء ، فقلت لامي — يرحمها الله — ذلك ، فلم يهلها الحادث

---

1) ارسل الى الكاتب الكبير الاستاذ وديع فلسطين من القاهرة هذا المقال بخط الاستاذ عباس محمود العقاد وتوقيعه في ءاخره وقد حصل عليه من المطبعة ليكون اثرا عزيزا عندي ، بعد ان فارق كاتبه العظيم عالمنا عليه رحمة الرحمن — وقد وصل خط الاستاذ العقاد الي بمقاله عني يوم خططت هذا المقال لمجلة « دعوة الحق » وجعلت عنوانه « همـوم النقـد » فيا للاتفاق القريب !

وشجعتني ، وكنت اقرا لها شعري وافهمها معناه على غرارة الصبا ، واترنم بسمعي على تلاوات قرآنها . ولقد افادني تمرسي باليتم منذ مات والدي وانا ابن عامين ، فنهضت امي ، رحمها الله ترعاني بالتشجيع فلم آبه للناقد ، ومضيت فى سبيلي ، حتى ادركت اليوم غاية من الادب ارجو ان اوتي العمر للمضي فيها، ولاكمال الملحمة العربية التي بلغت باناشيدها الان صدر بني امية ، ثم تحدرت الى « نشيد الخوارج » و « نشيد الحسين »

فلما قرات مقال الاستاذ النابغ « عبد المجيد بن جلون » الذي كان انعم فى عباراته من الحرير ، وابلغ فى الصواب من الحكمة ، مشيت على سطوره مترنح النظر لماب الخاطر ، حتى خلصت منه خلوص الجائع من الطعام الشهي . اني وجدت هذا الاديب الكبير غير غريب عني ، بل وجدتني قريبا له فكأني ابن عمه او اخوه ، وقديما زرع لنا ابو تمام الطائي شيخ الشعراء شجرة القربى فى الادب . فرحت ازدهي بالاديب العربي ابن جلون فى المغرب بلاد العروبة والاسلام ، حيث اخواننا المفكرون المغربيون فى مجاثمهم المشرقة على عدوة البحر فى طنجة وفى الدار البيضاء والرباط وهم عيون مثائر الفكر العربي الحديث . لقد تأبى هذا الاديب المطبوع ، على الظلم فى القلم ومياسم الكيد فى النقد فترفع عن اسفاف طغمة يملك اكبادها الحسد ، وتنتشر الصفرة على وجوهها من ضيق النفس وتخوص العيون ، احرماتها الفكري ، فهي كالعقارب تجعل حمتها فى اقلامها . وما شأن كاتب يجول فى ءاثار الناس ؟ فيقول للواحد احسنت وللثاني اسأت وهو دونهم وينفس على المحسن جميل صنعه ويبيت ليله شامتا ، ويراه الناس متجنيا ظلاما .

وكنت فى مؤتمر الادباء العرب فى « بلودان » «1» مشاركا فيه ومتكلما ، وانهى نابغة العرب بلبنان الاستاذ « ميخائيل نعيمة » محاضرته الكبرى السابية فى « النقد والادب » وقد دعا فيها الى الوئام بين الادباء والتجرد الممكن فى اظهار المثالب ، بروعة متكلم وعمق مفكر ، وقد سمعها المؤتمرون بشغف متواصل وانجذاب ساحر ، وكان احد حواريي المسيح أبان القائها ، ولم يكد يجاوز كلمته الاخيرة فى ختامها حتى دوي المكان بالتصفيق وفاضت مشاعر الاعجاب بنابغة الجيل الباني .

وجاءت نوبة المناقشات فنهض اليها مسرعا خصم من خصوم « ميخائيل نعيمة » الالداء ، ففتح عليه بابا من ابواب النقد الجهنمي الباطش ، وكأنه كان يرميه برشاش من الرصاص لا يمسك به الا العدو الخصيم ، فتلقى اديب العصر نعيمة ، الهجمة بابتسام هادىء . ولم اترك لمن يلي ذلك الهاجم من صحبه الحاقدين اغتنام النهوض للكلام لموالاة النقد بالخصام ، فنهضت الى المنبر كالسهم الخاطف وخاطبت الاستاذ « نعيمة» كما كان يخاطب الحواريون المسيح :

ــ يا معلم ، اننا لم نجيء تحت ظلال هذه العشية الشامية الجميلة لكي نجرب فى ادبك الجبار اسلحتنا الكليلة .

وافاض الله علي كلاما بالنقد المسالم والتجرد فيه ، ودعوت الى شيوع الود والوئام بين الادباء والقضاء على النقد الهادم الذي يتوقد فيه الحسد والتشفي .

وكان مدير الاجتماع لبقا فانهى الجلسة بحذقه بعد ان علاها وميض الكهرباء وتوتر الاعصاب فهب نعيمة مقبلا علي باسارير ضاحكة يفيض منها الود الذي لا يبلى .

وكذلك خلص الاستاذ « ابن جلون » بالاعتذار المحبب من التورط فى نقد ضار ، فكان فى ادبه رسول السلام وداعي الوئام ، لا حامل عصا للقرع ، او معولا للتهديم .

ولست فى كل ما ذكرت اوثر ان اجنب الادب والفكر عوامل النقد الصحيح المدرسي ، فاني كنت اعلم تلاميذي النقد فى كلية الاداب بجامعة دمشق ، واطبعهم بطوابع مدارس النقد القديمة والحديثة فى الادب الغربي والعربي ، ولطالما شهدت معارك النقد بضفاف النيل ، فيما كان يدور منها بين صديقي الناقدين « محمد مندور ورشاد

«1» من مصيف دمشق واعلاها .

رشدي » وحين احتدم الخصام الفكري بينهمـــا ، وهجم رشاد رشدي تخفق فوق راسه اعلام « ت.س. ايليوت » اخذ مندور يجالده بهدوء ، حتـى تكـون صفان من الكتاب ، كل منهما بجانب ، ولم اتجه الى واحد منهما ، غير اني نصحت مندورا ـ يرحمـه الله ـ بالكف ، ابقاء على القلوب دون ان تتحطم ، فان بقايا من الود فيها تكفي لتجدد الصداقات ، بعـد طول خصــام الاقلام .

وكان دابي ان ادور واؤوب في ادب العصر الحديث وفي حياة ادبائه ، على مرآة ارى فيها صورتي ، وكنـت ارى في معارض هذا الادب مرايا مقعرة اجد فيها وجهي كبيرا ضخما ، فانكره . وتارة اتمرى بغيرها محدودبة فأجدنـي صغير السحنة ممسوخا بـزري العينين ، لولبي الفم ، دقيـق العنق ، فافزع من نفسي وانكـر حالي واغطي براحتـي وجهي . ولم اعدم مرايا صافية حيث وجدتني فيها متلالىء الخاطر والصورة ، كالذي كان من امري حين نظرت امس بالمرآة الصافية بوجه الكاتب الفذ الصديق « عبد المجيد بن جلون » . فلقد مضيت وراء عينيه في اغوار بعيدة ، وشممت في ادبه عطر الانتعاش ، وحمدت لربة الشعـر شعره في « محمد بن عبد الله » الرسول الاعظم تمجيدا وتسبيحـا في قنوت صوفـي ذائب ، فقلت وانا اختتم هذا المقال :

ـ لقد رايت الان في سواد ليل الادب المعاصـر ، نجمـا وهاجا ، طلع في المغرب ، ليضيء المشرق .

دمشـق في 18 اغسطس 1965

الدكتـور زكـي المحاسنـي



التعليم، الثقافة، البحث العلمي

للأستاذ : محمد العربي الخطابي

من الصفات الاساسية التي يتسم بها عصرنا انه **عصر الجماهير** . المزايا الاخرى انما هي نتيجة لهذه الصفة الجوهرية . فهو عصر العلم ، عصر التقدم ، وعصر المذاهب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المتشعبة والاتجاهات الفكرية والثقافية المختلفة ، وهو عصر الذرة والصواريخ وارتياد الفضاء، هو كل ذلك لانه **عصر الجماهير** . ولم تكتسب هذه الصفة مظهرا ديمقراطيا كاملا فى عصرنا وفي جميع الاقطار تقريبا الا فى انتشار التعليم واعتباره حقا لجميع المواطنين . وقد اصبح التعليم بسبب ذلك مؤسسة انسانية واجتماعية لها الكلمة الاولى في تقرير مصير الشعوب المادي والمعنوي . ذلك ، لان هذه المؤسسة هي المسؤولة قبل غيرها عن :

— ابراز كرامة الفرد بتحريره من الامية والجهل والعبودية الفكرية .

— خلق الوعي الفردي والجماعي

— تحسين مستوى الفرد وظروف معيشته عن طريق تزويده بالحد الادنى من التعليم والتأهيل

— توفير وسائل الاتصال بين مختلف الجماعات الانسانية .

* * *

ان حاجات المجتمعات العصرية — سواء في الدول المتقدمة او فى الدول النامية — تزداد وتتسع بسبب سيطرة الآلة واتصال العالم وتعقد اساليب الحياة وتعدد مطالبها مما يفرض على كل دولة ان تنفق قسطا كبيرا من ميزانيتها على تعليم ابنائها لتنتفع بهم غدا في مختلف مرافق الحياة الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية التي لا تقوم دولة بدونها . لذلك فالتعليم ، منظورا اليه من هذه الناحية، يعتبر استمارا لرؤوس اموال تنفق فى مجال تحقيق الانماء الاقتصادي والاجتماعي المطلوب ، وهو بلا جدال وسيلة هامة من وسائل تقوية الانتاج . وقد توصل السيد ستروميلين (STROUMILINE) عضو الاكاديمية السوفياتية (1) — فى محاولة قام بها لتقدير النتائج الاقتصادية لنمو التربية — توصل الى ان العامل الذي يجتاز أربع سنوات من الدراسة الابتدائية اكثر فعالية من العامل الامي بمقدار 43 ٪ والذي يجتاز المرحلة الثانوية يكون اكثر فعالية بمقدار 108 ٪ والذي ينهي دروسه العليا يحقق 300 ٪ من الفعالية . وبناء على هذا التقدير يتضح ان الاموال التي تنفق فى سبيل التعليم يمكن ان تدر فى سنوات قليلة ارباحا مضاعفة (مثلا 3 ملايير تجلب 70 مليارا)

* * *

لقد كان من سوء حظ بعض الدول التي تخلفت عن ركب الحضارة وابتليت بالاستعمار أن وجدت نفسها — بعد الحصول على استقلالها السياسي — تجاه مشاكل ضخمة فى مقدمتها **مشكلة الاطارات** . وجدت نفسها فى حاجة الى مهندسين واطباء واساتذة وخبراء وفنيين وعملة مؤهلين فى جميع المرافق . وبما أن التعليم هو الوسيلة الاساسية لاعداد الاطر الضرورية فقد صرفت كثير من حكومات الدول النامية كل جهودها فى توجيه التعليم نحو هذا الفرض المستعجل ، وادخلته كثير منها فى خطة الانماء

(1) عدد مارس 1965 — ص 8 LE COURRIER (U.N.E.S.C.O.)

الاقتصادي والاجتماعي . ولا مرية في ان هذا العمل معقول ولازم تفرضه حاجة الدول المتخلفة ؛ ومنفعته محققة ما لم تقع التضحية بقيم جوهرية لايمكن ان يقوم نظام تربوي صالح بدونها . هذه القيم هي التي تحدد للتعليم مبادئه الثابتة واهدافه الشاملة البعيدة. ذلك ان التضحية بهذه القيم انما يعني التضحية بعديد من المواهب التي تقولبها الحاجة الملحة الى الاطارات فتمسخها ، كما كما يعني التضحية بالمثل التربوية الراسخة التي تعتبر الانسان كائنا حرا وعضوا في جماعة انسانية ذات حقوق وواجبات ، ولا تنظر اليه **كمجرد أداة انتاج** . هذه المثل التربوية هي التي تهدف الى تهذيب العقل وتنظيم الفكر وانماء المخيلة والقيم الجمالية عند الفرد وتزويده بمهارة ما - فكرية او يدوية - ليتم تناسق ملكاته الذي يؤدي الى تناسق المجتمع وتآلفه .

ان اي نظام للتعليم ، لكي يكون صالحا يجب ان يراعي الكم والكيف معا ، وان يوفق بين احتياجات المجتمع المادية ونزعاته الانسانية ومطالبه الروحية والعاطفية

ولهذا فان من الحكمة ان تحذر الدول النامية الوقوع في اخطاء قد تؤدي بها الى اقامة مجتمع آلي مفكك تنعدم في افراده روح الاصالة والابتكار وتعوزهم الدعامة الفكرية والتربوية اللازمة فيصبحون بذلك مجرد رؤوس محشوة بمعلومات جافة ، واجسام تحركها مطالب العيش المادية الصرف .

« يجب تخطيط التربية للزيادة من فعاليتها . على أن تراعى في هذا التخطيط جميع العوامل الاجتماعية والاقتصادية والديمغرافية والجغرافية والادارية وغيرها ، بمعنى أن يكون تخطيط التربية وثيق الارتباط بالتخطيط العام للانماء الاقتصادي الوطني (2) »

وهذا يقتضي ، بطبيعة الحال تحديد المبادىء والاهداف المتوخاة من التربية والتعليم في شكل **ميثاق وطني تعليمي** شامل يحدد الشكل والجوهر ويبرز العناصر الروحية والخلقية والفكرية والعقائدية وكل المقومات الوطنية والانسانية التي يجب أن يتوخاها كل نظام تربوي صالح .

أن المدرسة ليست مجرد مكان يلقن فيه النشء اكداسا من المعلومات ويتعرض فيها التلاميذ لامتحانات قاسية ، بالمدلول اللغوي الحقيقي لكلمة الامتحان التي تشترك في الجذر مع كلمة محنة ؛ بل يجب أن تكون المدرسة حقلا لتجارب الغاية منها ابراز مواهب الاطفال وقدراتهم الفكرية أو اليدوية ، وتدريبهم على الملاحظة والاستنتاج وتزويدهم بالعدة اللازمة لمواجهة الحياة في مظاهرها المختلفة . ووسائل تحقيق هذه الغاية هي : الهيأة التعليمية والمناهج والكتب الدراسية والاساليب التربوية المتبعة وتوجيه الناشئة في أوقات الفراغ عن طريق تربية روحية وفنية وبدنية ملائمة .

ولا بد من اعطاء اهمية خاصة ، في مناهج التعليم ، للمواد الدراسية التي تؤلف التراث الفكري والحضاري للامة كاللغة والدين والتاريخ والجغرافية والادب وتاريخه ، هذه المواد التي يجب ان تلقن للتلاميذ بكيفية سليمة تبرز مفاخر بلادهم من غير تعصب ولا عنصرية ، وتحبب اليهم - دون استعلاء زائف - اوطانهم وتجعلهم يؤمنون بالعلم والتطور وبقداسة الروابط الانسانية وبالتراث الثقافي والحضاري المشترك .

ومن الاهمية بمكان كبير تنظيم اوقات الفراغ عند التلاميذ والطلاب سعيا في تنمية مواهبهم وتهذيب اخلاقهم وملكاتهم الفكرية وقواهم العاطفية والجسمية. ويحتل تعويد الناشئة على المطالعة الحرة مكانة بارزة في هذا السبيل ، ولاجل ذلك لابد من فتح مكتبات للاطفال في كل مكان توجد به مدارس ، وتشجيع الناشئة على ارتيادها حتى يتعودوا القراءة في سن مبكرة فتصبح عندهم عادة يحرصون عليها في الكبر . فالتعليم كما قال **أندري موروا** ليس الا مفتاحا يفتح أبواب المكتبات . والحقيقة انه لاقيمة نهائيا لتعليم لايبعث في النشء حب الاستطلاع والعمل الدائب من اجل تنمية المعلومات وتوسيع الآفاق الثقافية عن طريق القراءة بصفة خاصة

واننا لنشاهد ، بكامل الحسرة والالم ، أزمة القراءة وانعدام الاهتمام بما ينشر من كتب ومجلات في اوساطنا المتعلمة ، ووقوف معلومات كثير من « المتعلمين » عند الشهادة الدراسية ، ومرد ذلك ،

---

2) السيد نوازير سيساكيان ، العالم البيوكيميائي الكبير ، ورئيس المؤتمر العام الاخير لليونسكو ، في مجلة LE COURRIER (بريد اليونسكو) مارس 1965

بدون شك ، الى خلو « النظام التربوي » الذي تعلم في ظله هؤلاء من كل عناية بالمطالعة واهتمام بالكتاب ما لم يكن الكتاب المدرسي .

ان الثقافة ليست بالمسألة الكمالية حتى بالنسبة لذوي الاختصاص المهني او التقني الصرف ، بل هي امر ضروري ولا تكتمل بدونه شخصية الفرد ، سواء كان هذا الفرد مهندسا أو لحاما ميكانيكيا او جراحا او ملاحا جويا

« الثقافة هي نشاط التفكير وتقبل الجمال والاحساس الانساني » كما قال الفرد نورث وايتهيد - احد كبار رجال الفكر والتربية في العالم - لذلك يجب ان تعنى المناهج الدراسية في جميع مراحل التعليم بتزويد الطلبة بالثقافة الضرورية التي تنمي فيهم روح الاستطلاع والبحث الحر وتقربهم من التجربة الانسانية الكبرى وتساعدهم على فهم العالم ومشاكله المعقدة .

« ان التقدم الاقتصادي لا يمكن تصوره ما لم تتطور العلوم الرياضية الطبيعية والمعارف التقنية في كل قطر ، وما لم تؤد هذه العلوم والمعارف الى تطبيق عملي سريع ... ان معرفة الموارد الطبيعية امر ذو أهمية خاصة بالنسبة للبلاد النامية التي بدأت التصنيع وتطوير الفلاحة ...

« يجب على كل قطر من الاقطار السائرة في طريق النمو ان يمتلك مراكز للبحث العلمي خاصة به ... » (3)

من هنا تتجلى أهمية تشجيع البحث العلمي الذي يعتبر في العصر الحديث جزءا رئيسيا ، من رسالة الجامعات والمعاهد العليا التي لا يمكن ان تكون بحال من الاحوال مجرد « مصانع » لتكوين الاطارات بل معاهد لانماء البحوث العلمية في مختلف المجالات واعداد علماء وباحثين قادرين على المساهمة في التقدم العلمي ومؤهلين لاداء رسالة فعالة في تطوير الاقتصاد الوطني وتدعيم اسس الصناعة واستكشاف موارد البلاد الطبيعية واستخدامها استخداما رشيدا نافعا .

الخلاصة ان كل نظام تعليمي وتربوي لايستهدف اعداد المواطنين ، عقليا وروحيا وبدنيا ، ولا يساعد على اكتشاف مواهبهم واستعمالها ، ولا ينمي فيهم روح البحث والاطلاع ، ولا يزود البلاد في نفس الوقت بما هي في حاجة اليه من خبراء وفنيين وعلماء ومفكرين ، لا يمكن ان يكون الا نظاما ناقصا ظاهر الخلل وعديم الجدوى

وعندي ان أسرع الوسائل لاستدراك ما فاتنا في حقول التقدم العلمي والصناعي والثقافي ، واللحاق العاجل بالامم المتقدمة هي العمل على خلق فئة من الباحثين والمفكرين وتشجيعهم على الدراسة والابتكار ومساعدتهم على التضلع في العلوم والمعارف ، وذلك عن طريق ايفاد الموهوبين والمتفوقين من حملة الشهادات العليا الى الخارج للتخصص في مختلف فروع العلم والتكنولوجيا ، وفتح اكاديمية للعلوم ، ومراكز للابحاث العلمية التي لها صلة مباشرة بالصناعة والفلاحة والاقتصاد وموارد الثروة والطاقة .

ومن الاهمية بمكان كبير كذلك ايجاد جهاز قوي فعال للاشراف على شؤون الثقافة وتركيزها يكون في طليعة مهمته تخطيط سياسة رامية الى نشر الثقافة والوعي الفني والاجتماعي عن طريق الاذاعة والتلفزة والصحافة ونشر الكتب والمجلات واحداث دار وطنية للكتب ومكتبات شعبية ، اقليمية ومحلية ، وغير ذلك من الوسائل المجدية .

ولا جدوى للتعليم ، في مختلف مراحله وفروعه، ما لم يكن عاملا اساسيا في نشر الثقافة بين المواطنين، وتشجيع البحث العلمي والابتكار . وبطبيعة الحال لا مجال لانتشار الثقافة الا بنشر التربية والتعليم على اوسع نطاق شعبي ممكن . ولا تنمو الثقافة ولا يزدهر البحث العلمي الا حيث تكون النظم التربوية والمناهج التعليمية هادفة الى ذلك ، وموضوعة على أسس قويمة ومدروسة .

ان موضوع الترابط التام بين التعليم ونشر الثقافة وتشجيع البحث العلمي موضوع يحتاج الى دراسة أعمق وأكثر تفصيلا . وانما توخيت في هذا المقال ان ابرز اهمية هذا الترابط الذي يجعل النظام التعليمي وسيلة أسمى واكمل لاتهدف فحسب الى « سد الثغرات » وملء الوظائف والاعمال، بل ترمي كذلك الى خلق جيل واع مثقف واعد بالعطاء والمساهمة الفعلية في انماء الحصيلة الانسانية في حقل العلوم والآداب والفنون .

ولي رجعة بعد هذا الى الموضوع لايفائه حقه ، وساكتفي فيما يلي باقتراح الخطوط العريضة لما يمكن أن يحتويه الميثاق المدرسي المرتقب ، مستمدا ذلك من المقومات المغربية ذاتها ، ومستعينا بما سبق ان

---

3) سيساكيان ، نفس المصدر السابق

اقترحته لجان وشخصيات منذ قيام اللجنة الملكية للتعليم (سنة 1957) الى الآن :

ـ الغاية الاساسية للتربية والتعليم هي تشجيع روح الابتكار والبحث الحر والتطلع عند ابنائنا ، وتمكينهم من اكتشاف مواهبهم وتنميتها ، وذلك بتزويدهم ، الى جانب الثقافة والمعرفة الضروريتين ، بتخصص عملي او نظري ، حسب ميولهم وقدراتهم ، يؤهلهم للحياة والعمل ، ويكفل سد حاجة البلاد من حيث الاطارات ، ويساعد على خلق مجتمع تسوده العدالة والاكتفاء والرفاه والتعاون وتساوي الفرص والحظوظ .

ـ يجب ان يعنى التعليم بالجانبين : النظري والعملي ، بحيث يلقن التلاميذ ، وخاصة في المرحلة الابتدائية والاعدادية ، **تدريبا يدويا ملائما لبيئتهم** ، وذلك الى جانب **المعلومات الاساسية العامة** .

ـ يحدد جذع مشترك وموحد للدراسة يشمل المناهج والاساليب التربوية والادارية . ولا يفترق التلاميذ ، دراسيا ، الا في دور الاعداد للتخصص وفي التخصص نفسه .

ـ اللغة العربية وحدها هي لغة التلقين في جميع مراحل التعليم ، ويشرع في تدريس اللغات الاجنبية ـ كمادة ـ في الطور الاعدادي .

ـ التعليم اجباري في المرحلة الابتدائية ، ومجاني في جميع المراحل (وفي حالة توفر العدد الكافي من مدارس التعليم الخاص تمنح الاسبقية في الالتحاق بالمدارس العمومية للاطفال الذين لاتسمح موارد عائلاتهم بالانفاق على تعليم ابنائهم)

ـ يكون التعليم **اجباريا** بالنسبة لجميع الاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين السادسة والثانية عشرة (مع التساهل في مسألة السن خلال فترة انتقالية تنتهي باستيعاب المدارس لجميع الاطفال البالغين سن الدراسة) .

ـ ينظم « سلك الانقاذ » على اسس تكفل استيعاب جميع الاطفال الذين فاتهم الالتحاق بالمدارس والذين تتراوح اعمارهم ما بين الثامنة والثامنة عشرة (ويلقنون في هذا السلك المعلومات الاساسية مع تدريب مهني مناسب) .

ـ **تراقب الوزارة** مراكز التعليم الخاص ، تربويا ، وتعمل على توسيع نطاق هذا النوع من التعليم بتشجيعه ، . وعلى جميع المدارس الخاصة ان تطبق المناهج الدراسية التي تضعها وزارة التربية الوطنية .

ـ تقسم مراحل التعليم كما يلي :

ا) المرحلة الابتدائية (اجبارية ـ **4 سنوات**) وتلقن فيها المعلومات الاساسية العامة مع اشغال يدوية عملية .

ب) المرحلة الاعدادية (4 سنوات) وتقسم الى تعليم عام وتعليم مهني (ويمكن ان تصبح هذه المرحلة اجبارية في المستقبل)

ج) المرحلة الثانوية (4 سنوات) وتكون مقسمة الى شعبتين : **شعبة للتعليم العام** (سنتان من الدراسة المشتركة وسنتان تخصص في التدريس او العلوم او الآداب او الرياضيات او الشريعة) **وشعبة للتعليم التقني** .

د) المرحلة العليا (الكليات والمدارس العليا)

هذا ويجب ان ينص الميثاق المقترح بالتفصيل على المواد الدراسية (العملية والنظرية) لكل مرحلة من المراحل ولكل نوع من انواع التعليم وذلك بوضع منهج دراسي قار ومفصل يراعي الاهداف المتوخاة من التربية والتعليم .

والخلاصة ان هذا الميثاق يجب ان يؤلف برنامجا كاملا قارا لسياسة التعليم ونظامه ومناهجه يسترشد به سواء في تخطيط الجوانب المادية لهذه السياسة او في تطبيقها . ولي عودة الى هذا الموضوع لشرحه وتفصيل القول فيه .

الرباط ـ محمد العربي الخطابي

مؤرخ الأدب العربي التونسي زين العابدين السنوسي

للأستاذ: أحمد أنور الجندي

يسعدني ان اكتب لمجلة « دعوة الحق » كبرى المجلات الاسلامية فى المغرب قاطبة محييا ذكرى « زين العابدين السنوسي » احد اقطاب الادب العربي المعاصر وقادته ومن الذين دانوا الفكر العربي الحديث ، ويشرفني كاحد كتاب المشرق العربي ان اكتب عن هذا العلامة الكبير وقد عرفت مؤخرا بوفاته من قصاصة تفضل بارسالها الي اخي الشاعر العربي ، والدبلوماسي العراقي ، هلال ناجي ، وكنت قد كلفته ان يقابل السيد السنوسي ويحصل منه على بعض ما عجزت عن الحصول عليه ، فقد راسلته فى الاعوام الاخيرة وتمنيت ان احصل منه على معلومات تكشف لي جوانب نفسه وحياته ، وكنت قد التفت اليه عشيره بالرغم من انه ليس صاحب صحيفة ولا مؤلفات ثرة ، ولفتني اليه اسلوبه وبيانه وعمق فهمه عن طريق بعض مقدمات الكتب التي اصدرتها مطبعة العرب التي كان يديرها ، ورايت انني لابد ان اترجم له فى كتابي « الفكر والثقافة فى المغرب العربي » ضمن مجموعة من كتاب تونس وليبيا والجزائر والمغرب . غير ان حصيلتي عنه كانت قليلة ، فارسلت اليه رحمه الله اكثر من مرة اساله بعض ذكرياته ، فلما سافر اخي ، هلال ناجي ، سفيرا بين بلاده وتونس رجوت ان أستطيع عن طريقه الحصول على ما قدرت ، فاذا به يفاجئني بقصاصة عن حفل الاربعين الذي اقيم له ، والذي كشف لي انه توفى فى منتصف شهر مايو تقريبا ، ومن هنا حق لي ان اكتب عنه وان اوسع نطاق البحث من اجل تكريم كاتب عربي بارز له فضل كبير ، ورجوت ان اكتب عنه فى مجلة « دعوة الحق » الزاهرة ، وحتى هذه اللحظات لم اجد فى صحف العالم العربي أو مجلاته التي تصل الي اي كلمة موسعة عنه .

والحق ان « زين العابدين السنوسي » من ابرز كتاب المغرب العربي منذ الثلاثينيات وما قبلها ، التقينا به فى كتابه « الادب التونسي فى القرن الرابع عشر » الذي اصدره عام 1927 الذي كان استهلالا لموسوعة كبيرة تهدف الى « دراسة الادب التونسي اليانع فى جميع الاعصر الاسلامية منذ دخول العرب الى يومنا هذا ، تخليدا للنبوغ والعبقرية التونسية التي ما فتئت الدرة الميمونة فى تاريخ الادب العربي الخالد » وقد قسم كتابه الى ثلاث دراسات :

1 – الادب التونسي فى العصر الذهبي للعرب .
2 – الادب التونسي فى العصور الوسطى .
3 – الادب التونسي فى القرن الرابع عشر .

وهو الاخير هذا الكتاب الوحيد الذي يوجد فى مكتبة معهد الدراسات العربية بالقاهرة ويحمل اسمه « ولعل استاذنا عثمان الكعاك يتفضل بارسال مجموعة من آثاره للانتفاع بها » .

ولا ندري ماذا انجز الاستاذ زين العابدين من موسوعته الا ما قرانا انه اصدر كتابه هذا عن الادب التونسي فى القرن الرابع عشر فى جزئين .

اما الجزء الذي بين ايدينا فيضم تراجم «الشعراء» : محمد الشاذلي خزنه دار ، ابو الحسن ابن شعبان ، حسين الحريري ، سعيد ابو بكر ، صالح النيفر ، محمد الفائز ، الهادي المدني ، محمد المكي بن الحسين ، ابو القاسم الشابي ، احمد خير الدين ، محمد مناشو ، سالم الاكودي ، علي النيفر .

وقد اهدى الكتاب الى والده «محمد السنوسي» اول صحفي عربي فى تونس وفى المغرب كله ومحرر

جريدة «الرائد التونسي» التي صدرت عام 1864 وثانية الجرائد العربية الاسلامية في العالم ، وفي اهدائه عبارة اسى وحزن ، فقد مات والده قبل ان يراه ويعايشه يقول : « الى والدي الذي لم ار شخصه في حياتي وان لم يفارق بصيرتي طرفة عين الى الذي الهمني العمل بما جمعه من ادب اسلافه ومعاصريه ، فقد قضى وتركني صبيا مرضعا ، فلم اكبر الا شاعرا بواجبي ايصال حلقات سلسلة الدهر اعترافا بقبول السير في منهاجه وتعقب خطواته » .

والحق ان زين العابدين السنوسي كان استمرارا لابيه في منهجه واستمرارا لاسرته التي عرفت بالعلم والفضل، فجده ابو عبد الله السنوسي اصله من بلدة « الكاف » وهو اول من قطن تونس بطلب العلم حتى كان من اعيان علمائها ، وتولى خطة قضاء « بنزرت » ثم قضاء « باردو » ثم قضاء الجماعة بتونس ، ووالده محمد السنوسي « 1266 – 1317هـ » ولد بحاضرة تونس وتولى في اول صباه تدريس العلم بزاوية سيدي الهياجي ، ثم تولى تحرير جريدة الدولة الرسمية « الرائد التونسي » وقد عرف بالكرامة وصدق الوطنية حتى انه فارق جريدة الرائد في اليوم الثالث للاحتلال الفرنسي ، وقد الف كثيرا وكتب كثيرا ، وله في الادب « مجمع الدواوين » جمع فيه عصارة دواوين متاخري شعراء التونسيين وهو في عدة اسفار كما جمع ديوان الشاعر محمود قبادو ، وله تاريخ خصه لقضاة تونس وائمة جامعها الاعظم اسماه « مسامرة الظريف ، بحسن التعريف » كما نظم الشعر في العروض والقوافي ، وله رحلتان الى الحجاز والى باريس اسماهما : « الحجازية والباريسية » ووصف قلمه بانه رطب اللسان يترشح لكتابة ما يعن له ، فلا يتهيب اي موضوع وقد وصفه احد مؤرخيه بقوله : « قيل « ان ما يكتبه هو من خطرات اليراع» يريد انه لا يحتاج الى اعمال الفكر اعلاما بقوة عارضته ، وذلك بتعجله في محرراته، وله تضلع في التاريخ ، اخبرني انه لما وصل الى بيروت صادف ان جمعية دائرة المعارف كانوا قد وصلوا الى ترجمة الامراء الحسينيين فالتمسوا منه ان يكتب لهم تاريخهم فاملاه وادرجوه بنصه في دائرتهم ، وكان فصيحا بشوشا لين العريكة متحببا الى الناس » وله قصيدته النونية التي سماها الفريدة في المخترعات الحديثة .

وفي هذا الجو المعطر بالعلم والادب والشعر نشأ زين العابدين السنوسي فاقتفى اثر والده العظيم فبدا حياته الادبية بانشاء الصحف والمطابع وكان ذلك على اثر انتهاء الحرب العالمية الاولى فكون له مطبعة باسم مطبعة العرب واصدر نشرة شهرية على طراز مجلة « البدر » في صورة كتاب له اجزاء باسم « العرب » فلما منعت الحكومة رواجها بعد العدد الرابع ، مضى يضع على كل عدد منها اسما جديدا ثم اصدر مجلة « العالم » في يناير 1930 وقد وصفت بانها كانت « رائد النهضة الفكرية ، وسجل التطور الادبي » فقد اولت اهتماما كبيرا للنهضة الادبية في المشرق والمغرب وعرفت باحدث الكتب في الادبين العربي والفرنسي ، وعنيت بنشر انتاج الشباب الجديد في تونس ، وترجمت عشرات من القصص والدراسات .

ومن عجب ان الرجل الذي بدا حياته على هذا النحو لم يلبث بعد ثلاثين عاما وبعد استقلال تونس ان ولي المطبعة الرسمية عام 1956 وحل محل والده الذي اقصاه الاستعمار الفرنسي عنها فكان هو اول وطني يديرها بعد الاستقلال .

وقد استطاع زين العابدين السنوسي ان يقدم في هذه الفترة عشرات من المؤلفات في مجال الادب والتاريخ كانت هي علامات اليقظة للفكر المغربي في تونس والجزائر ومن اهمها بلاغة العرب في الجزائر لزميل صباه عثمان الكعاك « 1927 » وموجز التاريخ العام للجزائر ايضا بقلمه وكتب اخرى في هذا المجال .

ولا يقدر اثر هذه المؤلفات الا من يعرف كيف كان الاستعمار الفرنسي يقاوم لغة العرب وتاريخهم ويقذف فكرهم بعشرات من الدعوات والنظريات والشكوك فكان احياء مثل هذا التراث والتعريف بهذه الاثار في مجال الادب والتاريخ عمل بطولي، وجهاد ضخم ، بعيد المدى خاصة بالنسبة للجزائر التي ركز عليها الاستعمار وحاول القضاء على عروبتها وقوميتها واسلامها ، ومن هنا كان مدى خطورة الكلمة المكتوبة في مجال الادب او التاريخ ، ومن خلال عبارات « زين العابدين السنوسي » التي كان يقدم بها هذه المؤلفات تبدو صورة فكره باهرة ، وقدرته على الاداء وعمق الفهم والتعبير .

فهو في عام 1927 يلقي نظرة على الادب والطباعة والتاريخ تكشف عن مدى تطور عقليته وقدرته على

تقريب اساليب النهضة الفكرية العصرية من التراث العربي الاسلامي على نحو لم يعرف كثيرا في المشرق العربي ، فالادب لم يعد نمارق لفظية يجمعها البليغ في سطرتين ، ثم يتسلسل في تاليف الكلم المناسب حتى اذا اتمه وجده حسنا ، فالزمان قد دار وابتعد عن هذه المرتبة ابتعادا شاسعا ونبا الذوق عن تلك المعالم فاصبح الشعر حديث النفس ، وانة القلب ، والاديب فهمي عظيم لايمكنه ان يبتعد عن حالته الشخصية في ادبه ومطرقاته وخالجات الضمير ، وهو وليد وسطه والبيئة التي يعيش فيها ، بل ان لتربية الانسان واستعداد النفس اثر هائل حتى في وصف المعاني وتخير الفاظها ...

ومهمة الناقد او المترجم عنده هي (ربط الاوليات في الشخص المترجم مع الاعتناء باهم المصادفات التي اعترضته ، فالاستهواءات التي استمالته ، هم يظنون ان ترجمة الشاعر او الناثر يكفي فيها الاتيان بتحقيقات دقيقة عن مولده ومقره واشباه ذلك متناسين ان كل تلك الاوساط التاريخية بعمومياتها وخصوصياتها قد تكتنف التوأمين فينشئان على طرفي نقيض اخلاقا وادبا ، اذن فتلك الاوليات انما هي مادة الترجمة لا روحها) .

وعنده ان طبع كتاب يستدعي شيئين هما المادة والذوق ، الماده المتعلقة بالورق والغلاف ، والذوق في اتقان الترتيب الطباعي والتنظيم ، وعنده ان الطباعة هي الكنف الحصين للاقطار) .

وفي مجال البحث التاريخي يبدو نضج فكره وفهمه حين يقول (ان عقلية الامم لم تعد تشرئب الى معرفة الاسباب النفسية للانقلابات التاريخية فحسب، بل اصبحت تهتم بمعرفة الطبقات الاممية في كل دور ومبلغ تمارسها ، كما اصبحت تستنقص كتب التاريخ التي لاترى فيها الوثائق الكافية والمرافق الكاملة للاستيعاب بالنظر البسيط والمراجعة الصغيرة ، فلابد للمؤرخ اليوم من الجداول الواضحة والخرائط لمختلف الاعصر ولا يكون كتابه مستوفى اذا كان خلوا من الرسوم والمناظر الصريحة ، على ان تجديد التاريخ وسبكه على العقلية العصرية ليس من الاعمال الهينة البسيطة ، بل لايمكن ان يتسبك قبل بضعة عشرات سنين يمضيها المجددون في الملاحظة والنقد والتعبير) يقول هذا عام 1927 ويعرض لتاريخ الجزائر وما يحتاج اليه من دراسة ليكون وسيلة ايقاظ امة فيقول: «ان تاريخ افريقية وبالاخص تاريخ الامة الجزائرية لايزال بكرا ، بل انه مسبوك على عكس ما يجب ان يطلبه ابن البلاد من امته فان كثيرين من علماء الامة المحتلة عملوا على تشويهه وتجسيم النواحي السود منه واظهاره كتلة مربعة من السواد الفاجع المحزن لتنفير الناشئة من ماضي ابائهم حتى يزوروا عنه امام المحتلين الذين قضوا مائة سنة او اكثر في ترويق تاريخهم وتنميقه ليس بالمعقولات فقط ومظاهر المدنية بل حتى بالخرافات والاساطير وقد برعوا في تناسي ما لايعجبهم من ماضي ابائهم) .

ولا ينسى زين العابدين السنوسي ان يعاتب الكتاب الذين كتبوا عن الادب العربي واغضوا عن المغرب وتونس واشار الى احمد ضيف وطه حسين ولكنه عاد فاعتذر عنهم فقال : (الظاهر ان هذا التغافل اثر من آثار التشتت السياسي الذي اوجدته الطوارىء الاستعمارية في القرن الاخير ، والا فليست نسبتنا للعربية ابعد من نسبة اندلس او مصر ، ولا ان علاقتنا بالشرق العربي اضعف من علاقة اي مقاطعة من مقاطعات بلاد العرب اليوم سواء من جهة التاريخ او الاجتماع ، وقد بلغ التشتت والتناكر بابناء العربية ان اصبحت الصحافة العربية لاتكاد تهتم بنا اهتمامها بمملكة ا لحبشة ولا تتطلع لاخبارنا تطلعها لحفلات السباق والزحلقة على ثلوج سويسرا والنرويج » . واشار الى ان هناك اغلاطا فاحشة في كتابات المصريين عن تونس حتى ان احدهم ذكر مدينة «بنزرت» في كتابه النخبة الازهرية «بزرطة» وهي اكبر مراسي المملكة التونسية وقال ان ذلك نتيجة حتمية لاعتمادهم على المؤلفات الاجنبية التي لايدونها الاجانب الا باقلام الغرباء التي لاتكاد تخلو من الغرض الاستعماري وروح الاستنقاص ، وعنده ان تعميم الاحساس بالتماس التاريخي والوحدة اللغوية هو اضمن طريق يسار به الى التكافل المنشود وريثما يتيح الزمان لهذا الشرق نفض الكابوس عنه واعلان رغبته الصريحة في الوحدة والسلام .

* * *

هذه صورة فكر « زين العابدين السنوسي » ، في الثلاثينات ، كاتب منفتح ، ومصنف ومؤرخ وناشر مؤمن بوطنه وفكر امته ، واذا كانت المصادر والمراجع لاتعطينا تطورات فكره هذه بعد ذلك ، فاننا لا نلبث ان نلتقي به في مجلات «الندوة» و«الثريا» و«الفكر» 1950 وما بعد في فصول مفرقة متعددة ، يبرز فيها وقد تعمقت آراءه وتنوعت دراساته وتكشفت خبرته في مجال الفكر والادب والتاريخ

وابرز من اولاهم اهتمامه « محمــود قبــادو » وقد اشار الى دراسة مطولة له عنه و « ابو القاسم الشابي » وقد تعرف به على اثر تخرجه عام 1927 يقول : رايت منه ما اعجبت به واكبرته واخترت لــه صفحات وفيرة فى الجزء الاول مــن كتــاب الادب التونسي فى القرن 14 وقد قلت فيه لسنتها انه انبغ من رايت من شبابنـــا .

وقد اغنى مجلة الثريا بمقالات متعددة عن اعلام الادب التونسي سواء الشخصيات القديمة فى القرنين الثالث والرابع الهجري (تميم الفاطمي ــ الندوة 1953) او ضحايا النبوغ الباكر : محمد العيد الجباري ، محمد العربي ، علي الدوعاجي ، سعيد ابو بكر ، او قدم بعض الاعلام المتوفين مــن الادبــاء : محمد بوشربيه ، عبد الرزاق كرباكة ، مصطفى اغه . وطالما اورد ذكرياته واحاديثه مع زملاء صباه : عثمان الكعاك وحسن حسني عبد الوهاب ومحمد الفاضل بن عاشــور .

وفي مجلة الفكر قدم مجموعة من المؤلفات عام 1961 لكتاب المغرب وتونس والجزائر ، وترجم شعرا فرنسيا لمالك حداد الى اللغة العربية ، يقول : (كــان من الطرافة والعمق بحيث لم اتمالك ان وجدتني اردد نصا عربيا موزونا وغير منزوع المعالم الفرنسية التــي تطبعــه) .

انــا لا تلمني يا اخي ان لم ترقك معانيــه
لم اقصد التطريب فيمــا جئته واعانيــه
لو كان حرا موطني ما شعشعت احزانيــه

لو حزت حــرا منطقي عربتهــا اوزانيــه

ومن طرائف آثاره الادبية انه استقصى (البترول) فى الادب التونسي كلــه وقال ان شعراءهم فى القــرن 11 و 12 الميلادي قد اصبحوا يلهجون بذكر « النط » فى كثير من شعرهم ، حتى ليخيــل الي ان « النفط » اصبح فى قصائد شعرائنا فى شعر المهدية ونهضتهــا الصنهاجية كناية القوة وكناية العزة وهــو فى الوقت نفسه كناية الصفاء والشفافة والحرارة ، وقد تناول هذه المعاني عمر الزكرمي وعبد الجبار بن حمدين .

وله دراسة للشعر العربي فى تونس حتى العصر الحديث نشرها فى مجلة الفكر 1961 تعرض فيهــا لمذهب الشادلي ، خزنة دار ، ومصطفى اغه ، وصالح السويسي القيرواني ، والطاهر الحداد (شاعر تحرير المراة والعمال التونسيين) وله اختيارات رائعة لوقائع قديمة فى التاريخ الاسلامي يعرضها باسلوبــه الحلــو الطريف، كما فعل بقصة جبلة بن الايهم آخر ملوك بنــي حسان فقد عرض موقفه مع عمر بن الخطاب ثم قــال معلقا : ويمكننا ان نرى بذلك مبلغ تفنن الادب العربي فى تصوير مجد الديمقراطية التي وضعتهــا النهضــة الاسلامية ، وله شعر رائع منه قصيدته التي كتبهــا عام 1940 ونشرها عام 1961 يناجي فيها زوجتــه ويذكرها بعد وفاتها . استهلها بقوله :

العطر في شعر الحبيبة خير من عصر القنانــي

ثم يقول بعد ابيــات :

اما وقــد مــر الزمان بهــا وافقدنــي رواهــا
لا العطر ينعشني ولا ارجــو عبيرا من سواهــا
الا عبيــر ابني الصغيــر بضمة يدي الحنونــة
فاشم راسه مغمضا جفني وتعروني السكينــة

وقد تحدث عن زوجته فى بعض ذكرياته فوصفها بانها كانت تتلطف من يزوره من الادباء وتعنى بهــم وترسل الى مجلسهم اللطائف وان كانت لا تشاركهــم الحديث ، وانها قد اولت ابا القاسم الشابي تلطفــا اكثر عند ما زاره فى بيته اذ خرجت اليه من حجابهــا تؤانسه وتطعمــه .

* * *

وبعــد فان الحديث عن مــؤرخ الادب العربــي التونسي (زين العابدين السنوسي) يطول ، واذا كان لنا ان نرجو فانما نرجو ان يطبع كتابه المخطوط الذي اشار اليه كثيرا فى كتاباته فى 25 مجلدا وكان قد نشر منه مجلدين منه باسم (الادب التونسي فى القرن الرابــع عشر) عام 1927 ولزين العابدين آثار اخرى منشورة فى بطون الصحف ومنها مجموعة من القصص قرانا منها قصــة فاطمة فى الندوة 1956 ولــه دراسات متعــددة ولــه التقويم الاجتماعي في عدد من المجلدات ، فضلا عــن آثاره المنشورة فى مجلتيه « العــرب و « العالــم » الادبــي » وهما لم يتح لنا الاطــلاع عليهما وبالجملــة فان آثــار زين العابدين السنوسي الادبيــة كمــؤرخ للادب التونسي ساير الحياة الادبية اكثر من خمسين عاما جديرة بالابراز والتجديد والاحياء واني اطمــع فى جهود رجلين نابغين فى تونس من اجــل هذا العمــل هما السيدان عثمان الكعاك وابو القاسم كرو .

القاهرة ــ احمد انور الجندي

نجيب محفوظ

أو الكاتب الذي يتحدث عن مجتمعه

بين جيلين من الشباب

للأستاذ : محمد زنيبر

- 6 -

فى الثلاثيـة دراسـة تحليليـة ونقدية للشبيبة المصريـة فيما بين الحربين . فهي تقدم لنا صـورة عن عزلة المثقف وانجذاره كما رأينا ذلك فى شخص كمال . وهي تحاول ان تشخص لنا الازمة ، وان شئت فقل المأساة ، التي يعيشها المثقف فى البلاد المتخلفة، نتيجة للتفاوت الفكري الذي يفصل بينه وبيـن مجتمعه . لكني اعتقد ان نجيب محفوظ لا يوقـف طموحه عند تحليل الواقع الاجتماعي ، بل انه يسعى من خلال الاحداث ليصل بنا الى فلسفة نفهم بهـا الحياة والوجود والمصير الانساني . فهو يتجـاوز العرضيـات والظرفيـات ليبلغنا فكرته باسلوب فني طبعا . وهنا كذلك نجد شخصية كمال فى تمزقهـا واستسلامها تجسم لنا صورا من هذه المشاكـل الفلسفيـة .

وكمال انما هو صورة مختارة ومفضلة ركز فيها المؤلف قسطا كبيرا من اهتمامه ، وجعل منها فى آن واحد بطلا وشاهدا وسط احداث الرواية . ولكـن الشبان الاخرين الذين وصفهم نجيب فى روايته يمثلون بصورة او باخرى الشباب المصري . وهنالك جيل كمال والجيل الذي يليه . وقد استطاع المؤلـف ان يبين لنا بدقة ومهارة فنية الفرق بين الجيلين ، وان يطلعنـا فى نفس الوقت على التطور الذي حـدث فى المجتمـع المصـري .

فالجيل الاول يمثل مصر فى المرحلة الاولـى من استقلالها لقد اعترف الانجليز باستقلال مصـر فى اعقاب الحرب العالمية الاولى . وتجسم الكفـاح الوطني فى الوفد وزعيمه سعد زغلول وغدا الشعب المصري يغذي عاطفته بهذه المكاسب الاولية ويعتقـد بكل براءة ان الاستقلال سيحل كل المشاكل المستعصية ويفتح كل الابواب المغلقة ، ويرى مصيره وسط هالة من الاحلام الرومانطيقية ويظن ان اساس التقدم هو فى الاخذ باساليب اوربا ووسائلها . ولم يكن واعيـا بالمشكلة الاجتماعية وتعقيداتها ، ولا بخطورة المسالة الديموغرافية التي تتشعب سنة اثر سنة . واذا مـا وقع الشعور بذلك مرة ، فان الجميع يكل معالجة الامر الـى الاقـدار .

وكان الشباب المثقف هو ايضا فى غمرة هـذا التفاؤل العام يعيش بافكار رومانطيقية . وبما انه فى اغلب الاحوال ينتمي الى هذه الطبقة المحظوظة التي ستضطلع بالمسؤولية فى البـلاد وستكون اول مـن يستفيد من الاستقلال ، فانه لا يـرى فى الحيـاة الا مشاكل شخصية ، فردية ، وذلك ما جعله يعيش على هامش المجتمع او بالاحرى فوق المجتمع . فهـؤلاء الشبان الذين يجتمع بهم كمال فى بيت حسين شداد الارستوقراطي ، هل يعنيهم من كل ما يحيط بهم الا مستقبلهم الشخصي ومصيرهم وسط هذه الجماهير المتطلعـة ؟

وتتمثل ارستوقراطية هؤلاء الشبان اكثر مـا تتمثل فى اسلوب الحياة والتفكير الذي اخذوه عـن اوربا ، وفى تأففهم من العادات والتقاليـد الشرقية .

فهم باسم العلم والرقي ، يديرون وجههم شطر اوربا ناقمين فى القالب على كل ماهو شرقي، بدون تمييز ولا تمحيص .

ولا ادل على ذلك من المشهد الذي نرى فيه كمال وحسين شداد واخته عايدة يخرجون لقضاء يوم نزهة فى الاهرام . وفى اثناء هذه الرحلة يسخر حسين شداد من مصر فيقول :

« وطن اجل مخلفاته قبور وجثث ! » وهو يشير صوب الاهرام » .. انظر الى الجهد الضائع .
قال كمال بحماس

— ذلك الخلود !

— اوه !! سوف تنشط كعادتك للدفاع . انت وطني لحد المرض . نحن نختلف فى هذا . ربما كان احب الي ان اكون فى فرنسا من ان اكون فى مصر ..

فقال كمال وهو يواري المه تحت ابتسامة رقيقة :

— ستجد هنالك الفرنسيين اعظم امم الارض وطنية !

— نعم الوطنية مرض عالمي ، لكني احب فرنسا نفسها ، واحب فى الفرنسيين مزايا لا تمت الى الوطنية بسبب » .

هذا جانب من المشهد يبين لنا الشعور المنحرف الذي يساور الشبان المثقفين ازاء بلادهم . وعندما اخذ حسين ينتقد اسرته لكونها تتعلق بالكبراء وتتودد اليهم قال كمال لحسين :

«اذا كان هذا رايك ، فكيف تحتقر سعد لانه كان ازهريا ؟ فضحك حسين ضحكته الصافية وهو يقول :

— اني اكره التودد الى الكبراء ، ولكن لا يعني هذا ان احترام العامة! اني احب الجمال وازدري القبح. ومن المؤسف ان الجمال قل ان يوجد فى العامة ..!

ولكن عايدة تدخلت فى الحديث قائلة بصوت معتدل .

— ماذا تعني بالتودد الى الكبراء ؟ انه سلوك يعاب على من ليس منهم ، ولكن اظننا من الكبراء ايضا ، وليس توددنا اليهم دون توددهم الينا » .

وعندما ذهبوا يتجولون « التقوا فى طريقهم بجماعات من الطلبة الاوروبيين نساء ورجالا ، فقال حسين مخاطبا عايدة ، ولعله اراد ان يسترضيها بطريق غير مباشر

— ان الاوروبيات يتفرسن فى فستانك باهتمام ، مبسوطة ؟

فافتر ثغرها عن ابتسامة عجب وارتياح ، وقالت بلهجة تنم عن ثقة مكينة بالنفس وهي ترفع راسها فى كبرياء لطيف :

— طبيعي .

فضحك حسين وابتسم كمال ثم قال الاول يخاطب الاخر :

— عايدة تعد مرجعا للذوق الباريسي فى حينا جميعا ..

ثم انظر بعد ذلك الى هذه الفقرة التي يصف فيها العادات الجديدة فى الاكل :

« بسط كمال جريدة كانت فى حقيبته وطرح عليها الطعام الذي جاء به ، دجاجتين وبطاطس وجبنا وموزا وبرتقالا ، ثم تابع يدي حسين وهو يستخرج من السلة طعام «الملائكة» ، فاذا به سندويتشات انيقة واكواب اربع ، وترموث .. ومع ان طعامه كان ادسم ، فانه بدأ فى ناظريه على الاقل ، عاطلا عن حلية الاناقة فساوره قلق وحياء . وتساءل حسين وهو يرمق الدجاجتين بنظرة ترحاب عما اذا كان صاحبه قد احضر ادوات مائدة ، فاخرج كمال من الحقيبة سكاكين وشوكا وشرع يقطع الدجاجتين شرائح . وهنا نزعت عايدة سداد الترموث وراحت تملا الاكواب الاربع ، فاذا بها تمتلىء بسائل اصفر كالذهب، فلم يملك كمال ان يسأل داهشا :

— ما هذا ؟

فضحكت عايدة ولم تجب ، اما حسين فقال ببساطة وهو يغمز اخته بعينه :

— بيرة !

— بيرة !

هتف كمال كالخائف ، فقال حسين وهو يشير الى السندوتشات :

— ولحم خنزير

— انت تعبث بي ! لا اصدق هذا ..

— بل صدق وكل ، يالك من جحود ، جئناك بانفس ما يؤكل والذ ما يشرب .

افصحت عينا كمال عن دهش وانزعاج ، وانعقد لسانه فلم يدر ماذا يقول . وكان اشد ما يزعجه ان هذا الطعام والشراب جهز فى البيت ، وبالتالي عن علم اهله ورضاهم » .

هذه لقطات مختلفة تبين الى اي حد ابتعد ابناء الارستوقراطية من مجتمعهم فى العقلية والعادات والتفكير . فى حين ان كمال الذي ينتمي للطبقة المتوسطة يظل مصريا صميما يتقيد بعادات قومه وبتقاليدهم ويندهش من هاته الانحرافات . ولولا حبه لعايدة لاعرب عن سخطه فى غير التواء .

وهنالك صور اخرى لهؤلاء الشبان الارستوقراطيين الذين يعاشرهم كمال . فهذا حسن سليم ، المتشبع بارستوقراطيته . ان برنامجه فى الحياة واضح . فهو يدرس الحقوق لينخرط فى السلك الدبلوماسي ويتزوج من عايدة ويعيش فى مستوى رفيع ، لا يهمه بعد هذا اي شيء .

وهذا حسين شداد ، الشاب المدلل الذي عاش مع ابويه طورا فى باريس وطورا فى مصر فى اتم نعمة ، يفضل ان يفر من كل مسؤولية فى الحياة ويقول لاصدقائه :

«لن اكون مضاربا فى البورصة كابي، لاني لا اطيق حياة العمل المتواصل جوهرها ، والمال غايتها . ولن اكون موظفا ، لان الوظيفة عبودية فى سبيل الرزق ، ورزقي موفور ، اريد ان احيا فى الدنيا سائحا ، اقرا واسمع وافكر ، وانتقل من جبل الى سهل ومن سهل الى جبل .»

اما اسماعيل لطيف فهو لا يؤمن بأي شيء ، لا بالمبادىء ، ولا بالتقاليد ولا بالقيم ويرى الحياة نهبا مشاعا للجميع يأخذ كل واحد منها حسب مهارته وشطارته ويقول لكمال :

« الواجب ان لا يكون للحياة معنى . . حسبي ان اعيش الحياة التي لا تحتاج الى تعريف . غير ان هذا الذي اتبعه بالفطرة لا تبلغه انت الا بالكفاح المرير ، استغفر الله ، بل انت لم تبلغه بعد . فلا زلت حتى بعد الحادث تؤمن بالحقيقة والخير والجمال وتريد ان تكرس لها حياتك . اليس هذا ما يدعو اليه الدين ؟ فكيف تكفر بالاصل وتؤمن بالفرع ؟ »

وهكذا كان هذا الجيل الاول للشبان جيلا مدللا يعيش لنفسه ولاحلامه ، لا يحمل اي وعي اجتماعي ، بل يقطع كل رابطة تربطه بالواقع . الا ان الثلاثية تقدم لنا فى النهاية مأساة هؤلاء الشبان الذين بنوا حياتهم منذ الاول على اسس واهية . فكلهم بعد ان عركوا الحياة وعركتهم وذاقوا حلوها ومرها لم يعودوا من ذلك وقد كبروا فى اعين الناس وفى اعين انفسهم ، وجنوا حنكة واسعة وعقلا راجحا وعزيمة راسخة . بل انهم يفتضحون مع مر الايام ، وتتبدى شخصيتهم فى ثوبها الحقيقي : فى قماءتها ، وهزالها وانهيارها المعنوي ، وتنكشف ارستوقراطيتهم عارية من كل معاني السمو والنبل . فهذا حسن سليم الديبلوماسي الذي كان يتقاطر عجبا باسرته ونسبه تضبطه زوجته فى موقف غير مشرف مع موظفة بسفارة اجنبية فتفترق منه وتطلقه . وهذا حسين شداذ يغيب فى فرنسا زمنا طويلا ويتزوج هناك ويكاد ينسى بلاده . ثم يعود الى مصر فيجد اسرته قد تعثر بها الحظ ونزلت الى هوة الافلاس ، فيفقد كل الاسباب التي كان يعتد بها ليعيش وفق هواه ومشيئته ، ويقبل ان يكون موظفا فى مراقبة الصحف، بعد ان كان يحلم بحياة الفراشة التي تتنقل بين الزهور والاعشاب . وهذا اسماعيل لطيف ، الذي كان يفيض حيوية ونشاطا ويملا الدنيا بنكاته ، وسخريته وانتقاداته ، نراه فى النهاية يستسلم لروتين الحياة الزوجية ، ويصبح رجلا عاديا لا يفكر الا فى المصالح العاجلة لاسرته .

جيل يعيش بدون مثال ولا هدف ولا فكرة تجعله يرتفع فوق وضعه الرخيص المبتذل ، وينغمر فى هذا المجتمع الذي نبع منه ليمثل خير ما فيه ويكون فى طليعته . ذلك هو الجيل الاول من الشباب المثقف كما صوره نجيب محفوظ .

لكن الجيل الثاني ما يتراءى للوجود حتى يكون الواقع الاجتماعي قد تطور ، والتجربة الجماعية قد اختمرت . فالشعارات التي كانت تردد فى بداية الاستقلال وتطرب القلوب وتثمل النفوس ، فى عهد سعد زغلول ، فقدت رنينها . وحل محل التفاؤل الرمانطيقي شعور عميق وقار بالمشاكل الحقيقية التي يعانيها المجتمع . والصراع من اجل الحياة ، ومن اجل الخبز اليومي يحتل اول مكان ، ويحتد يوما بعد يوم . والمثقفون انفسهم الذين اخذ عددهم يتكاثر مع مر السنين يفقدون شيئا فشيئا الشعور بأنهم اقلية محظوظة تواجه مستقبلا باسما مضمونا لقد عاشوا زمنا وسط الاماني والاحلام ، واليوم وقد تبخرت اوهامهم ، عادوا يلحظون بعينهم تزعزع

وضعيتهم ، وغدا يقينهم يتزايد بان ما يجري في المجتمع يهمهم اكثر من غيرهم .

وفي هذا المجتمع الذي توضحت فيه كل المشاكل وتمايزت القوات المتصارعة ، وانتشر الوعي وقوي الانتباه ، اصبحت كل حركة وكل اشارة تبدر من الفرد تاخذ معناها الخاص . ولم يعد في مستطاع الفرد ان ينزوي او ان يتهرب . لذلك ، فان نجيب محفوظ عندما تعرض لوصف هذا الوضع الجديد ازاح لنا الستار عن نماذج مختلفة لشباب هذا الجيل لم يكن لنا بها عهد من قبل .

فهناك نموذج الانتهازي الذي يمثله رضوان ابن ياسين ، الذي تمكن ، بفضل جماله واناقته وحسن هندامه من التعرف الى احدى الشخصيات الكبيرة في الوفد والحصول على رعايته وعطفه . الشيء الذي مهد له الطريق لارتقاء المناصب العالية والاستمتاع بالنفوذ .

وهنالك نموذج الشاب الملتزم . ويتمثل لنا في موقف الاخوين عبد المنعم واحمد شوكت . فالاول انخرط في جماعة الاخوان المسلمين ، وصار يدعو لافكارهم في البيت وفي الشارع وفي كل مكان ، بينما الثاني اعتنق الافكار الشيوعية ، واصبح ينادي بها ، ويصطدم من جرائها ، تارة مع اخيه ، وطورا مع اسرته . وقد تعرض الاثنان في النهاية للاعتقال والسجن من أجل مواقفهما .

هذا الجيل الجديد بنماذجه المختلفة واتجاهاته المتناقضة يشعرك اشعارا قويا بان العالم القديم في مصر دخل الى طور الانهيار وان عالما جديدا بدأ يحل محله . وهو عالم لم يعد فيه الانسان يتهم الاقدار ان اصابه بؤس او مسه ضر . بل صار ينحى باللائمة على الوضع الاجتماعي ويؤمن بان المجتمع لابد من اصلاحه حتى يمكن لكل عضو من اعضائه ان يعيش دون حرمان ولا الم ولا يأس . عالم يؤمن بالانسان وبمصير الانسان .

وعند ختام الرواية تتبلور امامك هاتان الصورتان : صورة العالم القديم الذي لا زال يهمهم ويغمغم ويحاول ان يثبت وجوده في جهد قوي وحركة مضمغة لانه يشعر بدنو ساعته الاخيرة ، وصورة العالم الجديد متمثلة في هذا النفر القليل من الشباب الذين يهمسون بكلمات جديدة ، فتتحول تلك الكلمات الى طاقات هائلة ، تجمعت فيها قوة الامال المكبوتة ، والعزائم المتطلعة ، والارادات الساهرة .

محمد زنيبر



أبيات المعاني

للأستاذ: سعيد اعراب

الشعر اشكال والوان ، فيه السهل القريب المنال ، والصعب البعيد المرتقى ، وفيه المالوف المانوس والغريب الوحشي ، الذي لا يفهمه الا الوحشي من الناس ـ كما يقول الجاحظ .

فالشعر الذي يقال على المشاهدة ، فيستخرج الشاعر المعنى القريب من شيء رءاه ، ويكون فى اللفظ ابهام لا يتعين معه اصل المعنى لا سبيل الى معرفته ، الا عن طريق قائله او من اخذه عنه ، والا ذهب العلم بحقيقته ، واضطربت الظنون فى معناه «1» ، وكذلك الشعر الذي يتعلق بعادات العرب فى جاهليتهم ، او يتصل بعلومهم ومعارفهم التي اخذوها عمن قبلهم من الامم ـ لابد لتفسيره من المعرفة بها وخصوصا منها ما يرتبط بقبيلة الشاعر ، ان كان من ذلك شيء ، وكل ذلك يسمى بابيات المعاني «2» ، لانها تحتاج الى ان يسال عن معانيها ، ولا تفهم من اول وهلة ، او لان ظاهرها يخالف باطنها ، لما فيها من تعمية والغاز عن المعنى المراد ، ولذا تسمى ايضا الغازا ، من الغز اليربوع: اذا عمى على طالبه ، ومن الالغاز ما قصدته العرب ، ومنها ما قصدته ائمة اللغة ، ومن الابيات ما لم تقصد العرب الالغاز بها ، وانما جاءت مصادفة ، واكثر ابيات المعاني من هذا القبيل « 3 » ولك ان تسميها ملاحن من اللحن وهو الفطنة قال الشاعر :

« ولقد لحنت لكم لكيما تفهموا »

والعربي ذكي بطبعه ، سيلقي فى لغته ومحاوراته، يروى ان رجلا من بني العنبر كان اسيرا فى بكر بن وائل ، فسألهم رسولا الى قومه فقالوا له لا ترسل الا بحضرتنا ، لانهم كانوا ازمعوا غزو قومه ، فخافوا ان ينذر عليهم ، فجيء بعبد اسود ، فقال له ـ بعد ان اختبر ذكاءه ـ : ابلغ قومي التحية ، وقل لهم ليكرموا فلانا ـ يعني اسيرا كان فى ايديهم من بكر ابن وائل ـ فان قومه لي مكرمون ، وقل لهم ان العرفج قد ادبى ، وقد شكت النساء ، وامرهم ان يعروا ناقتي الحمراء ، فقد اطالوا ركوبها، وان يركبوا جملي الاصهف باية ما اكلت معكم حيسا ، واسالوا الحارث عن خبري .

فلما ادى العبد الرسالة اليهم ، قالوا لقد جن الاعور ، والله ما نعرف له ناقة حمراء ، ولا جملا اصهب ثم سرحوا العبد ، ودعوا الحارث ، فقصوا عليه ، فقال قد انذركم ، واخذ هذا المعنى رجل من بني تميم كان اسيرا فكتب الى قومه :

حلوا عن الناقة الحمراء ارحلكم
والبازل الاصهب المعقول فاصطنعوا
ان الذئاب قد اخضرت براثنها
والناس كلهم بكر اذا شبعوا

يريد ان الناس كلهم اذا اخصبوا ـ عدو لكم كبكر بن وائل «4» .

ومن منا لا يستهويه مثل الاسلوب فى غرابته وبراعته ، وفى طلاوته وطرافته :

« وخير الحديث ما كان لحنا »

وهذا نمط من الادب ، اغفله مؤرخو الادب العربي فى العصر الحديث ، على كثرة ما كتبوا « 5 »

1» الرافعي ، تاريخ آداب العرب ج 1 ص 420
2» نفس المصدر
3» السيوطي المزهر ج 1 ص 578
4» انظر ابا علي القالي الامالي ج 1 ص 6
5» اذا استثنينا الرافعي الذي يعتبر بحق المؤرخ الوحيد الذي تتبع مراحل الادب العربي وتقصى رواياته ، واستوعب فنونه وكل اشكاله ، والوانه، وقد كتب فى موضوع ابيات المعاني ، وسائر الالغاز والاحاجي صفحات جديرة بالاهتمام .انظر كتابه : تاريخ آداب العرب ج 1 ص 19 ـ 420 وص 417 ـ 434 .

وقد تناوله ادباء العرب القدامى بالشرح والتحليل ، والجمع والاستيعاب ، فالف الاصمعي كتابه « ابيات المعاني » وتلميذه ابن حاتم كتاب « المعاني » والاخفش الاوسط « شرح ابيات المعاياة » والاشنانداني في كتاب «معاني الشعر » وابن دريد « الملاحن » والمفجع « الترجمان في الشعر ومعانيه » وابن قتيبة « المعاني الكبير » . ومنهم من اتجه الى ناحية خاصة، فالف في الابيات الملغزة الاعراب ، كالابيات المشكلة الاعراب – لابي علي الفارسي ، وتوجيه اعراب ابيات ملغزة الاعراب للرماني وسواها ، ولكننا مع الاسف لا نملك من هذه المؤلفات الا اسماءها ، فاكثرها قد ضاع، والموجود منها لا يزال مبعثرا في مختلف مكاتب العالم لا يحظى باي اهتمام .

ويجب ان نشير الى ان ادباء المغرب قد اسهموا بقسط وافر في هذا الميدان ، وكانت لهم عناية خاصة بهذا اللون من الادب ، وقلما يخلو ديوان لشاعر مغربي او اندلسي من الغاز واحاجي ، ومن المكثرين في هذا الباب ابو الربيع سليمان الموحدي ، وقد افرد له في ديوان شعره بابا اتى فيه باشياء بديعة ومثله ابو الحسن بن الجياد استاذ لسان الدين بن الخطيب، ولعل هذا الباب من الشعر هو الذي يعنيه ابن ابي الاصبغ في كتابه « تحرير التحبير » عندما عد المناحي التي يقول فيها الشعراء – بباب السؤال والجواب ، وبلغ من ولعهم بها انها كانت ترد على دواوين الانشاء من الاقطار ، وكانوا يجرون فيها على طريقة العرب ، ويزيدون على ذلك الاشارة الى الملغز به بالتصحيف والقلب ، والحذف والتبديل وما اشبهها ، وجملوها بالتورية فزادوها ابداعا ، حتى صارت من زينة الشعر « 1 » كقول بعضهم في القلم :

وذي خضوع راكع ساجد
ودمعه من جفنه جاري
مواظب « الخمس » لاوقاته
منقطع في خدمة الباري

وهناك نوع من الالغاز عجيب ، وهو ان تلغز في اسم ، وتاتي في اللغز بما يطابق صورة احرفه في الرسم من الاشياء « 2 » .

ومن اطرف ما كتب في موضوع ابيات المعاني كتاب « ابيات المعاني » لابي الحسن مصباح الزرويلي ضمنه ازيد من اربعمائة بيت ، قال انه جردها من كتب الادب ، وقد توسع في شرحها والاستشهاد على مضامينها ، ومما يمتاز به انه لا يقتصر على الشرح اللغوي فحسب ، بل يذكر ما يتصل بكل بيت من حكايات وطرائف ، ويحاول ان يشارك القارىء معه في حل المشكل وادراك مغزى اللغز ، وربما عرض للروايات ، فاختار منها ما هو انسب بالمقام ، واوفق بالمراد ، ويبدو ان المؤلف اخترمته المنية قبل ان ينتهي منه ؛ ونجد بعض فصول هذا الكتاب ، ضمن كتابه « سنا المهتدى الى مفاخر اليحمدي » «3» اما اصل الكتاب فيعتبر مفقودا الى الان .

ولعل اوسع كتاب في الموضوع ، هو كتاب « المعاني الكبير » لابن قتيبة ، وقد طبع في حيدر اباد بالهند سنة 1949 في جزئين ، بتحقيق عبد الرحمن بن يحيى اليماني ، والكتاب تنقصه بعض اجزاء ، لكن مثل هذه الطبعات تسمع ولا ترى ، فهي اندر من نادر واعز وجودا من المخطوط الغريب ، ونشر كتاب « الملاحن » لابن دريد في القاهرة سنة 1347 ه وطبع اخيرا بسوريا كتاب « توجيه اعراب ابيات ملغزة الاعراب » بتحقيق سعيد الافغاني ، ويعمل الان مجمع العلمي العربي بدمشق على نشر كتاب « معاني الشعر» لابي سعيد الاشناداني نشرا علميا «4» .

وعلينا ان نتساءل : ما قيمة هذا الادب ؟ وما رأي النقاد فيه ؟

يجب اولا ان نفرق بين وضوح المعنى الذي اعتبره النقاد شرطا لجودة الاسلوب ، وبين ما قالوه من ان المعنى اذا وصل اليه المرء بعد الكد والتعب ، كان الذ واشهى ، فالوصول الى المعنى بعد الطلب والبحث ، لا يقتضي ان يكون الكلام معقدا ، وانما يعني انه طريف غير مبتذل ، والتعقيد يقتضي جهدا

«1» الرافعي تاريخ اداب العرب ج 3 ص 426 .
«2» ومن اروع ما جاء منه ما روي عن ابي الوليد الدقشي ، وابي مروان بن سراج القرطبي وكانا فريدي عصرهما ، انظر « المعمى والالغاز » ص120 .
«3» انظر الباب الخامس منه ، وهو مخطوط .
«4» وطبع من قبل بدمشق سنة 1922 ، وفي القاهرةسنة 1932 .

شاقا فى الوصول الى المعنى ، حتى اذا جاءه لم يجده شيئا «1» ، وفى هذا الصدد يقول عبد القاهر الجرجاني :

« من المركوز فى الطبع ان الشيء اذا نيل بعد الطلب له ، والاشتياق اليه ، كان نيله احلى ، وبالميزة اولى ، فكان موقعه من النفس اجل والطف ، وكانت به اضن واشغف ، قال فان قلت : يجب على هذا ان يكون التعقيد والتعمية ، وتعمد ما يكسب المعنى غموضا مشرفا له ، وزائدا فى فضله » وهذا خلاف ما عليه الناس ، فالجواب : اني لم ارد هذا الحد من التعب والفكر ، وانما اردت القدر الذي يحتاج اليه فى نحو قوله « فان المسك بعض دم الغزال » وقول النابغة :

« فانك كالليل الذي هو مدركي »

وعلق الدكتور احمد بدوي على قول عبد القاهر الجرجاني هذا بقوله :

« وعلى هذا نستطيع ان ندرك لماذا عد من الادب الرفيع الكلام المشتمل على المجاز والتشبيه والاستعارة ولم كانت الكناية والتورية ، مما يزيد الكلام جمالا ، ولم كانت الالغاز بابا من ابواب الشعر ، لان الكلام فى ذلك كله ليس معقدا ، بل واضحا مشرقا » «3» .

ومن البين ان عبارة الجرجاني فى تساؤله تكاد تكون صريحة فى ان الالغاز والمعميات تدخل فى باب التعقيد ، ولا تعتبر من جملة الادب الجيد .

وقد دفع قدامة بن جعفر فى كتابه « نقد الشعر » عن هذا بما لا يبقي معه اي التباس اذ يقول : « ومن هذا النوع « الارداف » يعني الكناية – ما يدخل فى الابيات التي يسمونها ابيات المعاني ، وذلك اذا ذكر الردف وحده ، وكان وجه اتباعه لما هو ردف له غير ظاهر ، او كانت بينه وبينه ارداف اخر كانها وسائط ، وكثرت حتى لا يظهر الشيء المطلوب بسرعة اذ غمض ولم يكن داخلا فى جملة ما ينسب الى جيد الشعر ، اذ كان من عيوب الشعر الانغلاق ، وتعذر العلم بمعناه» «4»

وفصل ابن الاثير القول فى الموضوع تفصيلا جيدا فذكر ان العرب استعملوه « اللغز » فى اشعارهم قليلا ، ثم جاء المحدثون فأكثروا ، وربما اتي منه بما يكون حسنا ، وعليه مسحة من البلاغة ، وذلك عندي بين بين فلا اعده من الاحاجي ، ولا اعده من فصيح الكلام ، فمما جاء منه قول بعضهم :

قد سقيت آبالهم بالنار والنار قد تشفي من الاوار

واي غموض نجده اكثر من الذي فى هذا البيت ، وقد جمع بين الشيء وضده فالنار تحرق ولا تسقي ، فضلا عن ان تشفي من الاوار ، ومع ذلك يقول فيه ابن الاثير انه من محاسن ما ياتي فى هذا الباب ، وقال فى الالغاز التي ترد على حكم المشاكل الفقهية ، كالتي اوردها الحريري وغيره : « وهذا النوع قد ياتي منه ضروب والوان ، فمنه الحسن، ومنه المتوسط ، ومنه ما دون ذلك » « 5 » .

واورد ابن رشيق فى «العمدة» طائفة من الالغاز والاحاجي ، وقال انها من مليح الشعر «6» وعبارة « مليح » قد تكون اقل درجات الجيد ، واذا رجعنا الى كتب البلاغة – وجدنا ان الالغاز والاحاجي وبعبارة ادق ابيات المعاني ، ترجع عند ارباب هذا الفن الى الكنايات الخفية والاشارات البعيدة ، وهي عندهم لا تخلو من تفنن فى الكلام ، واتساع فى القول واقتدار على توليد المعاني « 7 » قال الشاعر العربي يلغز فى الضرس :

وصاحب لا امل الدهر صحبته
يسعى لنفعي ويسعى سعي مجتهد
م' ان رأيت له شخصا فمذ وقعت
عيني عليه افترقنا فرقة الابد

ومن اروع ما قيل فى هذا الباب قول ابي الطيب المتنبي يصف السفن وهي تشق عباب الفرات :

1» احمد بدوي «اسس النقد الادبي عند العرب» ص 473 .
2» اسرار البلاغة ص 118
3» اسس النقد الادبي عند العرب ص 473 .
4» ص 157 – تحقيق كمال مصطفى ، وتصحف النص فى النسخة التي حققها عيسى بخائيل سبا ، بما قلب المعنى راسا على عقب انظر ص 115 .
5» انظر المثل السائر » ج 2 ص 223 – 235 .
6» ج 1 ص 309
7» انظر الامام يحيى ، الطراز ج 3 ص 63

ومشاة حادية بغير قوائم
عقم البطون حوالك الالوان
تأتي بما سبت الخيول كأنها
تحت الحسان مرابض الغزلان

ومثله قول الشاعر في الخلخال :

ومضروب بلا جرم ... مليح اللون معشوق
له قدر الهلال على ... مليح القد ممشوق
واكثر ما يرى ابدا ... على الامشاط والسوق

ويذكر ابن الاثير ان الالغاز قد تشتبه بالكناية تارة ، وبالتعريض اخرى ، وطورا بالمغالطات المعنوية ووقع في ذلك كثير من ارباب هذا الفن .

انشد ابو الفرج الاصبهاني بيتي الاقيشر الاسدي في جملة الالغاز ، وهما :

ولقد اروح بمشرق ذي ميعة
عسر المكرة ماؤه يتفصد
مرح يطير من المراح لعابه
ويكاد جلد اهابه يتقدد
وهذان البيتان من باب الكناية «1»

على ان صاحب كتاب « الاعجاز في الاحاجي والالغاز » عد طائفة من اسماء هذا الفن .. وذكر منها : المعاياة ، والعويص واللغز والرمز والمحاجاة وابيات المعاني والملاحن والمرموس والتأويل والكناية والتعريض والاشارة والتوجيه والمعمي والممثل ، وقال ان معناها واحد ، وانما اختلفت اسماؤه ، بحسب اختلاف وجوه اعتباره «2» .

ومما يلاحظ ان العجم قد برعوا في هذه الالقاب ، كما برعوا في فنون البلاغة والبيان ، وخصوصا منها ما اسموه بالمعمى ، فقد تباروا في التاليف فيه واستنبطوا قواعده ، وجعلوه في رتبة العلوم والفنون

واول من الف في ذلك شرف الدين علي اليزدي الفارسي «ت830هـ» واقتفى من بعده اثره ، ووسعوا دائرة هذا الفن ، وتعمقوا فيه ، وممن نبغ في ذلك ولم يبلغ احد شاوه ـ المولى مير حسين النيسابوري فاتى في هذا الفن بالسحر الحلال ، وفاق في تعمقه ، ودقة نظره سائر الاقران والامثال ، كتب فيه رسالة تكاد تبلغ حد الاعجاز ، فسار ملوك خراسان ، واعيانها يرسلون اولادهم اليه، ليقرأوا رسالته عليه«3»

ويقال ان قطب الدين المكي هو اول من ترجم المعمى عن الفارسية الى العربية في رسالة سماها « كنز الاسما في كشف المعمى » وتلاه تلميذه ابن البكاء البلخي فالف رسالة سماها « الطراز الاسنى على كنز الاسما » ثم توالت المؤلفات في ذلك تترى «4» .

ومهما يكن فان النتيجة التي يمكن ان نخرج بها من هذا العرض السريع ـ هي ان هناك نمطا من الادب لقي رواجا في الاسواق الادبية عبر عصور التاريخ والمكتبة العربية ثرة باصوله ومصادره ، ولكنه لم ينل ـ في العصر الحاضر ـ ما يستحقه من عناية الدارسين ، فهو في حاجة الى دراسة هادفة ، كفن له مميزته وخصائصه ، وكلون من الادب اثرت به اللغة العربية في سالف عهودها .

تطوان ـ سعيد اعراب

«1» المثل السائر ج 2 ص 226
«2» انظر البغدادي ، خزانة الادب ج 3 ص 416 .
«3» انظر الرافعي « تاريخ آداب العرب » ج 3 ص443
«4» الرافعي «تاريخ «آداب العرب» ج 3 ص 444.

تطوّر العقوبة

للأستاذ: محمد شمس الدين

يصعب على الباحث ان يحدد تاريخ العقوبة ، بزمن معلوم ذلك ان فكـرة العقوبة مرتبطة بفكـرة الجريمة ، ولعل من سوء حظ البشرية ان تكـون الجريمة الاولى على الارض مقتل هابيل بيد اخيـه قابيل لان قربانه لم يتقبل ، وتقبل قربان اخيه . .

على ان من المسلم بديهيا ان الجريمة والعقـاب مرتبطان ارتباطا وثيقا بالوسط الاجتماعـي فاذا زاد شأن هذا الوسط تمدنا وحضارة ، كان لمعنى العقوبة وغايتها ما يلائم ذلك التمدن وتلك الحضارة ، وعلـى هذا الاعتبار لا يفترض ان يكـون للمجتمع المتخلف الا نظمـه البدائيـة . .

وانطلاقا من هذا التحديد قسم العلماء الادوار الاجتماعية الاولى الى دورين رئيسيين همـا الـدور الابوي والدور القبلي ، اما الدور الابوي فهو تلـك الفترة الممعنة في القدم ، حيث كان الناس يعيشـون على شكل اسر قليلة ، اخذت تستقر بعـض الشيء وتتملك الارض ، والمساكن البسيطة وكانت الهيمنـة فيه لرب الاسرة الذي يتمتع بسلطة مطلقة تبـرز مظاهرها عندما يفصل بين الاخوة اذا ما استحكمـت بينهم خصومة او شجر نزاع ، فيعاقب المسيء على اساءته حسب ما يمليه عليه ضميره وتقتضيه مصلحة الاســرة .

واما الدور القبلي فهو الذي عقب الدور الاول عندما توسعت الاسرة واخذت تتشعب الى بطـون وقبائل ، وراحت كل قبيلة تكون تقاليدهـا وعاداتها ، وتنظر بعين الحذر واليقظة الى القبائل المجاورة لها ، بمعنى انه كان على شيخ القبيلة ان يتجه الى تاميـن السلامة الخارجية بالاضافة الى حل النزاعات الطارئة بين الاسر والافـراد داخل قبيلتـه .

في هذا الدور لم تكن فكرة العقوبة واضحة كل الوضوح لان الجريمة لا تزال بدون مفهوم يحددها ، فكان كل ما يشوش المجتمع ، امر محظور ومعاقـب عليه ، ومتى عرفنا ان الكتابة لم تكن معروفة مثـلا في هذا الدور ادركنـا انه لا يمكن ان تقع عقوبة علـى مزور ، ومن مميزات هذا الدور انه لم تطبق فيه عقوبة السجن او الغرامة ، لان القبيلة تريد عقابا فوريـا يشفي غليلها ولا يهمها في قليل او كثير ان تحجـز حرية المجرم او ان يغرم بالمـال .

وسنستعرض ثلاثة انواع من العقوبات التـي سادت في هذه المرحلة السوداء وفاقا لما اجملها العالـم الجزائي الدكتور عبد الوهاب حدمر في كتابه الحقوق الجزائيـة :

اولا الثار : كان الثار مظهرا اجتماعيا من مظاهر تضامن افراد القبيلة ، فاذا ما ارتكبت جريمة قتـل تكون قبيلة القتيل قد اصيبت بفقد عضو من اعضائها بالاضافة الى ما يخلفه هذا القتل من ضرر معنـوي واجتماعي يتعلق بسمعة القبيلة وكرامتها ويؤثر على قوتها وسلطانها ، فلذلك كانت تهب جاهدة للاقتصاص من القاتل ، وكان كل فرد من افرادها مسؤول عـن انزال القصاص بالمجرم المعتدي .

وقد عرفت الامم القديمة كلها هذا النوع مـن العقوبة الجماعية ، وكان العرب في طليعتهم ، وتاريخهم من هذه الناحية مليء بالاخبار والوقائـع المؤسفـة نسوق منه بعض الامثلة لتوضيح فكرة عقوبة الثـار واثرها في حياتهم وادبهم وواقعهـم .

كان العرب في الجاهلية يعتقدون ان ما من قتيل يقتل الا ويخرج من راسه طير يسمونه « هامـة »

فان لم يؤخذ بثاره نادت الهامة على قبره : « اسقوني فاني صدية » والهامة هذه في نظرهم لا تشرب الا من دم القاتل او ذويه وكثيرا ما تردد اسمها في الشعر الجاهلي ، قال ابو داوود الايادي :

سلطوا الموت والمنون عليهم
فلهم في صدى المقابر هام

وقال مفلس النقعسي :

وان اخاكم قد علمت مكانه
بسفح تسفي عليه الاعاصر
له هامة تدعو اذا الليل جنها
بني عامر هل للهلالي ثائر ؟

وقال ذو الاصبع العدواني :

يا عمرو ان لم تدع شتمي ومنقصتي
اضربك حتى تقول الهامة اسقوني

وكان من عادتهم انهم يحرمون على انفسهم النساء والدهن والغزل والخمار حتى يدركوا ثارهم كما انهم كانوا يعقرون الخيل ويكسرون الرماح وقد نهاهم مهلهل عن ذلك حين قتل كليب وقال لهم :

لقد ذهبتم شر مذهب ، اتعقرون خيولكم ، وتكسرون رماحكم حين احتجتم اليها ؛ وهو القائل :

كاني اذ نعى الناعي كليبا
تطاير بين جنبي الشرار
اقول لتغلب والعز فيها
اثيروها لذلكم انتصار
خذ العهد الاكيد علي عمري
بتركي كل ما حوت الديار
وهجري الغانيات وشرب كاسي
ولبسي جبة لا تستعار
ولست بخالع درعي وسيفي
الى ان يخلع الليل النهار
والا ان تبيد سراة بكر
فلا يبقى لها ابدا اثار

وكان من عادة النساء الا يبكين المقتول الا ان يدرك بثاره فاذا ادرك بثاره بكينه ، وكان اهل القتيل يبحثون عن القاتل ليعاقبوه ولكنهم ما كانوا ليكتفوا بدمه اذا لم يكن كفؤا فاذا كان القتيل من قبيلة رفيعة والقاتل من قبيلة وضيعة طلب اهل المقتول دم حر عن دم عبد ، ودم رجل عن دم امراة ودم حرين عن دم حر واحد وطلبوا في الجراح عضوين او اكثر بعضو .

ويحدثنا الرواة ان بعض افراد من قبيلة «غني» قتلوا شاسا بن زهير بن جذيمة فثار اليهم ابوه في جمع غفير من احلافه فارسلوا اليه يقولون : سل في شاس فقال اريد احدى ثلاث لا يغنيني غيرها : تحيون لي شاسا او تملاون ردائي من نجوم السماء او تدفعون غنيا باسرها الي ، فاقتلها ثم لا ارى اني اخذت عنه عوضا .

وهكذا كانت النتيجة الحتمية للثار ان اتسع نطاقه وتسبب في حروب طاحنة بين القبائل مما دعا العقلاء الى التفكير في اسلوب عقابي يخفف من تزايده ، فكان على مر الايام ان ابتدع النوع الثاني من المعاقبة وهو القصاص ، فما هو القصاص ؟

ثانيا القصاص : هو قانون العين بالعين ، ومعناه ان يرضى اهل القاتل بتسليم هذا الاخير الى اهل المقتول ليزهقوا روحه حقنا للدماء ، انه تدبير يبدو قاسيا للوهلة الاولى ولكنه اذا قيس بعقوبة الثار الجماعية التي كانت تطيح بكيان اكثر من قبيلة في بعض الاحيان يتبين انه خطوة تطورية عظيمة نحو حصر العقوبة بشخص الجاني واعتبار الجريمة موضوعية ، لا يجاوز اطارها اهل القاتل واهل المقتول، وقد سادت هذه العقوبة في بدء نشاة الدولة الرومانية وعرفها تشريع حمورابي ، ونصت عليها التوراة في سفر الخروج حيث نقرا :

فمن ضرب انسانا فمات ، يقتل قتلا ، ولكن الذي لم يتعمد بل اوقع الله في يده فانا اجعل لك مكانا يهرب اليه ، واذا بغى انسان على صاحبه ليقتله بغدر فمن عند مذبحي تاخذه للموت .. واذا حصلت اذية تعطي نفسا بنفس وعينا بعين وسنا بسن ويدا بيد وكيا بكي وجرحا بجرح ورضا برض .

وقد عرفته الجاهلية كذلك في ايامها الاخيرة ، ومن اقوال العرب السائرة في هذا المجال : القتل انفى للقتل .

وهكذا استمرت عقوبة القصاص تهيىء لعقوبة جديدة ، تبدو اكثر رقيا واخف وطئا ، فكان ان ابتدعت عقوبة « الدية » وهي ثمن الدم من نقد او عين .. » وان نظام الدية هذا بدعة رائعة من بدع الذكاء البشري ومظهر نبيل من مظاهر الليونة والرحمة اللتين تسللتا الى التقاليد القديمة وذلك بتاثير تطور العواطف القاسية الذي بغض القتال الى النفوس، ودفع من يثق بهم المتخاصمان الى التدخل قبل استفحال الشر ، اذ ان الدولة حتى في المجال التي وجدت فيها كانت عاجزة عن فرض اوامرها ولم تكن

مهمة هؤلاء الساعين في الصلـــح هينـة لانهم كانـوا يصطدمون بمطالب اهل المقتول غير المعقولة ويتـردد القاتل واهله في دفع التعويض ، ولذلك كانوا مضطرين الى استخدام دهائهم في اقناع الطرفين والاستشهاد بما تم في الماضي وبظروف مماثلة للوصول الى نتيجـة مرضية ، ومعنى هذا ان قضية الديات كانت اشبه ما تكون بعقد تجـاري ..»

وقد كان للدية تعرفة تدنـــو وترتفـع بحسب اهمية المقتول ومكانته وقد اصطلحت قبيلة قريـــش على اعتبار الدية العادية توازي مائة بعير من الابل، ودية الامراء الفا ، ومن غريب تقاليدهم ما كانوا يسمونـه سهم الاعتذار ، وقد كانوا يلجأون الـى هذا لاسلوب حيـن تثبت ادانة مجرم ويريد الطرفان ضمنا انقاذه لمكانته المحترمة عندهما فيضربون سهما في كبد السماء فاذا رجع ملطخا بالدم فلا يرتضون الا قتله ، وان رجع السهم كما ضربوه ، مسحوا لحاهم اشارة الى انهم قد تصالحوا على الدية والى هذا يشيـر الشاعر :

عقوا بسهم ثـم قالـوا صالحـــوا
يا ليتني في القوم اذ مسحوا اللحى

وفي الوقت الذي كانت تطبق فيه عقوبة الديـة على انقاض نظام عقوبتي الثار والقصاص كان الفكـر البشري يواصل تقدمه وبدات فكرة الدولة بمعناها الاجتماعي تبرز الى حيز الوجود ومن هنـا كان علـى البشريـة ان تطور نظام عقوباتها تمشيا مع تقدميتها، وهذا ما سياتي الكلام عليه في موضوع لاحق ان شاء اللـه .

لبنان ـ محمد شمس الدين

مستشار محكمة الاستئناف بطرابلس

مـن اقوالهم في الحضـارة الغربيـة

✻ قرر كينيدي في تصريحـه الخطيـر سنة 1962 ان مستقبـل امريكا في خطر ، لان شبابها مائـع منحل غارق في الشهوات ، لايقدر المسؤولية الملقاة على عاتقه ، وانـه من بين كل سبعة شبان يتقدمـون للتجنيد يوجد ستة غير صالحيـن! لان الشهـوات التـي غرقوا فيهـا افسـدت لياقتهـم الطبيـة . والنفسية ! ! .

✻ وصرح خروشوف سنـة 1962 ـ كما صرح كنيـدي ـ بأن مستقبـل روسيا في خطـر ! وان شبـاب روسيـا لايؤتمـن على مستقبلها ، لانه مائع منحل غـارق في الشهوات ! .

✻ ويتحدث الدكتور الكسيس كاريل في كتابه « الانسان المجهول » عن عيوب الحضارة الغربية ونقائصها فيقول : « يبـدو ان الحضـارة العصرية عاجزة عن انجاب قـوم موهوبين من ناحية الخيال والذكاء والشجاعة . ففي كل بلد يوجـد تناقص في المستوى العقلي والادبي لاولئك المسؤوليـن عـن الشـؤون العامـة » ص 37 .

الملكة الفنّية

للأستاذ عبد العلي الوزاني

ما احسب اننا قادرون على ان نعرف الملكة الفنيـة تعريفا دقيقا محيطا بكل خصائصها ومميزاتها جامعا لكل جهاتها ونواحيها لانها من قوى العقل والنفس والوجدان التي تستعصي على كل تعريف دقيق ، كسائر قوانا المعنوية ، التي مهما بذلنا من جهد في وصفها ، لا نستطيع ان نبلغ منها ما نبلغه من المحسوسات من حيث الايضاح والبيان .

ولامر ما شاءت الطبيعة ان تحيط ملكاتنا الروحية والعقلية بكثير من الغموض والابهام ، وان تجعلها تياهة على الباحث ، ما ان يخيل اليه انها في قبضته ، حتى تتراءى له بعيدة بعيدة ، في ضبابيتها المحيرة للعقول .

اتكون نفوسنا التي هي بين جنبينا والصق بنا من كل شيء ، تمتنع علينا اذ نحاول ان نهتك الحجب عن اسرارها ، ونستشف في مظاهرها ابعادها العميقة ؟ على حين ان الظواهر المحسوسة الخارجية نستطيع ان نحيط بها علما ، فندرس قوانينها ونردها الى مصادرها الحقيقية

ايكون السر في ذلك ان نفوسنا اقوى واوسع من لغتنا لان هذه مجموعة من الرموز التي لا تفي بالتعبير عن ذات انفسنا مهما بذلنا من جهد ؟ ام يكون السر في ذلك ان يبقى الناس مختلفين في المسائل المعنوية ، ليكون هذا الاختلاف نعمة اي نعمة على الادب والفن؟

مهما يكن من امر ، فستظل ملكاتنا الروحية موضوع اليوم والغد ، وكل وقت وحين ، يتعاقب الباحثون عليها دائما ، لتستفيد من تجاربهم وتنوع ثقافاتهم ، فتظهر جوانبها جانبا بعد ءاخر ، دون ان ينفد الحديث عنها ، لكونها قوى لا منتهية ، ولها من الحرية في التنوع والتكيف ، ما يجعلها تمتنع على كل قانون عام ، او قاعدة ضابطة فاهل الفن من ادباء وشعراء ، منهم من يمشي على ارض البشر ، ومن لا يحسن السير الا فوق السحب . من يرينا الحياة جنة وارفة الظلال ، ومن يحيلها جحيما للتعذيب والتنكيل .

من يغرينا بمتع الحياة لننهبها قبل فوات الاوان، ومن يصدنا عنها ويعجب منا متى رغبنا في ازدياد . من يدعونا الى الركون الى الراحة النفسية ، لقطف ما تدلى الينا من ثمار شجرة الحياة ، وترك ما ابتعد ؟ ومن يدعونا الى منازلة الدهر ، ومصاولة الايام ؟ فالدنيا لا تؤخذ الا غلابا ، على حد تعبير الشاعر العظيم . منهم من يجعلنا في صلح مع من نعايشهم من الناس ، نمد لهم في حبل الوصال ، ونتنادى معهم الى كلمة سواء ؛ ومنهم من يريدنا ان نكون حربا عليهم ، لا نضع فيهم ثقتنا ، ولا نبوح لهم باسرارنا ، وانما نجعل بيننا وبينهم حجابا كثيفا من الصد والاعراض . منهم من يدعونا الى الخير والفضيلة ، ومن يحمل في عيوننا الشر ، وقد يستنبت من الشر زهورا فواحة بالعطر .

وبعيد جدا ان نستطيع الاحاطة بكل اصناف الشعراء والادباء ، مهما حاولنا جاهدين ، لان لكل اديب شخصيته الخاصة التي لا تطابق بينها وبين شخصية اي اديب ءاخر . وما كان الادباء ليتنوعوا هذا التنوع الخصب العجيب ، لولا تنوع ملكاتهم الفنية واختلاف طبائعها واتجاهاتها ، متاثرة في ذلك بمزاج الاديب ونفسيته وتجاربه في الحياة ، وحظه من الذكاء ، ومقدار ما اوتيه من لطف الاحساس ، ورهافة الذوق ، وقوة العاطفة ، وفعالية الفكر .

وذلك ما يجعل تحليل الملكة الفنية يكتسي اهميـــة خاصة ، وتكتنفه مزالق وعرة ، لانها شيء غامـــض من جهة ، ومتعدد الطبائع والاشكال من جهة اخرى .

وانها لجوهر رفيع لطيف ، يمس مســا رفيقا ، ولا يهجم عليه هجوما عنيفا ، يؤخذ بالاحتيال الفنـي اللبق الذكي ، ولا يؤخذ بالمنطق الصارم والتسلـــط الذهنـي . لذلك فانت قد تقرأ احيانا بعـــض الدراسات النفسية ، لبعض الملكات الروحية ، فتجـد الباحث العالم قد قعد القواعد وقنـن القوانين ، ولكنك تبحث في قواعده وقوانينه عن الملكة الروحية ، فلا تظفر بها ، لانها لا تخضع لقسوة العلم ، وجهامـــة المنطق ، ومن ثم تجد القاعدة والقانـون في يـــدك جسما جامدا متحجرا يعوزه الروح ، وتنقصه بواعث الحياة .

وعندي ان الملكات الروحية ــ ومنها الملكـــة الفنية ــ ينبغي ان نفهمها بقدر مـا نستشعرهـــا ، ونعيها بقدر ما نهتز لها ، تكون لها فكرة في عقولنـا ، وعاطفة في نفوسنـــا ، وهذا لايتأتى الا اذا انتهجنا في دراستها منهجا ادبيـا ، لا علميا محضا . افمـــــا جاءنا انها اذ ترتسم في الخاطر ، وتنطبع في الخيـــال وتتوهج في النفس ، وتتمثل للذهـن ، بنكهتهـــا واشراقها وحرارتها تكـون اقرب الى الاستيعـــاب الصحيح ، مما لو حنطت في « تعريف جامع مانع » ؟ افما جاءنا انها من القوى المعنوية التي ينبغـــي ان تعاش عند تفهمها والنفاذ الى اسرارها البعيدة ؟ وان تعاش معناه ان تتحول الى تجربة تعانيهـا بكـل مـــا يصاحبها من الوان المشاعر وضروب الاحاسيــــس ، وبكل ما تثيره فينا من ردود الافعال المختلفة ، وبكـل ما تستدعيه الى خيالنا ، وتسوقه الى خاطرنا مـــن احلام واطياف وذكريـات .

ولكــن هل ازعم للقاريء انـي قـادر على ان اقرب اليه الملكة الفنية كما افهمها ، واهتـــز لهـا ، واتعاطف معهــا ، واتذوقها ، وكما تنطبع في نفسي ، وتتمثل لخاطري ، وتعيش في دمي واعصابي ؟ هـــل ازعم لنفـسي ان ذلك في امكاني ؟ وكيف والقلم قاصر، واللغـة عاجزة ، والمطلوب عزيز المنـال ، عظيـــم الكبرياء ، دون الوصول اليه حجب من وراء حجب ؟ ومع ذلك فلنحاول ان نلمس الملكة الفنية لمسات خفيفة وان ندغدغها في مثواها الرفيع ، علها تبوح لنا بشـيء من اسرارها ، وتتفضل فتهبنـا قبسا من سناهـــا الفاتـن .

بيد ان لي طلبا الى القاريء ارجو الا يخيبني فيه، وهو ان يملا بخياله فجواتي ، ويساعدني بخواطره على اتمام الصورة التي احاول رسمهـــا للملكة الفنية . ليكن معي هذه المرة لا مجرد قـاريء ، ولكن منتجـا ايضا . ورب قاريء ما يلبث ان يجد نفسه يشـــارك الكتاب انتاجهم ، اذ يملا ما بين سطورهم بتأملاتـــه الخالقة ، وخواطره المبتكرة . وهيهات ان يستطيـع كاتب ان يصل الى ما يريد ، دون مساعدة القـاريء الذي يتجاوب معه ، ويكون شريكه في الابتكـــــار والابداع . بل اني لاذهب الى ابعد من ذلك ، فازعم ان العمل الادبي لا يستقيم له وجود ، الا اذا انتقل الى الطرف المتلقي الذي يتجاوب معه على نحو ما ، ويأخذ منه ويعطيه ، ويتأثر به ويؤثر فيه . ومن هنا جـاءت فكرة كون الكاتب لا يكتب لنفسه ، وانما يكتب للاخرين، لكون الاستجابة التي يلقاها العمل الادبي عندهم هي التي تحدد ابعاده وتدعم كيانه .

بعد هذا ما هي الملكـة الفنية ؟

لا نريد في تعرفنا على الملكة الفنية ان نفلســف الموضوع ، فنذهب بعيدا مع الباحثيـن الذين تصـدوا له فأوغلوا به في صميم الدراسات العلمية والفلسفية. وانما نريد ان نكون بسطاء نتناول الفكرة تناولا فيـه عفوية ، بحيث لا يجهدنا ولا يجعل العرق يتصبب من جبيننا . وخير ما ينبغي ان نفعله ، هو ان نحـاول التماس الملكة الفنية في آثارها على التجارب الفنيـة علنا نستشفها من خلالها .

لنفرض ان شاعرا ساقته الصدف الى شاطيء البحر ، في امسية اعتدل فيهـا الهواء ، وصفا الجو ، وراقت الطبيعة ، فرأى الشمس وهي تغيب من وراء الافق ، تاركة على صفحة البحر بقايا اشعتهـــا الذهبية التي تنسحب رويدا رويدا ، لتخلف الكـون من ورائها مسحورا مفتونا وقد اشتمـــل عليـــه الذهول . وضمــن هذا الكون المسحـور كان شاعرنا يجلس على صخرة من صخـور الشاطيء ، متواريا عن الدنيـــا في غلالة رقيقة من احلامه المسحورة الجميلة. وعندما استيقظ منها كانت التجربة الشعوريـة قـد اكتملت ، لتوحي اليه قصيدة يصف فيها المنظر الرائع الجميل . فالمنظر لا يبقى عنده مجرد مشهد طبيعـي تصحبه بعض المظاهر الخاصة ، بل يتحول الى عالـم يعج بالاسرار ، على قدر نصيب الشاعر من قـــوة الوجدان الفني ، ومبلغ استعداده الروحي ، لالتقاط شتى الخواطر ، والرؤى والاحلام الشعرية . فالمشهد رمز الخلود ، او رمز للفناء . فيه مثار حب قديم ، وذكريات

طواها الزمان في ليله الطويل ، فيه صدى امل حبيب لم يتحقق ، او رجع لحن جميل عاد من رحلة بعيدة . او فيه معنى وحدة الوجود وتماطف الكائنات ، تتجلى فيه اسمى معاني الحياة في نظافتها ، اذ لم تلوثها ادران المادة التي يتقاتل الناس من اجلها ، فكأنها اغتسلت في ماء البحر ، او استحمت في اشعة الشمس ، الى غير ذلك من الخواطر التي يمكن ان تشتمل على الشاعر في موقفه من ذلك المشهد الطبيعي الاخاذ . وقد يبلغ الشاعر من الامتلاء بروعة المشهد الى حد ان يندمج فيه ويرى كل ما فيه رمزا لعواطفه الخاصة .

ثم تاتي صياغة كل هذه التجارب النفسية في قالب من اللفظ .

وهنا ننظر فنرى عجبا . الالفاظ التي يعرفها الخاص والعام ، وتظل الالسن تلوكها كل وقت وحين ، تصنع المعجزات ، وتكون الايات البينات . فكأن في الالفاظ ارواحا محبوسة ، ما ان يفتح الشاعر مغاليقها حتى تندفع متوثبة بدوافع الحياة الكامنة فيها ، لتجعل من العمل الادبي كائنا حيا متطورا ، يجدد شباب النفس التي تتلقاه ، ويخرجها من حالتها العادية ليزج بها في عالم من المشاعر المتدفقة ، يحلق بها في عنان السماء ، او يغوص بها في مجاهل الاعماق ، وتلك الارواح فيها من خصائص الروح الانساني الشيء الكثير . فهي اما صاخبة او هادئة مبتسمة او عابسة . فيهارقة النسيم العليل ، اوجهامة الحجر الصلد . مندفعة تكهرب الاسلوب ، او متأنية تجعله يسير الهوينى ملتفتا الى عطفيه تيها ودلالا تمس جراح النفوس الحزينة فتكون لها بلسما ، او تلسعها وتخزها وخز الابر . تكون ورودا في جنينة او شررا يتطاير من فوهة بركان . تبدد شيئا من ظلمات الحياة ، او تزيدها ظلاما فوق ظلام ، تدعو الى السلام الروحي ، او تستحث على استعمال العنف والقسوة . تكون نغما حلوا ينبعث عن كمان ، او تكون زئير اسود اقتحم عليها عرينها المنيع المهيب. وما اللفظ الا ما يستطيع الاديب ان يضع فيه من ذات نفسه من كل ما المعنا اليه من الوان الحس والوجدان ، والا ما يكتسبه اللفظ من مجموع الخصائص الذوقية والشعورية والفكرية للاديب ، هذه التي تتركب منها قوة نفسية وفكرية ، يقدر بها على ان يركب الاشياء ويحللها على نحو خاص ، ليصل الى ابتكار صور فنية رائعة جديدة . تستمد روعتها وجدتها من رصيد الاديب ، ومن تجاربه الخاصة في الحياة ، ومن محصوله الادبي الواسع ، وطول معاشرته لكبار الادباء وفحول الشعراء ، وما تلك القوة التي تملك فعل السحر الا ما نصطلح على تسميته بالملكة الفنية .

هل نكون بهذا قد وصلنا الى حقيقة الملكة الفنية ؟ ما اظن اننا حققنا من ذلك شيئا كثيرا . ولعلها قد ازدادت غموضا ، فعلينا اذن ان نحاول محاولة اخرى ، علنا نخطو خطوة تقربنا منها ، ولا اقول تصلنا بها ، فنحن لحد الان لم نجرؤ على ان نقتحم عليها حرمها المصون ، المطوق بحراس من الضباب والاحلام والاوهام والالغاز التي ليس الى حلها من سبيل . ومن حسن حظنا ان هذه الغانية اللعوب ، القريبة البعيدة ، السهلة الممتنعة ، يفضحها عطرها الفواح ، وشذاها العبق الذي يملا احلام الشعراء واخيلة الفنانين . وهو دليلنا اليها ، نتخذ منه وسيطا بيننا وبينها ، فكأن عمر بن ابي ربيعة كان في مثل موقفنا عندما قال :

فدل عليها القلب ريا

شاعر اراد ان يكتب مسرحية شعرية تستمد موضوعها من التاريخ ، وتعلمون معنى العمل الذي كلف نفسه القيام به . انه البعث !! نبش قبور الموتى ، ونفخ روح الحياة في الاجسام الهامدة التي صارت حطاما ، ليكسوها اللحم، ويجري في عروقها الدم ، ومن ثم تتحرك وتتحدث ، وتسعد وتشقى ، وتنبسط وتنقبض ، وتضحك وتبكي ، وتصح وتمرض ، ويكون فيها ضعفها البشري ، وقوتها الانسانية ، في مواجهة الاحداث التي تحيط بها ، وتبادل التاثير بينها وبين الظروف التي تكتنفها . لايحركها الشاعر كما تحرك الدمى في مسرح الاطفال ، وانما تكون اناسي حقيقيين بكل مقوماتهم وما يكون بين شخوصهم من فروق في الطبع والمزاج والعقلية ، ما بين امراة ورجل كبير وصغير ، وسيد وخادم ، وصديق وعدو الخ. والفترة التاريخية التي تجري فيها الاحداث ، يجب اعادتها الى الحاضر المشهود بكل ملابساتها ودوافعها وظروفها حتى لنتوهم اننا نعيش في الحاضر نفسه متى شاهدنا المسرحية او قراناها .

هذا العمل الضخم الذي على الشاعر ان يقوم به ، والذي لم نبسط من جوانبه الا القليل ، ليس ليس بالمطلب السهل . انه طاقة هائلة من الخلق والابداع . يتطلب قوة ادبية عند الشاعر . قوة

مركزة تكونت عناصرها من قريحة وقادة ، وذكاء حاد، وطبع قوي ، وخيال قادر على التحليق في كل جو ، وذوق رقيق الحساسية ، لطيف ، لاتفوته همسة ، ولا تجوز عليه اشارة ، يقرأ الخواطر في الصدور ، ويترجم خفقات القلوب ، ويعي ما ضمت عليه الشفاه ويستشعر نجوى الضمائر ، واحاديث النفوس .

تلك القوة الادبية التي تصنع هذه المعجزة ، وتخلق هذا العمل الذي كله سحر وفتنة ، هي الملكة الفنية . الان وقد لمست الملكة الفنية في بعض آثارها يمكنك ان تعرفها بالتعريف الذي تشاء . فقل انها قوة الخلق والابتكار ، او قل انها مجموع المزايا الفكرية والشعورية والذوقية والخيالية للاديب مركزة في جوهرة لامعة ، او قل انها فيض النفس الملهمة ، او القبس الالهي في الروح الانساني . فكل هذه التعاريف سواء ، ما دمنا قد امسكنا بذيل الغانية اللعوب ، فاذا يدنا مضمخة بعطرها الساحر الفواح .

لكن لنكن على حذر ، فما اكثر الوان العطور التي تراوح بينها هذه الغانية المتفننة . فتارة ينبعث عنها عطر قرنفلة ، وتارة عطر سوسنة ، واخرى عطر بنفسجة ، وطورا عطر ياسمينة ، قد يكون عطرها قويا يزكم الانوف ، وقد يكون بالغ اللطف ، لا تستنشقه الا ادق الانوف حساسية .

وهي — اي الملكة الفنية — تظهر في ادق اجزاء العمل الادبي كما تظهر في معالمه الكبيرة . في اللمسة الخفيفة من قلم الاديب ، في الومضة الذهنية التي تمر بسرعة البرق ، في الخاطر السريع ، في الطيف الشعري العابر ، في جرس كلمة ، في ظل لفظة في نبضة حرف . لمسة قلم تجعلها تهب احسن ما عندها ، ولمسة قلم تصدها عن البذل والعطاء . سريعة التقلب لا تستقر على حال ، تستجيب لمطالب الاديب حتى لتجعل من حروفه وكلماته ورودا وازهارا في حديقة غناء ، وتنقبض حتى ليحسب صاحبها انها ولت عنه الى غير رجعة ، توحي باروع الخواطر والتاملات ، حين لا يكون الاديب متهيئا للانتاج ، وقد يستدعيها وقت تهيئه فلا تلتفت اليه بوجهها الجميل . تارة لا يحلو لها ان تظهر الا في ابهى حللها وكامل زينتها وطورا تكتفي ببسيط الثوب وقليل الزينة ، وهي دائما رائعة في حالة تبرجها ، وحالة بساطتها على السواء ، بل قد تكون ارق شفافية وكشفا عن جوهرها الرفيع ، عندما تستغني عن كل مظهر مزخرف ، او شارة انيقة ، او حلية قوية السطوع . لها حالات تكون فيها ملكة وقورا يحفها جلال الملك ، وتحيطها ابهة السلطان ، فتفرض علينا نوعا من الخشوع امام جلالها المالك للنفوس . ولها حالات تكون فيها طفلة تقفزها هنا وتثب هناك ، وتملأ الجو من حولها خفة ومرحا . وقد تجدها مومنة خاشعة ، او ماجنة متبرجة . مترفعة في برجها العاجي تبعث منه بافضالها ، او متواضعة تندس بين الناس ، وتمشي في الشارع ، وتغشى الاسواق ، قد يجاهد للحصول عليها العالم « النحرير » والمثقف « الكبير » فلا يظفر منها بشيء ، فكلما اشتد في طلبها ، اشتدت في الاعراض عنه ، بينما قد تهب نفسها لابسط مخلوقات الله علما وثقافة . ديمقراطية في مولدها ، تولد في اوسع الاوساط غنى وجاها وترفا، كما تولد في اشدها فقرا وضيقا واملاقا . لا فرق عندها بين القصر والكوخ ، والشبع والجوع ، وسماء العز وحضيض الذل . يكون مولدها السعيد محاطا بهالة من الضجيج والصخب ، وتتدرج في طريق محفوفة بالورد ، تتخذ مثواها شرنقة من ناعم الحرير . ويكون مولدها الشقي في غير جلبة ولا ضوضاء ، طريقها صخور واشواك ، ودموع وزفرات، ومثواها التراب والطين . لكن النعمة قد تورثها الكسل ، وتشيع فيها الميوعة ، وتحول بينها وبين كثير من تجارب الحياة ، على حين ان الفقر وطول الحرمان قد يكسبها صلابة ، ويهبها كثيرا من حرارة النضال .

ويا ما اروع ما يستطيع الاديب ان يصنعه اذ يمتلك الملكة الفنية ، او تمتلكه على اصح تعبير !! فاللغة تبوح له باسرارها ، والبيان يسلس له قياده ، والكائنات تتعانق في خياله ويتجاوب بعضها مع بعض، والخواطر الفنية تنثال عليه من كل زاوية من زوايا الحياة والكون . من لفتة جيد ، من رشاقة قد ، من نبرة صوت ، من خصلة شعر ، من رمشة عين ، من هدوء الليل ، من صخب النهار ، من عظمة البحر ، من سعة الصحراء ، من قصف الرعود ، من دبيب النمل ، من عقيدة المومن ، من شك الملحد ، من كل ما تتسع له الحياة المادية والروحية من مغازي واسرار . لكانها تملك قوة السحر ، بها تفجر الماء الزلال من الحجر الصلد ، وتصنع من التراب تبرا ، ومن العي فصاحة ، ومن الجمود حركة . الشيء البسيط تمسه ينقلب الى ينبوع نور ، والموضوع البالي العتيق ترنو اليه يتحول الى هيكل للابداع والفن . لها قدرة عجيبة على ان تجمل القبيح وتقبح الجميل ، وتلبس الباطل ثوب الحق ، والحق ثوب الباطل ، وتذل

السعادة ، وتدفق برد السعادة في جحيم التعساء .
تسلك سبلها الى النسور في عنان السماء ، ودوافع الحياة في اعماق الارض ، وموطن الخرافة في ضمير الشعب ، وهواجس النفس في قرارة الانسان . تسمع صلوات الملائكة ، كما تسمع وسواس الشياطين ومن كل ذلك تصوغ عملها العجيب الخالد على مر الايام ، ما دامت هناك نفس تشعر ، وقلب يخفق .

وتختلف السبل التي تسلكها الملكة الفنية . فهناك سبيل الشعر ، وسبيل القصة ، وسبيل المسرحية ، وسبيل المقالة ، وما الى ذلك ، واجهات مختلفة لشيء واحد ، واسماء عديدة لمسمى فرد . ولذلك كانت هذه الفنون الادبية بينها روابط نسب واواصر قرابة . ففي الشعر شيء من القصة ، وفي القصة قبس من الشعر ، وفي المسرحية شيء غير قليل من الشعر والقصة معا . اليس الشعر هو قصة العواطف الانسانية انتظمت في وزن وقافية ؟ اليست القصة مجالا فسيحا لتحرك نفس العواطف ، كما تعمل في نفوس الافراد ، وتوجه سلوكهم ؟ اليس في المسرحية كثير من خصائص الشعر ، عندما تعتمد الخطوط العريضة ، وتترك الجزئيات والتفاصيل وعندما تشحن الالفاظ بطاقة هائلة من المشاعر ، لكون المجال امامها محدودا ، تماما كما يفعل الشعر ؟ ولو ذهبنا نقارن بين الاجناس الادبية على هذا المنوال لاتينا بامثلة كثيرة ، كلها دليل على ان الملكة الفنية — وان تعددت سبلها — كل لا يتجزأ . بل لو شئنا نوسع من دائرة الموضوع ، لذهبنا وراء الفنون الجميلة الاخرى ، من موسيقى ورسم ونحت ، لنبحث في لفائفها ، فنجد ان لها صلة كبرى بتلك الفنون الادبية ، وانها تاخذ منها وتعطيها الشيء الكثير الامر الذي يدل على القرابة الفنية الموجودة بينها جميعا ، وعلى ان الملكة الفنية — في معناها الواسع الشامل — تلتقي فيها مجموع تلك الفنون .

الا بوركت من شجرة كثيرة الفروع ، دانية القطوف ، حلوة الثمرات . ولكن لتحتفظ بشبابها ورونقها يجب تعهدها بالسقيا ، والا اسرع اليها الذبول ، وجف فيها ماء الحياة ، وقد تصبح اثرا بعد عين . نعم قد يجاهد المتادب لتكوين الملكة الفنية ، فاذا ظفر بها اهملها وتركها تتغذى من نفسها ، فلا تلبث ان تذوي ، وتغتالها شتى عوامل الضعف ، حتى اذا تبقى منها شيء كان كرجع صدى بعيد ، او كنشوة الروح اثر افاقتها من حلم جميل ، او كدهشة الاحتفاء تاركا اياه في ذهوله الغريب .

وغذاء الملكة الفنية ليس منحصرا في ثقافة الكتب وحدها ، بل ان كل ما في الحياة يصلح لها غذاء ، لان لها من المرونة والطواعية ما يساعدها على ان تستمد من كل شيء مادة غذاء . وتملك من قوة الاستعداد ما تستطيع به ان تحول تلك المادة الى ريش في جناحها ، وسعة في ابعادها ، ونكهة في طعمها ، تماما كما يفعل الجسم الانساني ، اذ يستفيد من طعامه الصالح حدة في البصر ، ودما في العروق ، وقوة في الفكر ، ومتانة في العضلات ، ونشاطا في العمل ، وتطورا في مدارج الحياة .

ولكن الكثيرين يهيمون بالملكة الفنية ، فتشغلهم عن كل شيء الا عن نفسها ، فيدعون المزيد من الدراسة والتثقيف ، لكونها ملات عليهم دنياهم ، وملكت عليهم نفوسهم ، بهمساتها الشاعرية ، ووساوسها الاخاذة ، ومغازلاتها المعسولة . فكم من مثقف ما ان احس براعمها تتفتح في نفسه ، ودبيبها يسري في دمه ، واشراقها يتالق في عينيه ، حتى هجر كل درس ، ملقيا بنفسه في احضانها ، متخذا منها ليلاه التي لايبغي بها بديلا ، يصوغ منها النشيد تلو النشيد ، ويشتق منها القصيد تلو القصيد . يسبل عينيه على طيفها الجميل اذا نام ، ويفتحهما على محياها الرائع اذا اصبح . لكن لاتلبث ان تاخذ في الضعف ، اذ يعوزها عمق الفكر ، وسند الراي ، واسس العلم ، فتتداعى للانحلال ، وقد تتحول الى ما يشبه حشرجة الروح في جسم اوشك ان يودع الحياة .

وما اعرف قوة تضارعها في القدرة على الخلود والبقاء ، في نصوصها الادبية الممتازة ، فهي تتوسد قوافي الشعراء ، وتتهادى في حلل بيانهم . وتلبس فقرات الكتاب ، وتطل من كلماتهم ، محتفظة بقوتها وفعاليتها على مر الايام . قد يسحب عليها الزمان ذيل النسيان الى حين ، ولكن ما ان يعيدها الزمان الى ذاكرته ، حتى تنتفض من جديد ، وتكون مصدر خير وبركة للباحثين والدارسين ، تصنع اقدارهم ، وتفتح مواهبهم وتفجر طاقاتهم . كم بيننا وبين الملك الضليل من احقاب واحقاب ، ومع ذلك فنحن عندما ندرس شعره ، ونتذوق ما فيه من سخاء الطبع وقوة الشاعرية ، لا نملك الا ان نتجاوب معه ، ونهتز لما هزه من صروف واحداث .. وكم بيننا وبين اسير اغمات من مراحل واطوار ، ومع ذلك فنحن عندما

تنشد شعره في منفاه البائس ، ونراه يبكي مصيره الاليم ، نكاد نشعر اننا المعتمد بن عباد ، ونهم بلمس القيود الثقيلة التي نخالها تقيد منا الايدي والاقدام ..

واروع ما في الخلود الا يخطر ببال الاديب ان يكون من الخالدين ، كما ان اروع ما في العظمة الا يخطر ببال العظيم ان يكون من العظماء .

ولكن ما هي الوسائل الكفيلة بتكوين الملكة الفنية ؟ اتكون لها كل هذه القيمة ، ولا نحاول ان نعرف وسائل تكوينها ؟

ان قضية التكوين هذه ، هي قضية كل اديب ناشىء ، هي محور نضاله الادبي الشاق الطويل فمنذ الخطوات الاولى في حياته الادبية ، تكون كعبته التي يتوجه نحوها هي الملكة الفنية ، لانها مفتاح كل الابواب المغلقة في عالم الادب والفن ، وكلمة السر الموصلة الى جوهر الابداع . بدونها يعيش الاديب متكئا على غيره وعالة عليه ، فاذا هو امتلكها اصبح مستقلا في نظرته ولهجته واسلوبه ونكهته ، وبذلك يكون طرازا خاصا بين الادباء ، لا يذوب في زحمتهم ولا يرتبط بعجلتهم . ومن ثم نرى كل الادباء الناشئين هائمين في البحث عنها ، بين السطور ، ومن تحت الكلمات ، وخلال موسيقى الاساليب الرفيعة ، في ومضة ذهنية يوحي بها بيت من الشعر ، في هزة عاطفية تثيرها كلمة شيقة ، في خاطر عبقري صادر عن بضعة حروف مشرقة .

وتشاء طبيعة هذه الملكة الا ان تكون بعيدة عن المتناول ، لا تسلم نفسها في جولة سريعة ، وانما تتطلب للحصول عليها ثمنا غاليا ، هي عروس فاتنة تكون من نصيب من يبذل فيها اغلى المهور . وما مهرها الا ان يهبها الاديب نفسه ، بدمه واعصابه وكل مقوماته الروحية .

وهي غيور بطبعها ، لاتقبل معها ضرة تشاركها في شخص الاديب ، وهذا هو السر في كوننا نرى غالبا ان من يجمع بين المطالب الادبية ، والمشاغل الدنيوية الزائدة على ضروراته اليومية يفشل في مصيره الادبي .

مرة اخرى ما هي وسائل تكوين الملكة الفنية ؟

ذلك سيكون موضوع المقال المقبل بحول الله .

فاس : الاستاذ عبد العلي الوزاني

مدح بعض الشعراء احد الامراء ، فلم يعجبه شعره ، فأمر باجازته ببردعة حمار ، فوضعها الشاعر على كتفه وخرج ، فلقيه رجل في الطريق فقال له ما هذا ... ؟

فأجاب الشاعر : مدحت مولانا الامير بأفخر اشعاري فخلع علي من أفخر ملابسه ...

كيف نفهم الكوارث الطبيعية؟

للأستاذ: أحمد باكو

كلما اصيب هذا العالم فى صقع من اصقاعه بنكبة او كارثة طبيعية ، كفيضان عرم يزحف على اليابس فيجرف ويغرق ، او زلزال يدك على الناس بيوتهم ويدفنهم فى مأويهم ، او خسفا يهوى بظاهر من الارض الى باطنها .. كلما حدث شيء من هذا وغير هذا مما يشبهه من كوارث ، تداول الناس ، بعد ان يفيقوا من الهول والدهش ، حول السبب والعلة ، ويحرك قوم من الجيل القديم ، فيهم الاب والجد والاخ الكبير احيانا ، رؤوسهم حركة المتعظ بمصيبة ، ويشيرون توا الى حال الناس وما هي عليه من ضلال وانحراف ، وفسق بالاعتقاد والجوارح ويلصقونها وحدها سببا للمصيبة ، وتشمخ انوف وتسخر شفاه اناس فيهم الابناء والاحفاد ويهبون فى حماسة لتصحيح الجواب واعطاء التعليل الصحيح ، ويستذكرون لاجل ذلك معلوماتهم المدرسية فى الجغرافية والكيمياء والفيزياء ، ويذكرون قوانينها وما تقعده فى نظام الكون وظواهر الطبيعة ويعينونها وحدها سببا لما يصيب العالم من فيضانات وزلازل غيرها وترد الرؤوس الشيباء بانحناءة المتأسف المستنكر الذي لايجد غير الاسف والتألم الصامت تعبيرا عن استنكاره ، وتعيد التاكيد بان العلة منحصرة فى زيغ الناس وانحرافهم ، وان هذا هو وحده الذي يفيض الانهار ويزلزل الارض ، ويطول الحوار ويشتد الجدال ويعنف احيانا الى ان يبلغ حدا يتبادل فيه الطرفان الجمود والجهل والتنطع والكنود ، ويفترق المتخاصمان وكل منهما مقتنع برايه متمسك به مضمرا فى نفسه السخرية من جهل الاخر او طيشه ، فاي من هذين الفريقين المتخاصمين احق واصدق يا ترى ؟ وما هو اساس هذا الجدال العنيف ؟؟

لابد للفصل فى هذا الخلاف من تمهيد يوطيء لنا القضية ، ويمنهج الموضوع ويؤصل الخلاف ..

فمنذ ما بدأ الانسان يعقل الاشياء ونشأت فى نفسه الرغبة فى ان يعرف حقيقتها ، كان يسأل عنها سؤالا عاما يبتغي من ورائه علم حقيقتها العامة وكان مدخله الى ذلك هو السؤال كيف تحدث الاشياء وكيف تسير ؟ ؟ وهو سؤال وصل به الى معرفة كثير من ظاهر هذه الاشياء ، وكثير من الاسباب المادية المباشرة للظواهر الطبيعية التي كانت تدهشه وتؤذيه ، فتمكن بهذه المعرفة من ضبطها والتحكم فيها ، ثم اتقاء اذاها ، فقد روع فيضان النيل سكان مصر القدماء وادهشهم امره ، فأخذوا يبحثون عن اسبابه ، حتى اهتدوا فى ذلك الى وسائل تقيهم اذاه ، وتحميهم من شروره ، وكان من ذلك ان اهتدوا الى مبادىء من علم الهندسة ، فانتفعوا به ، وانتفع به الخلق من بعدهم «1» وقد الجأت ظلمات البر والبحر الانسان الى ان ينظر فى السماء مصدر الظلام ظاهريا، يسأل كيف يحدث ، فاهتدى من ذلك الى دراسة النجوم وتوصل الى علم الفلك الذي انجاه من التيه فى مكانه ، فعرف كيف يهتدي فى قفار البر والبحر ، ومن التيه فى زمانه ، فوقته وجعله اياما وشهورا وسنوات وعندما انزل سقراط الفلسفة من السماء الى الارض نظر الانسان في ذاته : جسمه ونفسه وسلوكه ، فعلم من ذلك الطب وعلم النفس وعلم الاخلاق والمنطق الخ.. وقد حقق الانسان من وراء كل هذه المدركات منافع مادية ، انجته من كثير من الاخطار التي كان يتأذى منها .

1) مبادىء الفلسفة . ترجمة د. احمد امين ص 4 الطبعة السادسة .

ولكن عقل الانسان سرعان ما ارتقى درجة اخرى ، ادرك منها انه لم يعرف الا ظاهرا من حقائق الكون ، وان وراء ما يعرفه على كبير خطره وعظيم نفعه ، حقائق اجل واعظم ، وهنا احس الانسان بان السؤال كيف تحدث الاشياء ؟ ، لا يكفي ولاينبيء بكل شيء ، احس ان العلم وسؤاله « كيف » ، لم يخمد دهشته التي فتقت فيه التفكير في الكون ، وان الاقتصار عليهما يحجب عنه مدركات خطيرة لا تتم المعرفة الا بها ، وبذلك اخذ يتشوف الى ما هو ابعد واعلى من الظاهر ، الى الحقائق العفوية والعلل الغائية البعيدة ، فترك السؤال ، كيف ، واخذ يستفهم عن الاشياء بسؤال اكبر ، سؤال الفلسفة « لماذا » ، وبهذا اخذ الانسان يتعلق بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، اذ اصبح همه في البحث عن الحكمة في نوع ما يقع ، وهي غاية فوق معرفة كيف يقع ما يقع ، وهنا اشرف الانسان على مجاهيل ومهامه ظل فيها حائرا ، حتى اشفق عليه الخالق ، فارسل الرسل وبعث الانبياء ، فاهتدى من اهتدى وابى من ابى .

وباتساع تفكير الانسان واستهدافه البحث عن الاسباب القريبة والعلل المعنوية البعيدة معا ، اكتمل للفلسفة معناها واتسع بعد ان كان ناقصا ضيقا ينحصر في الكشف عن الاسباب الظاهرة بدون زيادة ، وبه اصبحت الفلسفة علما وفلسفة معا ، بعد ان كانت علما ليس الا ، فاضحت تستفهم عن الاشياء بالسؤالين كيف ولماذا معا ، بعد ان كانت تستفهم بالسؤال الاول فقط ، وقد دخلت الفلسفة بذلك في طور استقرت عليه زمنا ولكنها لم تثبت عليه ، اذ سرعان ما رجعت الكلمة الى الضيق مرة اخرى ، ولكن بسبب آخر وهو انحصار معناها في البحث عن العلل المعنوية الغائية البعيدة ، دون الاسباب الظاهرة القريبة ، ومن هنا نستطيع ان نرقب تقلب مسمى الفلسفة ، وكيف بدا في الاول ضيقا منحصرا في البحث عن ظاهر الاشياء واسبابها القريبة ، ثم اتسع برشد العقل الانساني فتعدى الظاهر الى الباطن فاصبح يبحث عن الاسباب المادية القريبة ، والعلل الازلية الغائية البعيدة معا ، ثم ضاق اخيرا فتخصص منهجيا في البحث عن العلل المعنوية والسر والحكمة، والى ذلك ترجع الحقيقة التاريخية ، التي نصادفها عند دراسة تاريخ الفلسفة ، وهي ان الفلسفة ام العلوم والشجرة التي فرعت كل انواع المعارف الانسانية .

وفي هذا الطور الذي تستقر عليه الفلسفة اليوم، افترق العلم عن الفلسفة ، بعد ان كانت الكلمة تجمعهما معا ، فاختصت هي بالبحث عن السر والحكمة والغاية من الشيء ، واستقل هو بالبحث عن الاسباب المادية المباشرة التي تصف كيف يحدث ما يحدث من غير ان تنبيء عن الحكمة في حدوثه .

وفي هذا الطور ايضا اصبح الشيء الواحد موضوعا للفلسفة وموضاعا للعلم معا ، يتولى كل منهما بحثه باعتبار ، ويخبر كل منهما عنه بخبر خاص يغاير خبر الاخر ولكن لا يعارضه ، فظاهرة طبيعية ، كالزلزال مثلا ، ياخذها العلم ويبحثها طبقا لمنهجه ويستفهم عنها كيف تحدث ، فيتوصل من ذلك الى الكشف عن اسبابها المباشرة الكامنة في الارض نفسها ، وفي طبيعتها ، ثم يخبر بهذه الاسباب ويصف كيف حدث ما حدث ، ويقعد لذلك قانونا يكون قاعدة يعرف بها كيف تحدث الزلازل عموما ، وكيف يمكن اتقاؤها ، وكذلك الحال بالنسبة لمرض يفشو في الناس ويفتك بهم ، ان العلم يتولى الاستفهام عنه وياخذ في تتبع اسبابه التي ترجع الى طبيعة الانسان وطبيعة الاقليم والبيئة ، ويصف كيف يحدث ليجد له العلاج او يحاول ، وتجيء الفلسفة بعد هذا ، لتستفهم عن الظاهرة بسؤالها الكبير الخطير لماذا ، لماذا يحدث ما حدث ؟ وبه تكسر الظاهرة وتتعداه لتنفذ الى العمق لتستكنه الحكمة والسر والغاية البعيدة المفسرة

ونعود بعد هذا التمهيد الى الرايين المتصارعين لتاصيلهما وردهما الى مصدر واساس ، وعلى ضوء ما سلف نعرف ان الذين يعللون الكوارث باسبابها المعنوية، ويرجعونها الى حال الناس وما اصابها من تغير وانحراف ، انما يحاولون ان يخبروا بالعلة المعنوية الغائية البعيدة ، انهم يحاولون ان يعرفوا لماذا تحدث هذه الاشياء ، وان الذين يعللونها باسباب مادية ترجع الى طبيعة الارض ، انما ينبئون بالاسباب المباشرة القريبة ، ويصفون كيف يحدث ما حدث وعلى ذلك فان الموازنة بين الرايين انما تعني الموازنة بين العلم والفلسفة نفسيهما .

لقد سبق ان الفلسفة ، او التفكير بتعبير ادق ، كان يقتصر في اول امره على السطح والظاهر دون النفوذ الى العمق ، فعندما عقل الانسان مظاهر الكون، بدا يستفهم عنها كيف تحدث ، وتوصل من ذلك الى معرفة الاسباب القريبة ، واهتدى منه الى نفع عظيم اتقى به اخطار الطبيعة ونظم حياته في هذا

الكون ، وسلف كذلك ان نفس الانسان لم تقنع بهذا ، وانها سرعان ما ادركت انها لم تعرف الا ظاهرا من الظاهر وان وراء ما هو معروف مجاهيل يجب ان تعرف ، وعند ذاك بدأ الانسان يستفهم عن الكون بالسؤال لماذا .

ان هذا يفيد بالقطع ان العلم لا ينبيء بكل شيء وان الفلسفة هي التي تنفذ الى العمق وتستكنه السر وتروي الظمأ الى المعرفة ، وهذا شيء سيبدو بدهيا اذا عرفنا وظيفة العلم .

ان وظيفة العلم هي اعطاء الوصف الظاهر للاشياء والكشف عن اسبابها المحدثة لها مباشرة ، دون تعدي ذلك الى العلل المعنوية التي تخلى عنها للفلسفة «1» وقد تأكدت وظيفة العلم هذه منهجيا عندما تحددت مهمته في صوغ القوانين العلمية ، بعد استقراء مجموعة من الظواهر الكونية بغية اخضاعها لقاعدة واحدة ، ان انتباه اسحاق نيوتن لسقوط التفاحة واستقراءه لتجاذب الاشياء ، واهتداءه من ذلك الى وضع قانون الجاذبية ، لا يعدو ان يكون وصفا ظاهريا لهذه الظاهرة الكونية الخطيرة وجوابا عن السؤال الذي فتقه في ذهنه سقوط التفاحة ، وهو كيف تسقط التفاحة ، وقد بحث فعلا وعرف كيف تسقط ، وعرف من ذلك ان الاشياء كلها تجذب وتنجذب ، ابتداء من التفاحة التي تفتنها قضمة من الانسان ، الى الارض التي تفني حركة بسيطة منها الآلاف الاناسي في لحظات ، ولكن كل ما قاله نيوتن على خطورته ، لم يستكنه العلة الغائية البعيدة ، ولم ينفذ الى السر والحكمة ، فبقيت نفسه ونفس العلماء من بعده تضج بالسؤال لماذا ؟ ولذلك فان العلم لم يستطع ان يستغني عن الفلسفة ولم يستطع ان يستقل ببحث الاشياء ، بل ظل دائما مفتقرا اليها ، وليس اصدق من هذا المجال من القول بان الفلسفة للعلم كالروح للجسد وان العلم وقواعده يظل وصفا لحركات آلية الى ان تفسره الفلسفة فيحيى وان العالم الذي لا يفقه فلسفة علمه عالم جاهل (2) يفوقه الالكترون شرفا وفائدة ، ولذلك كان لكل علم فلسفة وللعلوم عامة فلسفة ، وان العلم ليشعر باحتياجه الى الفلسفة فيستنجد بها في كثير من الاحيان لتمده بالتعليل المعنوي الذي يكمل اسبابه المادية ويمنطق قوانينه ، وهو يستنجد بها اليوم في ميدان الكوارث بالذات !!! ان الطب بدأ يستفهم عن السرطان بالسؤال لماذا ، انه وقف ، بعد ان عرف كل اسباب هذا المرض وتقلباته واطواره ليسأل لماذا يحدث ولماذا ابتليت به البيئات الاوربية بالذات ولماذا اضحى ظلا للحضارة الاوربية يحط حيث حطت ، وينتشر حيث انتشرت؟! وقد اراحت الفلسفة العلماء واخرجتهم من حيرتهم الى اجوبة تريح النفس ، ولو كانت نفس انسان مريض بهذا الداء الخبيث «3» .

ان السر الذي يكمن وراء السرطان قد يكون هو نفسه السر الذي اسقط التفاحة التي فتقت في عقل اسحاق نيوتن « قانون الجاذبية » وهو وجوب رحيلها لتترك المكان لتفاحة اخرى تعقبها بعد حين ، لقد سلمت التفاحة من قطف الايدي ، فطال بها العمر ، وطمعت في الخلود ، وهو محال فوجب ان يرتخي عرقها لتطغى عليه قوة الجذب فتسقطها ، هذا السر نفسه يكمن وراء السرطان الذي لا يحط رحاله الا في البيئات المتقدمة التي انعدم فيها الفقر والجهل والمرض او كاد ، فتعلم انسانها واغتنى وصح وتوقى المرض بالعلم وقهره بالطب الذي يحميه وهو نطفة مقذوفة الى الرحم ، ويرعاه وهو خلق سوي ، مقذوف من الرحم ، ويحدب عليه وبواسيه وهو في آخر عهده بالدنيا في الطريق الى العدم ، فاصبح الموت لا يجد فيه مقتلا يأخذه منه ، وزاد متوسط عمره زيادة بلغت خمسا وعشرين سنة في بعض البلدان (4) وطمع في الخلود وتكاسل عن افراغ حيزه لمن يأتي بعده من خلف ، فاختل التوازن ، وجاء السرطان ليعيد النظام ، ويحقق التوازن ، اذ الحياة لا تستمر الا بالموت .

هنا تفسير فلسفي مقبول لانه يستمد دليله من الواقع ويجوز ان تضاف اليه اسباب معنوية اخرى ، اذ لا مانع من ان تتزاحم الاسباب على المسبب الواحد فقد تكون ارادة الخالق قد اتجهت في ذلك الى تعجيز الانسان ، واطلاعه على انه ضعيف مهما تبلغ قوته ، وانه قادر على ان يبرز له الضعف من قوته ذاتها والشر من حيث يأمنه ، ولا مانع

---

1 — « العلم يصف ولا يفسر » د. محمد عبد الرحمن مرحبا . مجلة العلوم ـ السنة الثالثة العدد السابع .
2 — فلسفة العلوم د. وليد قمحاوي ـ مجلة العلوم ، السنة الثانية ـ العدد الرابع .
3 — لماذا وكيف حول السرطان . د. عبد السلام العجيلي . مجلة العلوم ، عدد ابريل 1957 .
4 — المصدر السابق

بعد هذا ان تكون ارادة الخالق ، قد اتجهت الى عقاب الانسان المتحضر ، انتصافا للروح التي ظلمت هناك واصابها حيف كبير .

اعتقد اننا نستطيع بعد هذا ان نهتدي الى القول الفصل في هذا الجدال ، ونلاحظ قبل ذلك ان العلم والفلسفة يتكاملان معا وان كان الملاحظ كما يظهر مما سلف ان افتقار العلم الى الفلسفة اكبر من افتقار الفلسفة الى العلم ، فكثيرا ما يستنجد العلم بالفلسفة وقلما يقع العكس .

ونلاحظ كذلك ان لكل من جوابي العلم والفلسفة مقاما يجدى فيه ويفيد ، ولذلك يكون خطأ الاخبار عن العلة المعنوية البعيدة في مقام يتطلب معرفة السبب القريب المباشر ، وكذلك العكس ، لكن الملاحظ ان الذي تتشوف اليه النفس في غالب الاحوال ، هو معرفة العلة المعنوية البعيدة ، اي راي الفلسفة ، لانه الذي يشفي ويريح ويطفىء الحيرة .

ونلاحظ اخيرا ان المقام الذي يستفهم فيه الناس عن أسباب الكوارث ، وينشا فيه هذا الجدال هو مقام الدهشة والذهول والحيرة ومن ثم فانه يتطلب جوابا فلسفيا يتجاوز السطح وينفذ الى العمق ليتبىء بالعلة المعنوية الازلية البعيدة .

على ضوء ما سلف نستطيع الاهتداء الى القول بان الذين يرددون الاسباب العلمية المباشرة ويعينونها وحدها سببا للكوارث والظواهر الطبيعية ، يخطئون خطأ مضاعفا ، يخطئون حين يجيبون جوابا غير مناسب للمقام ويخطئون ثانية حين يعينون ما يذكرونه وحده سببا ، وان الذين يفسرون الكوارث بأسباب معنوية ، يعطون الجواب المناسب للمقام ، ولكنهم يخطئون حين يرفضون الاسباب المادية المباشرة ، اي راي العلم الذي يتكامل به التفسير الفلسفي .

وعلى ضوء ما سبق ايضا ، نستطيع ان نتبين ان الراي المثالي في النزاع ، هو جواب متكامل ، يجمع بين راي العلم والفلسفة معا ، ثم يليه جواب يقتصر على راي الفلسفة وحدها ، اما الجواب الذي يقتصر على الاسباب العلمية المادية ، فلا قيمة له نهائيا في هذا المقام .

الدار البيضاء ـ احمد باكو

عندما يكون الاعتبار للمال لا للاخلاق ؟ !

⁂ حين يفسد الناس لايكون الاعتبار فيهم الا بالمال ، اذ تنزل قيمتهم الانسانية ويبقى المال وحده هو الصالح الذي لاتتغير قيمته فاذا صلحوا كان الاعتبار فيهم باخلاقهم ونفوسهم ، اذ تنحط قيمة المال في الاعتبار ، فلا يغلب على الاخلاق ولا يسخرها ، والى هذا اشار النبي صلى الله عليه وسلم في قوله لطالب الزواج : ((التمس ولو خاتما من حديد)) . يريد بذلك نفي المادية عن الزواج ، واحياء الروحية فيه ، واقراره في معانيه الاجتماعية الدقيقة .

⁂ وكأنما يقول : ان كفاية الرجل في أشياء ان يكن منها المال فهو أقلها وآخرها ، حتى ان الاخس الاقل فيه ليجزيء منه ، كخاتم الحديد ، اذ الرجل هو الرجولة بعظمتها وجلالها وقوتها وطباعها ، ولن يجزيء منه الاقل ولا الاخس مع المال ، وان ملء الارض ذهبا لايكمل للمرأة رجلا ناقصا ، وهل تتم الاسنان الذهبية اللامعة يحملها الرجل الهرم في فمه شيئا مما ذهب منه ؟ ..

((مصطفى صادق الرافعي))

الدراسات الأدبية والفكر العلمي

للأستاذ عبد اللطيف خالص

مما لا اشكال فيه ان الدراسات الادبية والمؤلفات المتعلقة بتاريخ الادب لاتخلو من عيوب ومثالب رغم ما فيها من حسنات ومناقب ، ففي الدراسات الادبية تحديد الاتجاه وعقال الفكر الانساني وتضييق الافاق وتشديد الخناق على الذين يريدون الرجوع الى الموارد الاصلية ، والمنابع الاولى للتراث الفكري الانساني . وما هذه المناهل الاصلية الصافية الا المؤلفات التي وضعها اصحابها والتي يجد فيها القراء لذة خاصة ومتعة شخصية لايمكن التمتع بها من خلال الدراسات النقدية مهما بلغت هذه الدراسات من الجودة والبراعة والاتقان ، ومن هنا تتجلى لنا فعالية الرجوع الى المؤلفات الاصلية التي نقف فيها متجردين من كل ضغط امام فكر مجرد ، وآراء ذاتية ، وافكار شخصية، تمكن نفسها منا لنحكم عليها بما نشاء ، ونقضي في شأنها بما نريد .

وقد انتبه عدد من النقاد والمربين الى هذه الناحية فخصصوا لها دراسات ممتعة ، ووقفوا فيها وقفات صادقة ، استخلصوا منها احكاما قويمة ، ونظريات سديدة .

وقد سبق لنا ان تعرضنا في مقالين سابقين الى نظريتي « رينان » مؤلف كتاب « مستقبل العلم » والناقد (لانسون) صاحب كتاب (تاريخ الادب الفرنسي) فقد كان رينان يدعو الى الاكتفاء بالدراسات الادبية والكتب المتعلقة بتاريخ الادب والاستغناء عن المؤلفات الاصلية بينما كان « لانسون » الذي وضع كتبا رفيعة في النقد يدعو الى الرجوع الى هذه المؤلفات التي يتكلم عنها ، ويريد ان يعتبر كلامه عنها حافزا للوقوف عليها

وقد التبس الامر في هذا الميدان ، على اخينا الاستاذ احمد زياد الذي كلف من طرف رئاسة تحرير مجلة « دعوة الحق » بنقد العدد الثاني من السنة الثامنة من عمر هذه المجلة الذي نرجو ، خالصين وصادقين ، ان يكون عمرا مديدا حافلا بجلائل الاعمال والخيرات لصالح العلم والمعرفة في هذه البلاد ولخدمة الثقافة والعلم في هذه الربوع ، فظن اني خلطت بين الدراسات الادبية والتاليف الادبي واستشهد على ذلك بالامثلة التي اوردتها في القسم الثاني من مقالي « حول الدراسات الادبية واهميتها » .

فقد ورد في ركن « العدد الماضي في الميزان » المنشور بالعدد الثالث من هذه السنة ما يلي :

« ... ويتراءى لي ان الصديق الكريم قد خلط في مقاله فيما بين الدراسات الادبية والتاليف الادبي ، ذلك لان التاليف هو غير الدراسة ، ولان جمع الانتاج هو غير تحليله تحليلا مستفيضا وعميقا ، ويبدو هذا الخلط من الامثلة التي ساقها الاستاذ خالص على انها تدخل في باب الدراسات الادبية ، بينما هي في الواقع ينبغي أن تنضوي تحت باب التاليف .

واني غير متفق مع حضرة الكاتب فيما ذهب اليه من ان دور الدراسات الادبية قد « ينحصر في احياء فضول الاطلاع في نفوسنا ودعوتنا الى الرجوع الى هذه المآثر الخالدة »

ذلك لان مثل هذه الدعوة يمكن القيام بها عن طريق الاحياء والجمع والتاليف وعن طريق الدراسات المركزة والمفصلة التي تمارس في نطاق الاسلوب العلمي،

انظر العدد الاول والثاني لهذه السنة من مجلة « دعوة الحق »

الذي يحلل ويعلل ويستنتج ويضع المآثر فى الغربال . »

واود فى هذا القسم الثالث والاخير ان اتفق مع استاذنا واخينا الكريم احمد زياد على ان الدراسات الادبية هي غير التاليف الادبي بل اؤكد للناقد الفاضل بان هذه الحقيقة من البديهيات التي قام بها الشاهد والدليل واتضح فيها المنهج والسبيل ولكن الامر الذي اريد ان اناقش فيه جنابه هو تعرضه للامثلة التي اوردتها ، فكتاب « لانسون » الذي ضربت به المثل لايمت الى التاليف الادبي فى شيء ، ذلك ان هذا الكتاب رغم اسم « تاريخ الادب » الذي يحمله ، هو عبارة عن دراسات جليلة وعميقة للادب الفرنسي ، وهو بعيد كل البعد عن كتب تاريخ الآداب المعروفة عندنا فى اللغة العربية والتي لاتصلح الا للطلبة والتلاميذ الذين يدرسون فى الاقسام الادبية ، واهم من هذا ان هذا الكتاب الذي اشرت اليه هو غير المؤلفات التي وضعها لانسون فى آخر حياته بتعاون مع بعض الاساتذة والمفتشين الفرنسيين قصد مساعدة تلاميذ الاقسام النهائية من التعليم الثانوي وطلبة الاقسام التحضيرية من التعليم العالي على الوقوف على روائع الادب الفرنسي وتفهم معانيها الغريبة والتعمق فى دراسة اسلوبها .

ان الكتاب الذي اخذته مرجعا فى مقالي مؤلف ضخم يقع فى ازيد من 1.500 صفحة من الورق الصقيل الرقيق ويعد اول ما انتجه « لانسون » في ميدان الدراسات الادبية التي يمكن ، بلا تردد ، اعتبارها من « الدراسات المركزة التي تمارس فى نطاق الاسلوب العلمي الذي يحلل ويعلل ويستنتج ويضع المآثر فى الغربال كما كتب الاستاذ زياد عندما اراد ان يعرفنا بالدراسات الادبية .

ولو لم تكن هذه الدراسات تدخل في نطاق الاسلوب العلمي العزيز على الاخ زياد لما كان لي أن اقارنها بكتاب الف فى منهج العلوم ووضعه عالم ناقد لايتطرق الريب الى تضلعه فى ميداني العلم والنقد ، وما هذا الكتاب الا كتاب « مستقبل العلم » الذي الفه العالم الفرنسي رينان

اما التاليف الادبي فهو دون الدراسات كما لا يخفى لانه لايزيد على « جمع الانتاج » واخراجه فى حلة تستهوي القلوب وتجلب الانظار وتخلب الابصار ، ولا يحمل من الدراسات الا الوانا من التقديم يستعملها اصحاب هذا النوع من التاليف للتعريف بالادباء والكتاب الذين تطوعوا لجمع انتاجهم ونشره على العموم . ومما لا اشكال فيه ان هذا النوع من التاليف لايغني الراغبين فى الاطلاع على المؤلفات الاصلية كما ان الدراسات الادبية لايمكن ان تقوم مقام قراءة الروائع الادبية ولكن هذه الدراسات تدفع بنا الى الاطلاع وتدعونا الى الرجوع الى هذه المآثر الفنية بتفسها عن نفسها

وكل من تروى وتدبر فيما قلناه منذ شرعنا في كتابة هذه السلسلة من المقالات الا ويدرك ان القصد منها هو مناقشة اصحاب المدرستين والمناصرين لهما بفكر أدبي متجرد وقلب مفعم بحب الاطلاع على الآداب الانسانية وهيام باستبطان دخائلها وسبر اغوارها واستكشاف اسرارها ومعانيها الخفية .

فنحن امام نظريتين متعارضتين ورايين متباينين يتعين علينا مناقشة كل منهما على حدة حتى نـدرك ما كان يرمي اليه رينان العالم الناقد وما يهدف اليه لانسون الاديب الناقد

ويبدو لنا فى اول وهلة ان نظرية رينان التي تدعو الى الاكتفاء بالدراسات الادبية وعدم الرجوع الى المؤلفات الاصلية تتعارض مع نظرية لانسون التي ترى فى كتب تاريخ الادب وسيلة ودعوة لمطالعة الروائع التي انتجها الفكر البشري ، ولكن الواقع غير ذلك . فقد كان لانسون يريد ان يوجه قراء كتابه فى قراءاتهم ويدفع بهم الى المطالعة محببا لهم هذا الكتاب او ذلك فاتحا لهم آفاقهم الى هذا المؤلف الذي يعتقد انه اصلح من غيره المطالعة والدراسة ولم يكن يرمي الى قطع دابر اي اتصال شخصي بين قرائه وانتاج الكتاب الذين يتناولهم بالدرس والشرح والتعليق فى كتابه (تاريخ الادب) .

ومن الطبيعي ان يؤدي كل توجيه الى اختيار اولا وحذف ثانيا فنحن عندما نقف على عصر من العصور الادبية نجد ان هذا العصر يزخر بمشرات الكتاب والشعراء كما نجده يتوفر على انتاج ضخم جميل لايمكن ان نلم به كله بل كل ما نستطيع ان نقوم به هو الاهتمام بأكبر قادة الفكر فى هذا العصر او ذاك والوقوف على بعض مؤلفاتهم المهمة التي كان لها الباع الطويل فى تطور التفكير فى هذا العصور والتي ترجع

العدد الثالث (السنة الثامنة) من مجلة « دعوة الحق » ص : 77

اليها اهم الميزات التي طبعت ذلك العهد الادبي وجعلت له طابعا ذاتيا امتاز به عن غيره .

وبازاء هذه المؤلفات الجليلة التي احتلت الدرجة الاولى في عصر صدورها وبازاء هؤلاء الكتاب والشعراء الذين طبعوا هذا العصر وخلدوه نجد طائفة هامة اخرى من الادباء والمؤلفين والمثقفين ومجموعة جليلة من الكتب والمؤلفات لاتقل قيمة ولا مستوى عن الاولى كما ان اصحابها لايقلون اهمية عن المؤلفين الاولين البارزين ولكن هؤلاء المؤلفين وهاته المؤلفات لم يكن لها نفس الدور الذي لعبه اصحاب الطبقة الاولى ولم يكن لذويها وارابها تاثير ملموس في ذلك العصر الذي طفت فيه الطبقة الاولى والذي اتسمت ملامحه اكثر ما يمكن بافكار عدد ممتاز من المفكرين وارباب القلم المنتسبين لهذه الطبقة .

والحقيقة التي لامراء فيها ان لانسون الذي كان استاذ الادب والتعليم الثانوي والجامعي والذي وضع كتبا ممتازة كمؤلفه « تاريخ الادب » كان لايقبل ان تستعمل في ميدان الادب الوسائل الفنية والمواد التقنية التي كان يدعو اليها بعض المفكرين من الادباء امثال: طين وربنان . فكثيرا ماكان لانسون يقول « مواد الادب ووسائله في المعرفة ليست مواد علمية بالمعنى الاصلي التقني لهذه الكلمة . والادب ليس موضوع علم ولكنه ذوق وتدريب وسعادة ولذة . فلهذا فهو لايعرف كما يعرف العلم ولا يحفظ كما تحفظ القواعد الرياضية ولكن الادب يغرس في النفوس ويطبق في الطروس ويحب من الاعماق » .

والذي يتضح لنا من راي لانسون انه لا يوافق على تطبيق النظرية العلمية الموقوفة المعهودة في ميدان الادب وهو متشبث برايه اذ يعتقد جازما ان الرجوع الى الماضي وشرح غموض هذا الماضي البعيد بتجريد الخزانات والمكتبات والبحث في المستندات والوثائق ومقارنة النصوص التي يعثر عليها الباحثون كل هذا حسب راي لانسون يدل على سعة البحث عند المؤرخ ولكن هذا العمل لايمكن ان يطلق عليه عمل ادبي محض ويدخل في مجموع الروائع الخالدة التي انتجها الفكر البشري . وقد ذهب الناقد لانسون بعيدا في هذا الراي واعتصم بحبله فقال مؤكدا ما سبق ان ذكره في الاول :

« ... انني لا ادرك كيف يمكن ان يدرس الادب بغية اشياء اخرى غير التكوين الصحيح والتهذيب الكامل ، كما لا اتصور ان الذين ينكبون على الانتاج الادبي ينكبون عليه بغية تحقيق اغراض اخرى غير السعادة واللذة اللتين يشعر بهما المرء وهو يتصفح انتاجا ادبيا رفيعا ... »

ومما لا اشكال فيه ان المثقف الحق يهتم بالقديم كما يهتم بالحديث وان اشتغاله بالكتاب المعاصرين لا ينبغي ان يقل عن اشتغاله بالكتاب الذين عاشوا في عصور سابقة . والمثقف الحق هو الذي يجد السعادة وهو يدرس الادب القديم كما يشعر باللذة وهو يدرس الادب الجديد الحديث . فلا تتكون الثقافة من معرفة الماضي السحيق والحديث الجديد ؟

اليس الماضي هو الذي تستمد منه الحال وتبني على دعائمه الراسية المستقبل البعيد والقريب ؟ اولا تسمح معرفة هذا الماضي بترديد تاريخ طويل وربط الانتاج المعاصر بالانتاج القديم ؟

ان الثقافة البشرية الحق هي الثقافة التي تمكن صاحبها من ان يجمع بين الماضي والحاضر كما تجعله قادرا على ان يربط بين حاضر الانسانية ومستقبلها حتى لايظل بعيدا عن عربة التاريخ تلك العربة التي تجرف كل ما تلقاه في سبيلها والتي لاترحم عاجزا ولا متاخرا ولا مترددا لانها لاتتوقف ولا تتوانى ولا تتردد .

والمثقف الحق هو الذي يستطيع بقدرة تكوينه وطول باع تمكنه من المعرفة وعظمة طاقاته الفكرية والانشائية ان يعيش مع عصره ويتجاوب مع حاجيات تطوره ودواعي تقدمه . وسوف لايستطيع هذا المثقف ان يسير على هذا النهج الا اذا جمع بين العلم والعمل والذوق والتكوين والادب والتقنية . ومن هنا جاءت فائدة الدراسات الادبية كمادة علمية يختصر بها الانسان الطريق الذي يتعين عليه ان يعبرها حتى لا يبقى في مؤخر القاطرة وحتى لايسير عليه الركب فيبقى في معزل من الناس وعن المجتمع في وقت كثر فيه الترابط بين المثقف والمجتمع وعم فيه التجاوب بين الاديب والناس بفضل تعميم التعليم وتيسير وسائل التكوين وتسهيل امكانيات التربية وتذليل العقبات امام الكتاب والقراء وشيوع وسائل النشر وكثرة المطابع وتعدد الجرائد والمجلات والنشرات العلمية والثقافية والادبية ...

امام هذه الحالة الجديدة اصبحت البشرية مضطرة الى نوع من الاختيار متوقفة على نوع من التفكير العلمي مقهورة على سلوك سبيل سوي بين الادب والعلم حتى تجمع بين الحسنيين وتقوى على الاخذ بالتجديد .

ولعل هذا ما حدا بكثير من رجال الفكر وجهابذة العلم الى الدعوة الى الاخذ باهداب النهضة العلميـــة الحديثة واسباب التطور الجديد الذي اصطبغ بصبغـة علمية واتسم بطابع التقنية والفنية

واذا كان الادباء والمفكرون يدعون الى هذا النوع من التكوين التقني والعلمي الجماهيـــر البشريـــة والانسانية باكملها فكيف يمكن ان يكون موقف العلماء او على الاقل موقف المثقفين الذين غلب عليهم الميل الى العلوم فوقفوا على التجربة العلميـــة وبهتـوا امـام الانتصارات التي حققتها والخطوات الوثابـة التـــي عرفتهـا ؟

ان هؤلاء المثقفين العلماء اولى الناس بهذه الدعوة واجدر الدعاة للاخذ بالتجربة العلمية التي تدعـو الى الاختصار والاقتصار بدل الاسهاب والاطناب والتـــي ترتكز على التجرد والعيان بدل العواطف والشهوات .

وما رينان الا احد هؤلاء المثقفين الذين غمرتهـم موجة العلوم واثرت فيهم الحقيقة العلميـــة المجــردة فراحوا ينادون بتطبيق الطريقة العلمية في كـــل شيء سواء كان الامر يتعلق بالعلوم الانسانية كالادب والبلاغة والبيان ، او بالعلوم الطبيعية مــن فيــزياء وكيميـاء ورياضيات وكتب وغيرها ...

اليس رينان هو مؤلف كتاب « مستقبل العلم » ؟

ان هذا الكتاب الذي صدر في سنة 1890 قـــد الف في الشهور الاخيرة من سنة 1848 والشهور الاولى لسنة 1849 . ومعنى هذا ان رينان الف كتابه الـذي جمع فيه نظرياته المتعلقة بالدراسات الادبية وغيرهـا في الظروف العصيبة التي عرفتها فرنسا بعد ثورة يبراير 1848 فجاء عبارة عن برنامج حافل اخذ صاحبه بعين الاعتبار الملابسات السياسية والتطورات التي عرفتهـا بلاده والنظريات والاراء التي كانت تغلب على رجـــال الفكـر والادب والعلم في ذلك الوقت .

والحقيقة ان رينان يدعو الى دراسة الماضي بـل يعتبر معرفة الماضي وادراك عمق مغزى حوادثه امـرا ضروريا لامفر منه ولا غنى عنه . ولعل هذا ما جعلـه ينادي رجال الفكر وارباب العلم للقيـــام بالابحـــاث الضرورية ويطالبهم بالتنقيب بطرق علمية عن هذا الماضي لاكتشاف مظاهر حضارته واستغلال جميــع ابــواب المعرفة للوصول لهذه الغاية ؛ ولكن تكوينه العلمي جعله يرى حياة الاديب وكمال تربيته وتمام معرفته في الوقوف على كتاب العصر بدلا من اختيار رواد الفكر من رجال العهود الماضية والعصور الخالية . ونحن عندما نقـف على كتابه « مستقبل العلم » نجده يقول بعدما تعـرض لمؤلفات فولتيـــر :

« ان دراســـة كتـاب القــرن السـابـع عشـر مفيدة جدا : لمعرفة الحالة الفكرية في هذا العصر ولكني اعتبر الوقت الذي يقضيه الفرد في القراءة للحصول على هذه المعطيات الايجابية وقتا ضائعا . فليس هناك مـا يمكن ان ناخذه كنظريات فلسفية وآراء مذهبية . واني اعترف باني لا ارى ما يستطيع ان يجنيه المرء من وراء حفظ ما كتبه « لابروبير » وماسلون وجان بابتيسطر وسويالـــو الذين ليس لنا اي اتصال بهم الان كمـــا اعترف باني لا ادري كيف ان شبابنا لايمكن ان ينهـــوا دراستهم قبل معرفة فيمــان وجيزو وتييــرس وكوزان وكيني وميشلي ولامرتين وسانت بوف . ولا اعتقـــد ان هناك من يعجب مثلي بالقرن السابع عشر باعتبـــار المقام الذي يحتله في تاريخ الفكر البشري ؛ ولكني اثور عندما ارى الناس يريدون ان يجعلوا من هذه الفكـــرة الثقيلة الصماء مثال الجمال المطلق ؛ فاي كتاب يمكـــن ان يعلم شبابنا فلسـفـة التاريـخ احسن مــن كتــاب « التاريخ العالمي » الذي اجمع الكل على الاعجاب بـــه وتقدير مؤلفه الذي يعتبـر مــن كبـار رجـال الدين المتاخريـــن »

يتجلى من هذا النص الذي نقلناه له رغـم طولـه ان رينان يعطينا نظرة واضحة عن اختياراته كما تتضح من هذه السطور الخطة والارشادات التي يعطيهـا لنا للبحث في منابـع الاراء الصالحـة العصـر والنظريات المتجاوبة مع تطور الفكر الانساني ويرى رينان ان هذه المنابع لاتوجد الا عند الكتاب المعاصرين الذين يتعين ان تقرا مؤلفاتهم الاصلية بامعان بينما يمكـن ان يكتفـــى بالدراسات الادبية اذا كان الامر يتعلق بكتاب عـاشـــوا في عهــود اخـــرى .

وهكذا فرينان لاينكر الرجوع الى الكتب القديمة لانه لا يجهل الفائدة التي تنتج عن دراسة آثار الاوليـــن ولكن الطابع العلمي الذي غلب عليه والميل نحو التجربة الفنية وتكوينه العلمي كل ذلك اثر عليه وجعله يفضـــل الوقوف على الادباء المعاصرين لانهم اكثر تاثيرا واقرب اتصالا بالعصر وادرى بمشاكلـه المختلفـــة وقضاياه المتعددة ؛ وهذا ما جعل اعجاب رينان بالقرن السابـع عشر اعجابا تاريخيا ان صح هذا التعبيـر لان رينــان لايومن بالاعجاب المطلق ؛ اليس هو القائـل في كتابـــه المشار اليـــه :

« ان الاعجاب المطلق شيء مصطنع : فليس هناك من يعجب اكثر مني بافكار باسكال وخطب بوسوى ولكني اعجب بهما كمؤلفات كتبت فى القرن السابع عشر ولو ان هذه الكتب ظهرت الآن لما استحقت اكثر من ان ينظر اليها الانسان ويلاحظ وجودها ؛ اذن فالاعجاب الحقيقي تاريخي فقط .

ومما لا ريب فيه ان ادب القرن السابع عشر يستحق الاعجاب ولكن بشرط ان يرجع الى وسطه والى القرن السابع عشر وان لايرى فيه النموذج الخالد فى الجمال متفيهقوا المدارس الثانوية . »

ان المثقف الحق لايذهب بطبيعة الحال هذا المذهب البعيد الذي سار فيه رينان رغم انه امر ثابت من عدة وجوه لاننا سنظل نعتقد ان الادب الخالد سيبقى ادبا خالدا بجماله وقوة تاثيره فى النفوس مهما تطور العلم وازدهرت الحضارة التقنية القائمة فى هذا النصف الثاني من القرن العشرين لان الادب له طابعه الخاص ومذاقه العذب الذي يميزه عن بقية مظاهر الحضارة الانسانية . فاعجابنا بالقصة المملوءة بالعواطف البشرية الصادقة او بالقصيدة التي تختلج معانيها وافكارها العميقة بحشو حشانا سيظل قائما فى كل مرة تقف فيها على هذه القصة او القصيدة او المسرحية او مايشابهها دون اعتبار لا للزمان ولا للمكان .

والعمل الادبي لايمكن ان يفقد روعته ورونقه لمجرد مرور الزمن ، ولكن عذر رينان هو انه تكون تكوينا علميا سيطر عليه طول حياته حتى جعله يخضع كل شيء لهذه السيطرة التي ملكت عليه قلبه وغلبت على طبعه وعقله حتى اصبح يريد ان يكتفي الناس بالدراسات الادبية بدل الوقوف على المؤلفات الاصلية .

فهل ارتفع الالتباس بعد هذا على الاخ زباد ؟ وهل ادرك انه ظن الخلط حيث لاخلط والخطا حيث لا خطا ؟

نعم لقد وافقت الاستاذ الناقد على ضرورة الفرق بين الدراسات الادبية والتاليف الادبي ، وذهبت معه فيما ذهب اليه من اهداف الدراسات وغايات التاليف فهل اقتنع ، بعد هذا ، ان الامر لايتعلق بالتاليف وانه ، على العكس من ذلك ، ينصب على الدراسات الادبية المحكمة العميقة ؟ اللهم اني قد اوضحت .

الرباط — عبد اللطيف احمد خالص



صور باسمة من الطفولة الملائكية

للأستاذ : عبد القادر السميحي

« يا سلام الطفولة – ايها السكون السماوي – كاين من مرة وقفت صامتا بازائك ، متاملا في شغف عاشق ، ناشدا التفكير فيك ، غير اننا لا نملك افكارا الا عما كان رديئا حينا ، ثم اصلح شانه من جديد مرة اخرى ، اما عن الطفولة والبراءة ، فما لدينا منها شيء . ان الطفل كائن سماوي ، وسيظل كذلك حتى اللحظة التي يموه فيها نفسه بطلاء الناس الزائف ، وهو لم يرزح بعد تحت عبء القانون والقدر ، فليس في الطفل غير الحرية .، وفيه السلام ، وهو لا يزال بمعزل عن ان يكون في شقاق مع نفسه ، فيه الثراء ، ولا يعرف انقسام الحياة .. يا لها من ايام مقدسة ، يمتحن فيها القلب اجنحته لاول مرة ، وفي توثب النماء السريع نكون في العالم العجيب كالنبتة الوليدة ، حينما تتفتح لشمس الصباح ، وتمد اذرعها اللطيفة الى السماء اللامتناهية » .

عن الشاعر هيلدرلن

ترجمة الدكتور عبد الرحمن البدوي

كنت يومئذ حيوانا صغيرا ، يزحف على اربع كسلحفاة ، ومع ذلك فقد كنت شيطانا يعتو في المطبخ فسادا .. وجدتي العزيزة ذات الشعر الفضي ، والوجنتين الموردتين ، كثيرا ما يروق لها ان تروي عني هذه الحكاية ، وتعيد روايتها في شكل جديد ، في مناسبة ملائمة ، والغريب انني لهذه اللحظة ، لا زلت اعتقد انني نفسي اتذكر صورهذه الحادثة ، مع ان لي ذاكرة خشبية ، لا تتذكر حتى الاشياء القريبة العهد بالحدوث .. ولا زلت لهذه اللحظة اذا اردت ان اتذكر شيئا ما ، فانه يتعين علي ان اضع اشياء ملفتة للنظر في طريقي داخل البيت ، ابتداء من غرفة النوم ، الى نهاية مدخل الباب ، فانقل جهاز الراديو واضعه وسط الصالة ، وعلى بعد نصف متر منه اضع مخدة حمراء من التل ، كرداء مصارع الثيران ، وبقربها آنية مطبخ ، وسبحة خشبية ذات حبوب غليظة ، وساعة منبهة .. فتصبح ارض الصالة ، كطريق السفر ، تنتشر على مداه علامات المرور ، من نصب الكيلومترات ، وعلامات الخطر في الطريق المنحرف او الضيق .

كل ذلك من اجل تذكر شيء تافه . واحيانا رغم وضع هذه الاشياء المثيرة ، فانني في الصباح اقف امامها مندهشا ومتسائلا : لماذا وضعت هذه الاشياء هنا ؟ لابد لكي اتذكر شيئا ما .. لعنة الله على الشيطان .. واظل حائرا اضرب اخماسا في اسداس ، واسداسا في اخماس ، فاضرب جبهتي ، فقد تكون الذاكرة اصابها خلل ميكانيكي ، في الاجهزة

الادارية .. وقد حفظت قاعدة الضرب هذه من بعض اجهزة الراديو .. فى بعض الاحيان يقف الراديو فجاة عن الارسال ، فلا يعود يتكلم ، الا اذا نزلت عليه بضربة كالحمار .. ولله في بعض امخاخ عباده ، ورديوهاته شؤون .. وحين وجدت ان وضع كل هذه الاشياء لم يفد فى عملية التذكر قررت ان اضيف اليها منبها آخر ، ورقة بيضاء ، فى حجم اعلانات السيتما : ادون عليها بخط « سكوب » الاشياء التي يجب تذكرها ؛ واعلقها فى الواجهة الداخلية للباب ، فحين اهم بفتح الباب اجد التعليمات المكتوبة تواجه نظري :

1 ـ تذكر شراء امواس « جليت » للحلاقة .

2 ـ لا تنس ان تقفل باب الشقة بالمفتاح

3 ـ مر على الجزار اثناء العودة لشراء مائتين جرام من الكبد ..

4 ـ تأكد من انك اقفلت موقد البوتاجاز ..

واحيانا ، ورغم كل هذه المنبهات المثيرة ، فانني لا اكاد اخرج من البيت ، واتشغل بالنظر الى واجهات المتاجر ، والعربات والناس ، حتى انسى كل شيء .. لذلك قررت ان القي مسؤولية شراء الحاجيات على كاهل بواب عمارة سكنتي « عمي عبده » النوبي ..

ـ عمي عبده

ـ نعم يا بيه

ـ والنبي ، وانت رايح على السوق ، تبقى تجبلي واياك ، واحد عيش فينو ..

ـ رطل اوطه .. نصف رطل لحم ضاني مشفى.

ـ على راسي وعيني يا بيه .. بس وانت خارج من البيت ، تبقى تفكرني ؟

ـ يا دهوتي .

هيه ، لا علينا ... فلاحدثكم الان عن الشيطان الصغير ، الذي ارتكب جريمة المطبخ .. حدث ذلك ذات صباح من ايام الربيع ، كان افراد العائلة مجتمعين حول مائدة الفطور ، وهم يثرثرون ، بينما اغفلوا عن وجودي .. فقد زحفت فى صمت كدودة هلامية ، عبر وسط الصالة ، ثم اتجهت الى باب المطبخ .. وفى ركن منه لمحت سلة ذهبية مليئة بالبيض فراعني منظرها ذي الشقوق الدقيقة المنفجرة .. فزحفت نحوها متطلعا اليها ، والدهشة الجمالية تملا عيني ، ثم اقتربت منها اكثر فاكثر ، حتى مسكت اطرافها بقبضة يدي اللينة .. وحاولت اكثر من مرة ان اجدبها الي ، ولكنها كانت ثقيلة بالنسبة لقوتي الرخية ، وفى المرة الرابعة استطعت ان اتشبث باطرافها ، واقف مستندا عليها ، وحين لم تقو قدماي الرخيتين على الوقوف ، جذبتهامعي ، فهوت على الارض ، وتدحرجت من داخلها البيض .. انطلق يخرج ، ويدور هنا ، وهناك ، كفرقة « باليه » خرجت من احد اركان المسرح .. شعرت بلذة النصر ، وانا ارى امامي رقصات البيض الايقاعية ، فاهم بمسك واحدة ، فتفلت من قبضتي واضغط على اخرى فلا استطيع ، وبعد عدة تمرينات عملية موصوفة باصرار عنيد ، استطعت اخيرا ان امسك بواحدة صغيرة واضعها فى فمي .. وحين وجدت انها صلبة لا تصلح للاكل ، قذفت بها على الارض ، فانشقت وسال منها الصفار .. يا للروعة ، لقد اكتشفت ان كل هذا البيض يحتوي على هذا اللون الجميل ، لذلك انهمكت بكل نشاط فى عملية تكسير جميع البيض .. ثم اخذت اخوض باصابعي فى مادة هذه الالوان .. وبعد لحظات جرت معدتي فنزلت منها مادة صفراء مشوبة بالخضرة .. ثم شعرت بسائل دافىء ينزل من بين حجري ، واختلط بهذه المواد .. ولم تفتر همتي .. كنت كفنان ساعة الوحي ، فاخذ يخلط الالوان ، ويرسم الصور .. رسمت باصابعي وقدامي عدة صور ، تعد من ايات الفن التجريدي والتكعيبي والسوريالي .. حتى ان « بيكاسو » نفسه ليعجز عن ابداع صور فنية كهذه .. ولا يقوى نقد « خروتشوف » ـ المشبع بالروح الايديولوجية ـ على النيل من قيمة هذه الصورة ، وانزال قيمتها الى مرتبة من « ذيل الحمار » .. ولما سئمت من العمل ، عدت زاحفا الى قواعدي ، فعبرت الصالة متثاقلا فوق الزربية الصينية الملونة ، الى ان استقر بي الزحف تحت سرير جدتي فى الغرفة الجانبية من الصالة .. وفى هذه الاثناء تنبهت العائلة الى غيابي ، فقامت الخادمة تنادي علي .. وتبعتها جدتي .. وشيء واحد ارشدهم الى وكر المجرم المختفي ، هو هذه الاثار التي طبعتها باصابعي وقدامي على رخام المطبخ ، وزربية الصالة ، من هذه المادة العجيبة التركيب والرائحة ، المزوجة بصفار البيض ، ومعجون المعدة وسوائلها ..

وعندما رفعت الخادمة ذيل مفرش السرير وجدتني قابعا في الظلام ، لا يظهر مني سوى بريق عيني .. كبريق عيني قط سرق سمكة او شريحة لحم ، وجرها تحت السرير .. فأخرجتني .. وحملتني جدتي الى صالة الحمام ، لتخلصني من هذه المادة اللزجة التي لطخت بها جسمي بما في ذلك اهداب عيني وشعر راسي ..

وعندما اكتشفوا نهاية اثار الجريمة في المطبخ .. بعضهم تنهد اسفا لضياع هذه الكمية الوافرة من البيض ، والتي لا شك انها سببت نقصا ملحوظا في مخزون المواد الغذائية .. والبعض الاخر ضج بالضحك المثير ..

ومنذ ذلك اليوم ، وحتى وانا كبير ، فان جدتي كانت عندما تراني ادخل المطبخ للسطو على فاكهة ، او قطعة خبز مع الزبدة .. تصيح في :

ـ ابتعد عن سلة البيض ايها الشيطان ..

فأقول لها : هل انا مجنون ؟ مغفل .. لاكسر البيض على الارض .. البيض يا جدتي العزيزة يحتوي صفاره على فتامين « ج » .

فتصيح في مستغربة : شنو كاتقول العايل « طيطامين « ج » » .

فأضج بالضحك . . .

ـ ليس طيطامين « ج » انا قلت لك فيتامين«ج»

فتصيح ضاحكة : الله ينزل عليك البلاء انت والطيطامينات ديالك .

الرباط ـ عبد القادر السميحي

المعرفة في الإسلام

للأستاذ : الحسن السائح

بدأ الاسلام نقطة انطلاقه من وجوب ادراك الحقائق (بالمعرفة) التي ترادف العلم ، وان كانت تشمل ما يدرك بالتعليم وما يدرك بالتجربة الذاتية ، حيث ينتهي جميع ذلك الى تكوين معارف شؤون الحياة كلها .

وبما ان الانسان في حاجة دائما لمعالجة مقتضيات الحياة ، فالضرورة تفرض عليه ان يتعلم ويعرف ، وان يطور معرفته ليتجه دائما الى الاكمل والاحسن فهو ينقب بفكره عن المشاكل والمعضلات ليواجهها بصراحة .

وبما ان الانسان يأخذ معارف السابقين ليركز على يقينها تجربته ، او ليزن مقدار فهمه وعمقه لادراك الاشياء ومقدار عمق تفكير من سبقه ، فهو بطبيعة الحال يعتقد مسلمات لا سبيل لمناقشتها بل يجب عليه فهمها واستيعابها كما يعشق آراء تتغير وتتبدل لانها في حاجة ماسة الى التطور ... وقد سجلت المعارف المكتسبة بالتجربة واخذت تعطى من السلف للخلف على اساس اخذها مسلمة ومناقشتها من لدن الاكفاء او ما يسمون في الاسلام بالمجتهدين .

وضمن الاسلام بطريقة الصدفة الزمانية ظهور مجددين عظماء من عباقرة الفكر الاسلامي يتناولون المعارف الماضية بتجديدها وتركيزها من جديد .

وان من الطبيعي ان تكون هناك معارف مسلمة تدرس بصفة مدرسية كما هو الشأن في تاريخ الحضارات الفكرية البشرية .

وهناك معارف في مناقشة دائمة واذا كانت العقيدة الاسلامية نفسها بدأت بتحرر العقل ، فهي تنكر الجمود لخطره على طبيعة المعرفة ذاتها وجمود المحترفين لتحجير الافكار كان عاملا اساسيا لقتل كل محاولة تجديدية في التفكير استنادا على الخوف من التحريف .

وفات هؤلاء البسطاء ان الجمود هو اساس التحريف ، وانتهى بهم ذلك الى فصل (المعارف) و (التعليم) عن الثقافة فأصبحت الدراسة تنتج متعلمين عارفين لا مثقفين واعين ، لضرورة حرية التفكير في الثقافة ، وبذلك اصبحت المعرفة مجموعة من المعلومات التي تداولها الناس ، لا ما يجب ان يكتشفه العقل ويعرفه الانسان ، كما اصبحت مجموعة ما يروى وما قاله المتقدمون ، لا ما يواجه معضلات الفكر المتجدد وشاع على المعلمين المتأخرين محاربتهم للحوار والنقاش امعانا في تعطيل الفكر وتنويم المواهب وبذلك فقد الفكر ديناميكية العمل ، وخمد الذكاء الذي لا يمكن ان يواجه القضايا الا بحرية، وكانت بداية ظاهرة غير مسايرة لنقطة بداية الاسلام ... واذا رجعنا الى نقد المعرفة في الاسلام عن طريق التحليل الفلسفي فيجب ان نشير الى ما تعارفت عليه المدارس الفلسفية من ان المعرفة انما يمكن الوصول اليها اما عن (طريق اليقين ، اي مذهب اليقين (Dogmatisme) او ما يمكن ان يسمى بالمذهب الواقعي (Réalisme) ، وهو يرى ان المعرفة مستمدة من الخارج ، اي من الاشياء الخارجية عن الذات .

واما مذاهب المثال : (Idialisme) حيث يرى انها تنبعث من الفكر الخالص ، اي تكونت داخل الشخص المفكر .

ومن جهة اخرى يختلف تطبيق مبادىء علم المعرفة على شؤون الحياة العملية سواء في ميدان الميتافيزقي او الاخلاق او الحقوق .

ففي الميدان الفلسفي يظهر ان الحقائق التي تواجهها في الحياة المتطلبة بحلها عن طريق معرفتها ، يعالجها الفكر بطريقتين ، اما ان يستخدم عقله وتفكيره لتحليلها ومعرفتها وذلك بلم شتاتها واشباهها ومحاولة وضع مقياس فكري خاص يتفق فيه مع جميع المهتمين بقضية المعرفة .

وهذه هي الطريقة العقلانية ، واما ان يسلك الطريقة الوجدانية الذاتية وهي المعرفة الصوفية المركزة على التلقينات والمعتمدة على الحدس والبصيرة ، وضروري ان تكون المعرفة

ايضا على هذا المنوال ، لان المعرفة هدف يتطلب الوصول اليه استخدام العقل او استنزاف الوجدان ، ولا بد للوصول اليها اما عن طريق التعلق بالجزئيات وتسلسل المراحل والقدرة على التحليل والتركيب والموضوعية الصرفة ، او بطريق العاطفة ، والاحساس ، والمخيلة وتقمص ذلك في ذاتية صرف ·

ومن نتيجة ذلك فالبشر اذا فكروا ليعرفوا ، لا بد ان يصنفوا في انواع متعددة ، ويبدوا ان هناك فريقين واضحين متمايزين نجدهما ظاهرين في المعارف الانسانية كافة ·

(الاول) : اصحاب الذهن الهندسي العلمي الذي يعتمد على برهان العقل واستنتاجات المنطق ·

(الثاني) : اصحاب الذهن المرهف المعتمد على الادراك بالكشف الباطن والبصيرة والحدس ·

ففي الاول تكون الاراء واضحة ملموسة ، وليست في متناول الناس جميعا ، واما الثانية فتكون غامضة دخيلة وتكون في متناول الجميع ، وليس في حاجة الى بذل المجهود لادراكها وقد بسط (باسكال) الفرق بين الذهن الهندسي والذهن المرهف في كتابه الافكار Les pensées ص 63 وما تزال نظريته في الموضوع جديرة بالاعتبار ·

فالفئة (الاولى) تاخذ العقل او الادراك الصرف وسيلة للمعرفة ويغلب على هؤلاء المنطق ، وعليهم عبء ما في المنطق من مزايا واخطاء ، مزية الصلابة ووحدة النظر ، واخطاء الاختلاف والتغير والتطور تبعا لنتائج التجربة المعتمدة على تطور وسائلها ، فمن هؤلاء ارسطو وابن رشد وابن خلدون وديكارت وكانت وهجل وسبنسر ·

والفئة (الثانية) لا تعتمد على المنطق ومقاييسه ومفاهيمه وانما تبحث عن المعرفة ذاتها بأية وسيلة ، ويفضلون الوصول اليها عن طريق الاحساس والهوى العميق ، ومن هؤلاء افلاطون وبلاتون الغزالي وابن العربي ، والشاذلي واقبال وباسكال وجاكوبي وبوهمه وفختة ·

والفرق بين الفئتين واضح ، فالاولى تعتمد على المعاني الكلية والاراء الشمولية والبراهين العقلية ، فعالمها الاراء المنسقة، وحجتها تحليل الافكار وتجمعها ، وكأنها في مخبر علمي ، وتهدف الى وضوح الفكرة وصدق التجربة ووحدة الرأي ولا تهتم الا بما يسلمه العقل ·

اما الفئة الثانية فهي ذات استنتاجات متنوعة ، شاعرة ، ومؤمنة تتجاوب مع الاحساس فتراها تسمو او تضعف تبعا لعظم الاحساس او ضعفه ، ولا تستطيع ان تنقل نفسها للغير وانما على كل واحد ان يعتمد على تجربته الشخصية ·

وكما يظهر الفرق بين الفئتين من وجهة المعرفة الفلسفية يظهر واضحا كذلك من الوجهة الاجتماعية والاخلاقية ، فالفئة الاولى تعتمد على القانون في تنظيم المجتمع ، والثانية تعتمد على الاخلاق ، والفئة الاولى تقيم المجتمعات على اسس قانونية مدروسة من تجاوزها تجاوز حدوده ، يترصد به القانون ليحاسبه ويعاقبه ، اما الفئة الثانية فتعتمد على التصوف الخلقي ، حيث تشجع الفرد على ان يعود نفسه استحضار القوة الالهية لتراقبه في سره ونجواه ·

والمعارف الاسلامية الاجتماعية تضم بين العنصرين تعاليمها، حيث تسمى مجموعة المعارف (بالشرعية) ليدخل فيها عمل القانون الوضعي وعمل الاخلاق والتنظيمات السماوية ، على ان كل فئة ترتكز على ما يناسبها ولهذا طفح المجتمع الاسلامي بالفقهاء ذوي الاحكام الفقهية والفتاوي القانونية ، ورجال التصوف الذين يغمرون اتباعهم بمحبة الله والسير في طريقه المعبد ، فالتصوف يقابل القانون، والمجتمع انما يسير بالاتجاهية ما داما غير مبالغين ولا متطرفين فاذا تطرف احد الاتجاهين اصبح مخالفة تستوجب النكران ، ويظهر ذلك واضحا في قصة الحلاج الذي بالغ في شطحاته ، فوضع نفسه ضد السلطة الاجتماعية وعرض المجتمع لفوضى الاخلاقية فقتل سنة 309 وفي قصة عن القضاة المعتزلة 525 كما يظهر في الموقف القانوني الصرف الذي يتنكر للاخلاق وسلطة الضمير الديني والاجتماعي فيتعرض لنقمة المجتمع ·

ويمزج الاسلام بين الفئتين فيما يسمى (بالشريعة) التي هي ليست الاخلاق الصرفة ولا القانون الصرف ، وانما هي مزيج بين الاخلاق والقانون ، فمواد القانون الاسلامي لا تفصل عن الاخلاق ، فيلاحظ مثلا في (الزواج) و (الطلاق) و (الميراث) كيف ان القوانين ليست صارمة فحسب ، بل هي تمتزج بالوعظ والاخلاق ، فالزواج مبدأ يجب تقريره في المجتمع ، ومن استطاع الباءة فعليه بالزواج والا فعليه بالصيام ، والتناسل ضروري لتكاثر المجتمع ، وفي الطلاق تلاحظ مبدأ بغض الطلاق عند الله ، كذلك في الفرائض الاجتماعية كالزكاة تتخللها توجيهات خلقية صارمة ، كما ن الصدقات ، والهبات تصبغ في نفس الوقت بتقنينات قانونية ، وبذلك يجتمع القانون والاخلاق فيما يسمى (بالشريعة) التي هي صورة اجتماعية متكاملة لحياة الامم، تظهر فيها صور العدل وطريقة حفظ التوازن، وهي تعبر عما وصلت اليه الحياة فيها من تطور اجتماعي وادراك جماعي للمسؤولية ·

ويمكن في الاسلام وضع خط فاصل بين ما هو مبدأ اخلاقي ، وما هو قانون اجتماعي حتى يضع الانسان حدودا بينهما ، نعم وضع علماء التشريع مبادىء لتحقيق ملاءمة بين التطور الاجتماعي والشريعة الاسلامية تستند على الاجماع والقياس والاستحسان ، وهي في الواقع تشمل الاخلاق والقانون وتظهر في تطبيقات الزكاة والصوم والحج والمطبوعة باوامر لا يسودها تغيير ، كما يظهر بالاولوية في مسائل القانون الذي

هو عرضة للتعديل ، وفي تغير الظروف للتاريخ (التحـرك الديني) ومن هذه الوحدة في الشريعة عسر فصم الدولـة عن الدين في الاسلام واصبح ضروري (تدين الدولة ، كما ان هذه الوحدة الاجتماعية وحـدت بين المعرفـة الفلسفية والاخلاقيـة والقانونية في عقلية المسلم ، الذي يدعوه الاسـلام الى مبدأ (التوحيد) ومعرفة التوحيد ، والايمان به ، سواء في المسائل ذات الاتصال بالعقيدة (الالهية) ، او ذات الاتصال بالاخلاق والقانون ليتم الانسجام في شخصية المسلم .

وعلى هذا الاحساس فالدين ليس طريقه الى المعرفـة ، وانما هو المعرفة ذاتها وهو نظام متكامل ، لا يعتمد على الشعور والبصيرة ليست بين الحقيقة ، وموضوع معرفته تحديد الحقيقة ، وبيان رسالة الانسان ، وهو يسلك طريق القلب وطريقة العقل معا ويأخذ من الطرفين والمعرفة الدينية ليست شعورا بالحقيقة وانما هي شعور وشرح وتوضيـح ولان المعرفـة قائمـة الذات يعرفها الانسان بواسطـة العمل المسلـم فكل فرد يولـد على (الفطرة) قابلا ليكون نموذجا صالحا وليتحمل عبء ما سبقه من الاحـداث البشريـة ، وطبيعـي ان الخصائـص البيولوجيـة والفسيولوجية الوراثية مهما كانت عظيمة الاثر في تكويـن الانسان ، فهي لا تجعله (قابلا) لتحمل عبء الخطيئة الانسانية على نهج بعض المذاهب القديمة ، ويقول النبي عليه السـلام (كل مؤمن يولد على الفطرة فأبواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه) . . . (الفطرة) تجعله كاللوح الابيض قابلا لتحمل كل ما يكتب عليه او (كالعجين) يتكيف كما يريده صاحبه ، وهذه الاستعدادات الفطرية او الغريزية تجعله انسانا مسلمـا والاسلام كدين يعطى لكل ذي كفاءة ما يمكنه ان يتحمـل من التعاليم ولكن لهذه التعاليم وحدة متناسقة لا يظهر فيها فرق بين انسان وآخر ، مهما اختلفا فكريا وجسميا ووجدانـا ، ونحن نرى في المجتمع الانساني المسلم ذلك الفيلسوف العظيم بجانبه ذلك الرجل الساذج تحت قبة المسجد يتفاهمان كأشد ما يكون التفاهم ، ويمكن ان نلخص المعارف الاسلاميـة في نظريـة الاسلام ، (للانسان) الذي تنبع منه المعرفة وتخدمه (فالانسان) في الاسلام ارقى المخلوقـات واسماهـا ، ذو مواهب عقليـة ، واستعدادات متناهية فاذا استطـاع ان يسمـو بنفسه ومواهبـه واستعداداته كان اسمى المخلوقات واذا قصر في جهوده او اضاع مواهبه اصبح اكثرها شرا ، ولذلك تقول الآية الكريمة : « لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم » ، فالانسان خلقه الله وقد توفر على عناصر الكمال، في وسعه ان يصل بمواهبه العقلية والوجدانية الى الخلود ، وهو في نفس الوقت رد الى اسفل سافلين ، الى مكانة احط من مكانة الحيوانات بما يقدم من شر ماحق وافساد متلاحق وهذا الاستعداد لتحمل مسؤولية العمـل الانشائي قـد تحمله الانسان وحده ، وقد بسط القرآن الكريم ذلك بقولـه (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها، واشفقن منها، وحملها الانسان، انه كان ظلوما جهولا) فالانسان تحمل الامانة في الارض ، امانة تحقيق العدل والخير والسمو ، ليصل بنفسه وبعناصر الحياة الى درجات سامية ، فعليه ان يعرف مكانته في الكون ليكون عنصر الرشاد لا عنصر الضلال، فقد خلق الله الروح الانسانية وجعلها قابلة للسمو او للانحدار فقال تعالى : « ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها » وبم تكـون النفس سامية الا بالعمل الصالح ؟ ثم بم يكون انحطاط النفس الا بعدم كفاحها ضد وساوس الشر ، وامارات النفس الامارة بالسوء ؟

ان الانسان في الاسـلام ، عنصـر تام الاستعداد للبنـاء والتسامي اذا استجاب لدعوة الخير ، وبم يستطيـع الانسان ان يستجيب لدعوة الخير ؟ لقد زود بحاسة التفكير ليكون متطلعـا الى الكمال وبحاسة الوجدان ليتطلع الى المعروف والحسنى ، فقد جعل في الاستعداد لتقبل اعلى المراتب الروحيـة العليـا ، ولذلك نصت عدة آيات قرآنية ان الله خلق الانسان ليكون في الارض خليفة ، كما نصت احاديث شريفة ان الله (خلق آدام على صورته) ، فهذا الاكرام في الخلق هو وسيلة ترقية الانسان اذا ادى امانته احسن الاداء ليكون النموذج الكامـل للاتحـاد بالمثل العليا ليصل الى اعلى درجات الكمال ، واذا كانت هذه النظرة الدينية صادقة من خلال كلمات القرآن الخالدة ، فالفلسفة المعاصرة تؤيدها ، ويقول الفيلسوف (برجسن) ان الحيـاة كانت في اوليتها تشبه المادة في جمودها فكانـت تظهـر في النبات ولا شك ان النبـات اقرب في خصائصـه الى الجمـادات لاستحالة سعيه وحركته ، ولكن الحياة في النبـات لم تلبـث ان تتخذ الحياة المتحركة فانطلقت من النبات في شكل الحيـوان الذي زودته الحياة بشتى الاعضاء التي يمكنها ان تحقق شيئا من الحركة ، ولكن سمت لتحقيق حرية الخلق الفكري في الانسان ، فالانسان هو هدف الحياة ، وهذا الانسان اخذ يصقو ويجاهد بمواهبه لتحقيق الخلود ، والتغلب على الموت ، وسوف يخلد الانسان لانه جزء من الحقيقة الكبرى .

هذه نظرية الفيلسوف (برجسن) التي شرحت التفكير الاسلامي في (الانسان) من طريق بحث فلسفي محض لا يعتمد الا على العقل ، وهكذا ادعمت الفلسفة الجديدة نظرية قرآنيـة خالدة ، واذا رجعنا الى اصل المعرفة الحـق وهي التي تحقـق وعي الانسان لذاته ولمكانه في العالم واعطاء معتقداتـه افكارا واضحة متميزة فلن يكون الانسان عنصرا واعيا ايجابيا ما لـم يكن معتمدا على اسباب صحيحة عنده وعند الناس اجمعين ، ولن يصل الانسان الى ذلك ما لم يبحث عن الحقيقة ببداهة العقـل وبوضوح ينتفي معه كل شك .

وقد استطاع الفيلسوف ديكارت في (تاملات في الفلسفة الاولى) ان يثبت براهين عقلية مجردة وجود الله وخلود الروح عن طريق المعرفة العقلانية وحدها ، واستطاع ان ينصر العقيدة والدين ببراهين قاطعة اخرسـت السنة الملحدين ، ولم يستطـع ديكارت ان يخرج عن المنهـاج القرآني فقـد بدأ فلسفتـه

بالميتافيزكيا اي الفلسفة الاولى ، والفلسفة عبارة عن دراسة الحكمة التي ليست هي التبصر في الامور فحسب وانما هي معرفة نظرية كاملة ناتجة عن طريق العقل والمبادىء وكما نص القرآن (على التدبر والتأمل) فقد وجد ديكارت نفسه مضطرا لان يشك اي يصطنع الاناة ويرفض التصديق ولو كان منها شديد الرجحان ما لم يتبين بالبداهة يقينه وذلك ليتخلص الانسان من ظروف الاحكام السابقة ويتجرد عن الحواس ، حتى يصطنع الاداة الصحيحة للمعرفة ، والواقع ان شك ديكارت كانت فرضية عرضية لا يمكن ان تواجهها البديهيات ، اما المنهج القرآني (هو التدبر) الذي قد يكون شكا اتجاه بعض الفرضيات وقد يكون رفضا ، وقد يكون اقل من ذلك (فالتدبر) اقرب الى مسايرة المنهج العام للعقل البشري ، والتدبر في القضايا هو عين ممارستها ، او بالاحرى هو معاناة تجربتها ، فالتجربة في الاسلام والتدبر متساويتان وتلك هي بداية المعرفة ويرجع الفضل للقرآن وحده في اعطاء المعرفة صبغتها العقلانية باتزان لم يباعدها عن التجربة النفسية والروحية ، فالمعرفة مفروضة على عقلنا من تجربتنا والاحرى من ذاتنا ، ومحكها هو النواميس الخالدة المستمدة من التعاليم الدينية ، فكانت هذه التعاليم تشابه في الفلسفة الاغريقية عالم المثل الافلاطوني ، فعقلنا في الدين الاسلامي متجرد باحث عن الحقيقة ، ولكنه في نفس الوقت متجه الى صوابات التعاليم القرآنية التي يجوز لنا بل يجب علينا فهمها ، فهما عقلانيا ، حتى لا تكون مملاة علينا ، والحقيقة ان الاسلام دعا العقل الى المعرفة ، وخط طريق هذه المعرفة في التجربة والتعلم .

والمعرفة في الاسلام هي كل ما يجب معرفته لا ما عرف وتجمد في الكتب ، اي ان الاسلام يريد عقلا شغوفا بالمعرفة والبحث فديننا ميكيته لا تعمل الا بالحجة واليقين ، وبذلك توجد بنفسها نقط ارتكاز فكرية ومع الاسف الشديد فالمعرفة جمدت عند كثير من المسلمين ، فيجب ان تكون ثورة في مفهوم المعرفة ذاتها لان المعرفة في الاسلام كما قلت معرفة ما تجب معرفته ويقتضي ذلك التنقيب عن المجهول ، وتطوير ما هو معلوم ، فكل معلوم يتعرض للتبديل والتغيير حسب تطور الفكر وما يعتمد عليه الفكر ، وجمودها يظهر في فهم المعرفة في تحديدها على انها تكديس ما هو معلوم وشرح ما هو معروف ، وبذلك فقد التفكير عنصر الحركة ، وعند ما تتقدم الحركة الفكرية تعرض الفكر للجمود والمعرفة للركود ، حتى يصبح من البديهي خنق النشاطات الفكرية ، وقد ظهر هذا في اصطلاحات الفقهاء وبعض المحدثين الذين لا يهتمون الا بروايات المتن وعدم دراسته رغم ان المفكرين المسلمين كابن خلدون — والغزالي اثاروا الانتباه الى خطر هذا الجمود على الاسلام ، ولا يستطيع مؤرخو الحضارات الانسانية ان يتجاوزوا عن طريقة المعرفة التي انبثقت منهجيتها عن القرآن مباشرة من غير تسلسل في تاريخ الاديان ، وتلك هي المعجزة وقد ظلت المعرفة (كما رسم الاسلام خطها) عاملا تقدميا لتطوير الحضارة الاسلامية ، فالمعرفة القرآنية التي هي ممارسة التفكير الصرف لينسجم مع المعطيات الخارجية بصورة استقرائية مستندة الى مقدمات تحققت بالتجربة وقورنت بمثل التعاليم الاسلامية ، هذه المعرفة بقيت النموذج الصادق المحتذى في التفكير الاسلامي كما بقيت نموذجا صادقا للتفكير الانساني ، وبهذه المعرفة الفطرية المنطقية في نفس الوقت استطاع الغزالي ، ومحمد عبده ، واقبال ، ان يواجهوا تطورات الحياة وما يثيره الفكر من مشاكل في مختلف العصور والبيئات مستمدين قوة حججهم وسلامة منطقهم من النموذج القرآني ، وما نزال الى عصرنا هذا نعتز بهذا النموذج ، وهو في الواقع يتفوق على التفكير الغربي المعاصر لانه بدأ من نقطة سليمة مركزة ، اما التفكير المعاصر فهو حصيلة تيارات عديدة وتجارب متعددة في الاجتماع والاقتصاد ، وما وراء الطبيعة تتنافر لاقصى حد ، فهي تارة متولدة عن عقلية مسيحية مغرقة في الخيال ، والبعد عن الواقع الحياتي لا تشد صلتها بالانسان الا بحبال واهية ، وهي تارة عقلانية صرف وتجريدية متحدة ، لهذا فهي متنافرة والفرق بين معرفة الغرب ومعرفة الشرق ، ان الاولى معتزة بنفسها مسلحة بالعلم قوية في تعبيرها معتمدة على عناصر ذات فكرة متحركة ، اما الثانية فهي رغم قوة منطقها مهلهلة الشخصية محتشمة لا تجد من يؤمن بها متعصبا ، ولا من يساند حجتها بالفلسفة والمنطق ، ولا من يخلو غرضها في تعبير حي اخاذ ، ولولا بديهيتها وقوتها وسلامة منطقها لعفى عليها الزمان ، وهكذا وهنت المعرفة الاسلامية لانها لا تجد مجالا حيا ، اما المعرفة الغربية فقد استطاعت ان تحلل وتشمل وتتوضع اي استوعبت اساليب العلم وبذلك تجددت واستمرت .

ان المعرفة الموضوعية يمكن للجميع ان يعرفها ، والفكر يستطيع ان يعكس اثر صور المادة الموجودة في عقولنا بصورة تكاد ان تكون مستقلة عنا اي ان يصلنا بالحقيقة المطلقة التي هي مجموعة من الحقائق المعتمدة على التجربة والعلم .

وهذه الحقيقة هي ينبوع المعرفة ، (المعرفة) التي تستحيل الى ثقافة واعية مطبقة اجتماعية ومفهومة من الجميع فهما سليما .

فالمعرفة يجب الا تنعزل عن طبيعة الانسان الاجتماعية والفردية والا كانت تنقصها التجربة فهي وليدة الاحتكاك والتطبيق ، واذا كانت طرق المعرفة اما عقلية لا تؤمن الا بمنهاج العقل وتفسير الاشياء تفسيرا ميكانيكيا آليا ، واما تجريبية ذاتية تعتمد على الاحساس وحده ، دون العقل فان الواقع ان (الانسان) يجب ان يعرف بعقله وبحسه معتمد ايضا على تاريخ التجربة الانسانية ، فالنظرة العلمية تؤكد ان وجود الواقع مرتبط بالاحساس ، فالواقع اولى والفكر والاحساس من نتائج الواقع الخارجي المفهوم بهما والانسان يفهم بطريق العلم

والفن اما بالمعلم بطريقة التعريف والتجربة واما بالفن بطريق الاحساس وبالصورة .

لقد اشتغل علماء الاسلام كثيرا بشرح طريقة المعرفة ، وهم موزعون بين مذهبين :

(الاول) المذهب الفلسفي الاسلامي الذي يرى ان في الامكان ان يصل الانسان الى معرفة الحقيقة الدينية الاسلامية التي هي المعرفة السليمة اذا كان ذا موهبة واستعداد فطري وهـــذه نظرية ابن سينا وابن الطفيل ، فابن سينا يؤكد فيما قدمه لنا من بحث في الاستعدادات الفطرية ما يدل على ذلك .

كما ان ابن الطفيل شرح في قصته الفلسفية حي بن يقظان ان الانسان يستطيع ان يصل الى ادراك الحقائق ولو كان قـد نشأ في عزلة تامة غير محتمل لاي اثر من غيره الا اثر العقـل الفعال الذي يثير تفكيره ، ويشترط ابن الطفيل ان يكون هذا الانسان مستعدا لذلك بما وهبه الله من ذكاء فطـري كحي وصديقه اسال به رواية (حي ابن يقظان) على الفرق بين حي هو انه وصل الى المعرفة بطريقة التأمل الذاتي اما اسال فقـد زاوج بين الحكمة والدين في كونه تلقى المعرفة الدينيـة اولا بطريقة المحاكاة والدين ثم بطريـق التأمل ثانيـا ، على ان هناك من الناس من لا يستطيع ادراك المعرفة اذا قصرت مواهبهم كسكان الجزيرة في قصة حي ابن يقظان .

والفرق بين ابن الطفيل وابن سينا في طريق تبسيط نظرية المعرفة هو ان ابن الطفيل كان واقعيا في بحثه . اما ابن سينا فكان منهاجيا اي انه استمد آراءه من العقل الذي فارق بينه وبين الواقع كما فعل ديكارت من بعد ، اما ابن الطفيل فقد نقل لنـا صورة من الحياة يستنتج منها ان المعرفة الدينية الاسلامية يصل اليها الانسان بطريق التأمل الذاتي وهو الاساس الذي بنـي عليه تأليف قصته حسب رأي الدكتور غلاب .

اما المذهب الثاني ، وهو مذهب علماء الكلام ، والفقــه فهم يرون ان الانـسان لا يصل الى معرفة الدين الا بطريق وصول الدعوة وتبليغها اليهم من طريق الرسول عليه السلام ، لهذا كان من واجب الرسول التبليغ .

ومن واجب التكليف بأوامر الشـرع بلـوغ الدعـوة ، والتكليف بوصول الدعـوة شرط اساسـي ينبني عليـه الثواب والعقاب ، فالانسان غير مكلف ما لم تصلـه الدعوة الدينيـة . التي من المعارف الموجهة .

الرباط ــ الحســن السائــح

البــادى اظلـــم

اشتد المطر يوما ، حتى تحولت الازقة الى برك وخلجان ، وفيمـا الاعمش واقف اقترب منه احد الشيوخ ، وقـال لــه :« اعبر بي » ثم اعتلى ظهره ، فلما ســار الاعمش قال الشيــخ : « سبحان الــذي سخر لنا هذا ، وما كنا له مقربين » فسكت الاعمش ، حتى توسط به الخليج فقذفــه وقال : « وقل رب انزلني منزلا مباركا ، وانت خير المنزليـن » .

أسس التربية السليمة

للأستاذ : العربي الزنايدي

اذا كان الانسان يعيش فى مجتمع ، فليس هو الكائن الحيواني الوحيد الذي يعيش على هذا النمط من الحياة ، فهناك فى مختلف رتب واجناس المملكة الحيوانية كائنات تعيش فى مجتمعات ، اقربها الى الاذهان دائما النحل والنمل والقردة . الا ان المجتمعات الحيوانية غير الانسانية تتميز بالتشابه فى اساليب معيشتها ، ويرجع ذلك الى انها تنظم حياتها على اساس سلوك غريزي فطري مستخدمة فيه ما لديها من تركيب فسيولوجي، وقد نلاحظ بالنسبة الى الحيوانات الثدية كالقردة ان هناك قدرا من التعلم يتم بين الصغار والكبار ، ولكن هذا التعلم يقوم على اساس التقليد والمحاكاة والخبرة المباشرة وليس على اساس انتقال الخبرة عن طريق الاتصال اللغوي او استخدام الرموز ، فالقردة الام يمكنها ان تساعد وليدها على ان يمشي ويتسلق عن طريق الخبرة المباشرة ولكنها لا تستطيع ان تحدثه كيف ينبغي ان يتعلم المشي او التسلق ، او تخبره بما تتمناه له من مستقبل او ما يجب ان يتحلى به من صفات ، لهذا فان تعلم الحيوان غير الانسان لا يعتمد على تراكم الخبرات وانتقالها ، وانما يقتصر على اكتساب خبرات فردية مباشرة فى مواقف معينة وفى جيل واحد .

اما المجتمع الانساني فان تحديد طريقة معيشته واسلوبها لا يعتمد على هذه الدوافع او الغرائز الفطرية ، وانما يعتمد على ثقافة المجتمع السائدة . والثقافة هنا لا تعني تلك الميول او الصفات التي تميز الشخص المتعلم عن غيره من بقية افراد المجتمع ، وانما يقصد بها تلك الاشكال المختلفة من السلوك والتفكير والمعاملات التي اصطلح عليها افراد المجتمع فى حياتهم والتي تميز حياتهم عن حياة غيرهم من المجتمعات الانسانية والتي تتناقلها الاجيال المتعاقبة عن طريق الاتصال والتفاعل الاجتماعي لا عن طريق الوراثة البيولوجية ، هي اسلوب المعيشة الذي تتعلمه الاجيال الجديدة من اجل الوراثة السالفة عن طريق المواصلة اللغوية والخبرة بشؤون الحياة والممارسة ، ويدخل فى اسلوب المعيشة ـ بطبيعة الحال ـ كل ما يتعلق بطريقة حصول الانسان على قوته ، وكيفية تعامله مع غيره من الناس ، وانواع القيم والاتجاهات المختلفة التي يحرص المرء على التمسك بها ورعايتها او على نبذها والتنكر لها .

هذه العملية الاجتماعية الخاصة باكساب الثقافة الى اعضاء المجتمع الجدد تعرف باسم التنشئة الاجتماعية او التربية كما افهمها . وغير خاف ان الثقافة دائمة التغير بما تضيفه اليها الاجيال الجديدة من خبرات ادوات وخبرات وقيم وانماط سلوكية والفاظ لغوية ، وكذلك بما ينتج عن اسقاط تلك الاجيال نفسها لبعض الخبرات القديمة التي لم تعد تتلاءم وظروفها الاجتماعية التي تحياها ، اذن علينا الا نفهم ان عملية التربية تشمل طرفين احدهما موجب له الامر والنهي والغلبة وذلك هو المربي ، وثانيهما سالب وظيفته ان يتلقى من ملقنه ليس الا ، كلا ، ان عملية انتقال الثقافة او التربية تتضمن عنصر الانتقاء والاختيار والغربلة والتغيير من لدن الاجيال الصاعدة ، والملاحظ ان التغيير الذي يلحق الثقافة يختلف سرعة وابطاء بحسب الاحوال الاجتماعية : فهناك ثقافات سريعة التغير كما هو الامر فى المدن

والمجتمعات الاكثر اتصالا بغيرها ، ويسمي علماء الاجتماع الثقافات السريعة التغير بالثقافات المتحررة، اما الثقافات البطيئة التغير فيطلقون عليها اصطلاح الثقافات المقدسة كثقافات المجتمعات المنعزلة .

فالتربية اذن هي عملية عامة لتكييف الفرد ليتمشى وينسجم مع تيار الثقافة التي يعيش فيها ، هي عملية تحضير الفرد وادخال عناصر مدنية مجتمعة في ذاته المفكرة ليرقى الى المستوى الثقافي العام ان لم يتجاوزه ، وبهذا تصبح التربية عملية خارجية يقوم بها المجتمع لاستغشار افراده وتنشئتهم على ارتضاء العيش سويا في كنفه في سلام .

وقد يتطرق الى ذهن القارىء الكريم ان هذا الفهم «الاجتماعي» للتربية يعني الحد والاقلال من حرية الفرد ، وهذا بالذات ما كان يراه بعض فلاسفة التربية وعلى راسهم جون ديوي في كتابه « التربية اليوم » . والواقع ان هذا الاعتراض لا اساس له اذا ما وقع الاعتراف بقدرة الانسان على التفرد الذاتي والابتكار والانتقاء ، وبحقه الضروري في ذلك ، هذا بالاضافة الى ان الهام في تكوين اي فرد هو مدى انسجام الشخصية الاجتماعية لهذا الفرد بالنسبة للافراد الاخرين في المجتمع في حدود ثقافة هذا المجتمع اي في نطاق تلك الاتفاقية القائمة بين الناس والتي من شانها ان تحفظ لهم كيان مجتمعهم وتواجدهم بعضهم مع بعض .

بهذا تكتسي التربية الصبغة التي نرجو لها، اذ لا خير في تربية تنأى عن تكوين اتجاهات اجتماعية خلقية تساعد الفرد على الانسجام مع غيره من مواطنيه ، وعلى التعامل معهم بنجاح كالقدرة على التعاون والمثابرة والشجاعة وتحمل المسؤولية والرغبة في العمل بجد واجتهاد ، فتلك صفات اصبحت اليوم جد ضرورية لضمان تماسك المجتمع وسعادة افراده ، ولا خير كذلك في فرد ناضج نابه يرتضي الحياة في مجتمع متخلف لا يهمه امره ولا يتملكه شعور الحدب عليه تحت شعار الغيرية .

التربية اذن هي عملية نمو وتطور في النواحي الحركية والعقلية والوجدانية قصد التكيف بنجاح مع حياة مجتمعية ، وهذه العملية موسومة بالاستمرار والدوام ما دام الفرد موضوعها حيا يرزق ، فالتربية لا تنصب ديناميتها المختلفة على مراحل الطفولة فقط ، — كما قد يتوهم البعض — بل انها تستمر طوال حياة الفرد ما دام يعيش داخل وسط طبيعي واجتماعي لا انقطاع لتياراته .

وتلك التغيرات والتطورات في الخبرات والمهارات والاتجاهات ليست من اختصاص التعليم وحده بالبداهة ، وانما دور التعليم ينحصر اساسا في الارتقاء بمستوى المعرفة لدى النشء في دور العلم ومراحله المختلفة . ان المؤسسات التعليمية بيئة مصطنعة اعدت اعدادا خاصا واعد لها برامج وتنظيمات معينة ، وزودت بمدرسين موجهين .

ان التربية اوسع مجالا وابعد مدى من التعليم واعم اثراق تسليم تراث المجتمع الى الجيل الصاعد. ونجد بعض علماء الاجتماع يطلق مصطلح التربية الرسمية على التعليم مفرقا بينها وبين التربية غير الرسمية وهي التي تحدث بصورة غير منظمة وبكيفية غير مصممة ومحددة كما هو الحال في الاسرة ، وايضا التي تتم عرضا نتيجة الاستماع للاذاعة اولخطبة او لنصيحة صديق او قراءة في صحيفة . مما سبق يمكن ان نستنتج انه لا يمكن ان يتواجد الناس في مجتمع بدون تدخل النظام التربوي ، والا كان الانسان عبارة عن كتلة متحركة من الهمجية ان صح التعبير ، لا يعرف ملبسا ولا لغة ولا دينا ولا معايير اجتماعية ، فالتربية حين تتولى الانسان بوسائلها المختلفة وفرصها المتعددة يتحول من مجرد كائن حيواني الى انسان اجتماعي .

ولكي يكتسب الانسان صفة الاجتماعية يجب ان يعيش في جماعة من الناس تعلمه اللغة وتوجد عنده شعورا بقيمة الجماعة وحرصا على سمعته فيها ، وقبولا لتقاليدها وعاداتها ومعتقداتها ، كما تكون عنده وعيا بالنظم الاجتماعية السائدة فيها ، فالفرد لا يمكن ان يصبح انسانا يعاشر الناس ويعاشرونه الا اذا عاش وتربى في كنف المجتمع .

ولا يعقل ان يجري علماء الاجتماع تجربة ليثبتوا بها صواب هذا الرأي فيعزلوا طفلا عن سائر البشر منذ ولادته ويغذوه بطريقة ما دون ان يتصل به احد ، ولكن هناك حالات وجدت فعلا ، سواء بطريق الصدفة ، او لاسباب سياسية ، وانعزل فيها الفرد عن الناس وهو لا يزال رضيعا وانفلت من تاثير عوامل التربية والتهذيب .

ومن هذه الحالات المشهورة حالة ذلك الامير الالماني « كاسبارهوزر » الذي شاءت له الظروف

السياسية ان يقصى عن الامارة وهو رضيع ، فحبس في كهف مظلم ، ولم يمكن احد من الاتصال بـه ، حتى انه لم يكن يرى وجه من كان يقدم له الطعام ، وعندما اطلق سراحه كان قد بلغ من العمر سبعة عشر عاما ، ولكنه كان كالطفل الصغير في عقليته وسلوكه وحركاته ، ولما حاول السير في شوارع مدينة « نورمبرغ » سنة 1828 لم يستطع المشي الا بصعوبة ، ولم يكن يعرف من اللغة شيئا ، كما انه لم يستطع فهم ما يدور حوله ، او معرفة ما يراه من اشياء او ما يستعمله الناس من ادوات او ما يلبسونه من ملابس .

ومن اغرب الحالات التي سجلت حالة تلك الطفلة التي عثر عليها في الهند سنة 1920 ، في مغارة ذئاب ، وكانت في الثامنة من عمرها ، واطلق عليها اسم « كمالا » ، وعاشت بعد ذلك تسع سنوات ثم توفيت ، وقد سجلت حياتها في السنوات التسع التي امضتها في مجتمع بشري ، عند العثور عليها كانت لا تعرف لغة ما ، بل كانت تحدث اصواتا كعواء الذئاب ، وكانت تمشي بخفة على يديها ورجليها وتجري بسرعة فائقة كالذئاب ؛ كما كانت تجفل من البشر كاي حيوان غير مستانس ، وكانت تاكل اللحم النيء ، وتنام بالنهار ولا يغمض لها جفن بالليل ، وهكذا كان سلوكها كسلوك الوحوش تماما .

ان التربية كظاهرة اجتماعية ، نجد انها تستمد وجودها ولزومها للانسان من صفتين اساسيتين متصلتين بالانسان ومجتمعه وكامنتين في ثقافة هذا الانسان وما يوجده او يبتدعه من معارف :

الصفة الاولى : ان الانسان ، حينما يولد ، يكون على درجة من الضعف لا تمكنه من مغالبة الصعوبات التي تعترض سبيله ليستطيع البقاء فهو عاجز عن الوفاء بنفسه لنفسه بحاجياته الاساسية ، حاجته الغذاء او للحماية او للنظافة ، وعلى ذلك اذا لم يعط هذا الانسان فرصة لان يربى ويعتنى به طول فترة طفولته الطويلة بطبيعتها تعرض للهلاك .

الصفة الثانية : القابلية للتعلم والنفاذ بفضل الجهاز العصبي المركزي الذي يتوفر عليه الانسان دون غيره من الحيوانات الاخرى مما يجعله قادرا على التخاطب بلغة يمكن ان تكون وسيلة جيدة في الاتصال بين افراد المجتمع .

ورغم هذا التعريف الواسع الذي اعطيناه للتربية ، فان اهم عملياتها وابعدها اثرا في شخصية الانسان تقع في مراحل العمر الاولى ، والعبء الاكبر هنا ملقى على عاتق الاسرة . فالاسرة هي الوسط الاول والضروري لتربية الطفل ، ذلك المجتمع الصغير الحي ذو وظيفة تهدف نحو نمو الطفل نموا اجتماعيا ، ويتحقق هذا الهدف ، بصفة مبدئية ، عن طريق التفاعل العائلي الذي يحدث داخل الاسرة ، والذي يلعب دورا هاما في تكوين شخصية الطفل وتوجيه سلوكه . وبقول اخر ، فان علاقة الطفل بوالديه واخوته تنشا عادة في محيط الاسرة ، وهذا ما يدعونا الى القول بان للاسرة وظيفة اجتماعية هامة ، اذ هي العميل الاول في تطبيع الطفل اجتماعيا .

وقد اعطيت في السنوات الاخيرة اهمية قصوى للتربية في مراحل الطفولة الاولى ، حتى ان مدرسة التحليل النفسي ، بزعامة العلامة الشهير سيغموند فرويد « 1856 – 1939 » ذهبت الى ان الطفل يتاثر بخبرات السنوات الاولى من حياته بشكل يصوغ شخصيته التي قد يحملها معه مدى الحياة ، والتي تعكس نفسها على مشاعره وعواطفه وافكاره وسلوكه واعماله تجاه كل شيء في جميع اطوار وجوده ، ولقد نجحت هذه المدرسة الجريئة الى حد كبير في رسم صورة جلية لحياة الطفل منذ ان ينشا الى ان يصل طور المراهقة ، وبينت كيف يتفاعل الطفل – خصوصا في السنوات الخمس الاولى التي تهتم بها مدرسة التحليل النفسي كل الاهتمام – مع مختلف العوامل التي تحوطه ، واهمها والداه ، سيما الام الاكثر اهمية في بدء الحياة ، تفاعلا يترك في نفسه اثرا عميقا قد يلازمه بقية الحياة .

وما كان الاهتمام الكبير بالسنوات الاولى من حياة الطفل امرا جديدا في الفكر الانساني ، بل نجد ان عددا من الفلاسفة والمصلحين الاجتماعيين القدماء اولوا هذه السنوات عنايتهم القصوى ، ولكن الشيء الجديد هو ان مدرسة التحليل النفسي حاولت ان تدلل على اهمية تلك السنوات تدليلا اقرب ما يكون الى التدليل العلمي القائم على الملاحظة والاستقراء كما رامت تبيان القوى الفعالة في حياة الطفل منذ نشاته ، وكيف تتطور ، وكيف تعين شخصيته عن طريق تفاعلها مع محيطه المباشر ، وعلى كل ، فهذه المدرسة كشفت النقاب على ان حياة الطفل ليست بحياة بيولوجية صرف لما حددته من الخصائص النفسية في هذه المرحلة .

وهناك اختلاف حول تحديد فترة الطفولة تبعا لطبيعة الموضوع الذي يدفعنا الى الاهتمام بالطفل ،

فرجال القانون يميلون الى تحديد الحد الادنى لسن الطفولة بثمانية عشر عاما ، ويرجعون هذا التحديد الى اسباب تتعلق بفكرة المسالة الجنائية كتوافر عناصر الادراك والتمييز والارادة ، بينما الاجتماعيون الاخلاقيون يذهبون الى تحديد الحد الاقصى لسن الطفولة باقل من ذلك باعتبار ان هناك يميزها عن مرحلة الطفولة ، اما الاجتماعيون المهتمون بالدراسات الفردية ، فيعلقون تحديد مدلول الطفل بفكرة التحرر من الاعتماد على الغير ، ويقصد بفكرة التحرر من الاعتماد على الغير ، التحرر الوجداني والمادي ، والتحرر الوجداني هو امكان انعتاق الفرد من تعلقه بامه او باسرته وامكانه الاستقلال باسرة خاصة ، وان يجد الاشباع العاطفي في زوجة ليست من سبط اسرته ، فعدم الاعتماد على الام او الاسرة في تنمية الضمير الوجداني هو الذي يحدد لنا فكرة التحرر ، والى جانب هذا لابد من التحرر المادي ايضا ، ويقصد بالتحرر المادي المقدرة على كسب العيش والمقدرة على تصريف الامور المادية بعقل وروية ، لهذا اتجهت تشريعات الزواج الى تحديد السن الادنى للزواج بثمانية عشر عاما ، باعتبار ان الطفل عندما يصل الى هذا السن يكون قد اجتاز مرحلة الطفولة بامان وتمكن من الاعتماد على النفس ، فهنا فكرة التخلص المادي مضافا اليها فكرة الاستقلال العاطفي تعتبران محور تحديد مدلول الطفولة وتتويجا للتربية السليمة .

وعلينا ان نعترف بان الطفل ليس كائنا بسيطا وانما هو كائن معقد ، فهو محمل بصفات ورثها عن الوالدين ، وان قلبه الصغير لا يحمل السلام بل المقاومة : مقاومة الخير والشر في الوقت ذاته ، ولهذا كان من الضروري ان ندع جانبا كل انواع التربية التي تنادي بترك الطفل للطبيعة تهذبه وتدربه وتخلق منه رجلا مكتمل الرجولة ، ومهما كانت الحاجة تستلزم استبعاد اي ضرب من ضروب العقاب لهذا الكائن الغض وتجنيبه الشعور بقسوة الحياة التي سوف يخبرها اذا ما شب عن الطوق ، فانه من المتحتم ان نضحي بعض الشيء بعواطفنا وان تبدأ التربية بالثواب والعقاب الخفيف ، فلابد اذن من التوجيه والرقابة المستمرة . كما ان الطفل كائن حي وهذا يستلزم معاملته معاملة واعية ، ومن طبيعته ان يأخذ اكثر مما يعطي مما يحتم تدريبه وتشبعه باتجاهات الغيرية .

ويزعم بعض الاباء ان طفلهم يمارس سلطات دكتاتورية بالنسبة لهم .

والحقيقة ان الطفل لا يمكن ان يكون مستبدا الا في مواجهة من يرغبون ان يكونوا عبيدا له ، وبمجرد ان يحصل على هذا الحق تصبح ممارسته امرا ممتعا له للغاية ، وهو لا يتردد في ان يمارس هذا السلوك الديكتاتورية في مواجهة اي فرد يبدي ضعفا تجاهه ، فهو يمارس ديكتاتورية ازاء كل من لا يبدي اي مقاومة لسلوكه ، ومع ذلك فهو يحس في قرارة نفسه انه لم يبلغ بعد من النضج مبلغا يمكنه من ان يكون ديكتاتورا ، ولهذا ينادي كثير من رجال التربية بضرورة العودة الى الاسلوب التربوي القديم وهو تدريب الطفل على الطاعة منذ نعومة اظافره .

الرباط ــ العربي محمد الزنايدي

من القضايا الدولية الكبرى

الجوانب الاقتصادية والاجتماعية في موضوع تصفية الوضع العسكري النووي في العالم

للأستاذ : المهدي البرجالي

السياسة الدولية في ميدان تحديد التسلح : تطوراتها فيما قبل الحرب وما بعد ذلك ـ العوامل الجديدة التي اصبحت تؤثر على مجرى الامور بهذا الشأن في الوقت الحاضر ـ الحقائق السياسية والفكرية والاقتصادية التي تنبثق عنها التطورات الاخيرة في هذا الميدان ـ الصلة بين السياسة الدولية لنزع السلاح وسياسة الامم المتحدة في هذا الميدان ـ الصلة بين السياسة الدولية لنزع السلاح وسياسة الامم المتحدة في ميدان الانماء الاقتصادي العالمي ـ ما يعني اقطار العالم الثالث بالنسبة لهذا الموضوع على ضوء المصلحة العالمية المتكاملة .

لا ينفرد عالمنا الراهن ـ عالم ما بعد الحرب ـ بشدة العناية بقضية نزع السلاح ، على المستوى الدولي العام ، وما تثيره هذه القضية من ذيول وتعقيدات سياسية وفنية ، واقتصادية وغير ذلك ، فمنذ اواسط القرن الماضي ـ ولا نرجع الى ما هو ابعد من ذلك ـ كانت هذه القضية من بين القضايا الاكثر الحاحا على الاذهان ، وقد حفل بها جو المباحثات الدولية زمنا غير يسير ، وحبر في شأنها ضافي التقارير ووضعت حولها نظريات ومشروعات لم يكتب لاي منها ان يرى التطبيق ابدا ، فقد حاول نابليون الثالث خلال العقد السادس من القرن الماضي ـ حاول شيئا من هذا القبيل ولكن في نطاق اوربي محدود ، بيد ان محاولاته لم تلق النجاح الذي كان ينشد ، وعند نهاية القرن الماضي وجه القيصر الروسي نيقولا الثالث نداء الى الدول الكبرى بهذا المعنى لكن قيام الحرب العالمية الاولى بعد ذلك ، وما تمثل خلالها للعالم من اهوال جعل مسالة نزع السلاح اشد الحاحا على الاذهان اكثر من اي وقت سابق ، وجعل الرغبة في تحقيقها اكثر سعة وابعد مدى مما كان عليه الامر من قبل ، بحيث لم تعد المبادرات في هذا الميدان تصدر عن جهات دولية محدودة كما وقع احيانا خلال القرن الماضي ، بل ان الامر بهذا الصدد اصبح ذا صبغة دولية واسعة النطاق جدا ، ولذلك فقد اصبحت القضية تشغل مختلف الدول الكبرى ، واحتضنت عصبة الامم القضية هذه من اساسها ـ شأن هيئة الامم المتحدة الحالية ـ وبذلت العصبة آنئذ جهودا ملحوظة في هذا السبيل وقد تنبه واضعو ميثاق العصبة الى الاهمية التي تكتسيها قضية نزع السلاح في العالم ، فضمنوا الميثاق اشارة الى الموضوع ، تضمنها الفصل الثامن ، حيث ذكر انه من اللازم العمل على التخفيض من حجم الاسلحة التي تمتلكها مختلف الامم ، وذلك الى الحد الادنى الذي توجبه الضرورات الدفاعية ، ويقتضيه كذلك القيام بتنفيذ الالتزامات الدولية ، وقد عقدت في خلال العشرينات واوائل الثلاثينات عدة مؤتمرات دولية اما تحت الاشراف المباشر لعصبة الامم ، واما بمجرد موافقتها الضمنية وذلك لبحث المقتضيات التي يمكن ان تؤدي الى تحقيق اتفاق دولي حول نزع السلاح وتقريب وجهات النظر الدولية المتباينة ، حول ذلك ، وقد كانت الاحلاف الدولية ـ حينذاك ـ غير ما هي

عليه الان بالطبع ، فكنت تجد بولونيا مثلا تتخذ فيما يخص موضوع نزع السلاح ، نفس الموقف الذي تتخذه بلجيكا ، وفرنسا ، بينما تتمسك انجلترا بموقف مناقض لذلك ، وهذا ما حدث بالفعل في حظيرة المؤتمر الدولي لنزع السلاح الذي انعقد في جنيف خلال ربيع سنة 1932 ، وضم اعضاء عصبة الامم للاتفاق على طريقة لتخفيف التسابق نحو التسلح ، طبقا للسياسة التي كانت العصبة تتبناها في هذا المضمار ؛ فقد تقابلت خلال هذا المؤتمر وجهتا نظر اساسية في موضوع نزع السلاح ، وكانت النظرية الاولى ، التي تبنتها فرنسا الى جانب بولونيا وبلجيكا ودول اخرى — كانت هذه النظرية تقضي بعدم وضع حد ادنى للتسلح ، تفرض نسبته على جميع الدول بغض النظر عن حاجياتها الدفاعية واوضاعها الدولية ، بل يجب وضع هذه الحاجيات في الاعتبار عند اقرار نظام دولي لنزع السلاح بحيث تحدد نسبة التسلح لكل دولة ، ولكن طبقا لما يقتضيه الحفاظ على امنها وما يتطلبه ذلك من عدة وعدد ، اما النظرية الاخرى ، فقد كانت تاخذ بها انكلترا وبموجب النظرية هذه يتعين اقرار نظام عام لنزع السلاح ، تشمل مقتضياته جميع الدول بدون استثناء ، وعلى الرغم من تناقض النظريات على هذا النحو ، فقد امكن لمؤتمر جنيف ذلك ان يتوصل الى قرارات مهمة تتعلق بمنع الحرب الجرثومية والكيميائية ، واساليب الحرب التي تعتمد على الاحراق المنظم مع اقرار مقتضيات فنية وتنظيمية تتعلق بذلك ، وقبل هذا التاريخ بكثير . وبالضبط في شهر دجنبر من سنة 1921 توصل عدد من الدول الكبرى هي انكلترا والصين واليابان وفرنسا وايطاليا والولايات المتحدة الى اتفاق عرف في حينه بوفاق المحيط الهادىء لان موضوعه الاساسي كان هو العمل على التخفيف من شدة الاحتكاك بين اليابان والولايات المتحدة في منطقة المحيط ، وما يقتضيه ذلك من تخفيض للسلاح بالنسبة لدول تلك المنطقة وفي سنة 1922 تم التوقيع على ما يعرف باتفاقيات واشنطون بين الدول آنفة الذكر ، وبموجب هذا الاتفاق امكن التوصل الى قرارات دولية مهمة تتعلق بتحديد التسلح ، ومن بين هذه القرارات : تعهد الدول الموقعة بعدم بناء مزيد من السفن الضخمة مع المحافظة على ما هو موجود بالفعل ، واستبداله في حالة بلى او عطب او ضياع بل وقع التعهد — اكثر من ذلك — بتحديد حمولات السفن بالنسبة لكل دولة ، وتعيين مدى متفق عليه للقذائف التي تمتلكها الدول الموقعة كل على حدة ، وقد تولد عن هذه الاتفاقيات الكبرى اتفاقيات ثانوية ، عقدت بين بعض الدول الموقعة في نطاق العمل على حل بعض المشاكل الخاصة ، ومن ذلك الاتفاقية بين فرنسا وانكلترا « يوليوز 1928 » وقد ضبطت هذه الاتفاقية مشاكل قانونية في الموضوع بين الدولتين وقد عرفت سنة 1930 المؤتمر الدولي الشهير المعروف بمؤتمر لندن البحري ، وقد وقع انعقاد هذا المؤتمر الهام بين نفس الدول الموقعة على اتفاقيات واشنطون ، وانبثقت عنه معاهدة دولية عقد عليها امل كبير فيما يخص تحديد التسابق نحو التسلح ، وخاصة التسلح البحري الذي كان له — قبل ستراتيجية العصر النووي — الصاروخي الحاضر — شان كبير في حساب الدول واستعداداتها العسكرية .

❊ ❊ ❊

لم يكن لسياسة التهدئة الدولية على هذا النحو، ان تحول دون اشتداد التوتر بالعالم طوال الثلاثينات وانجراره بعد ذلك الى الملحمة التي ابتدات سنة 1939 ، والتي شملت آثارها جميع القارات تقريبا ، فعلى الرغم من جهود عصبة الامم ، التي كان من مهامها الاساسية العمل على التخفيف من وطاة التسلح في العالم ، وعلى الرغم من الاتفاقيات الثنائية والجماعية بين الدول الاوروبية بهذا الشان فان الجو النفسي والسياسي الذي خلقته في اوروبا معاهدة فرساي ، ثم معاهدة « لوكارنو » بعد ذلك لم يكن من شانه ان يعطي لمحاولات من هذا النوع حظوظا حقيقية ، هذا الى ازدياد تعقد المشاكل الدولية بآسيا نتيجة السياسة اليابانية في المنطقة ، في نفس الوقت الذي كانت فيه المنافسات وتصادم المصالح على اشده بين الدول الاوروبية الامبريالية ، ولم تكن هذه العوامل هي اهم ما في الامر ، بل انها كانت مجرد اعراض لحالة العالم المزمنة قبل نشوب الحرب الاخيرة ، هذه الحالة التي تسلسلت عن عهود التوسع الاوربي الاولى بما صاحبها من حروب ومنازعات الى ان بلغت قمة فورتها ، عند مطلع العقد الرابع من هذا القرن ، حيث اصطدمت المصالح الدولية ، على عتبة الحرب ، وكان من الحتميات التي انبثق عنها ذلك ، ان دخل العالم في فترة التحول الكبيرة التي تعيشه الان : تحول الاوضاع السياسية والدولية ، تحول في القيم والاخلاق والمسالك والنظريات ، تحول في اشكال الاستعداد الحربي والتخطيط الستراتيجي ، وما يتعلق بذلك من وسائل مادية وتنظيمية ونفسانية ،

وهذا النوع الاخير من التحول هو الذي يعنينا في هذا المجال بصورة اخص ، ان سياسة نزع السلاح الدولي ، لا تزال لها اهميتها التي كانت لها منذ عهود مضت ، وجهود الامم المتحدة يمكن اعتبارها مجرد استمرار لجهود عصبة الامم بهذا الصدد ، كما ان الاتفاقات الدولية التي توصلت اليها بعض الدول الاوروبية قبل الحرب بخصوص هذه المسالة تجد مثيلات لها في الاتفاقيات والمعاهدات الدولية الحالية، كمعاهدة موسكو لحظر التجارب النووية « 1963 » والاتفاق الدولي الضمني حول اجتناب استخدام القطب الجنوبي للاغراض العسكرية ، او ارسال صواريخ او سفن الى الفضاء محملة بالمقذوفات الحربية ، وخاصة منها الاجهزة النووية والعناصر الجرثومية وما هو من نوع ذلك ، ان عناية الملا الدولي هكذا بقضية التسلح في العالم ، وحرصه على تحديد التسابق بين الدول في هذا الميدان ، واصطناع الظروف السياسية والنفسية والعلمية ، المساعدة على ذلك ، كل هذا يشكل حالة دولية مستمرة ، لم تنقطع مظاهرها ــ كما راينا ــ سواء قبل الحرب العالمية الاخيرة ، او فيما بعدها ، غير ان الاهمية التي اصبحت تكتسيها هذه القضية العالمية الشائكة ، بعد نهاية الحرب ، لا يمكن ان تقاس بما كان لها من اهمية فيما قبل ذلك ، اي في خلال الفترة بين الحربين العالميتين « طوال العشرينات والثلاثينات » فالامر في هذا المجال لم يعد امر توازن في القوى ، والمصالح بين الدول الاوروبية ذات الممتلكات الواسعة ، فيما وراء البحار ، ولم يعد للاعتبارات السياسية في هذا الموضوع ما كان لها من قبل من اهمية غلابة ، تطغى احيانا على كل اعتبار آخر ، ان القضية الان قد صارت قضية عالمية بكل ما في الكلمة من معنى اي ان الاعتبارات العامة التي تشمل امن العالم كله وسلامته وتطوره هي التي اصبحت تؤثر بهذا الشان تأثيرها الجوهري القاطع ، ومن الطبيعي ان يحدث تطور من هذا القبيل في معطيات نزع السلاح كما حدثت تطورات عظيمة الشان في ميدان التسلح نفسه ، وفي كل مرافق الحياة الدولية نتيجة المرحلة الجديدة التي دخلها العالم عقب الحرب ، ان العوامل التي غدت تؤثر في مشكلة نزع السلاح تأثيرا جديا فعالا ، وتضفي عليها صيغتها العالمية الراهنة ، هذه العوامل هي متعددة بدرجة كبيرة ، ولها جوانبها السياسية والاقتصادية والتقنية والفكرية وغيرها ، فمن الناحية السياسية يلاحظ ما يلي :

1 ــ الأمن العالمي اصبح متشابكا بصورة لاتقبل الانفكاك مطلقا ، فالقوى السياسية الفعالة في العالم بما تحمله من افكار ونوايا ونزعات ــ قد اصبحت موزعة خلال كل مناطق العالم تقريبا ، ولم تعد اوربا الا منطقة واحدة من هذه المناطق ؛ فهناك الى جانب غربي اوروبا ، وهي مركز الثقل التقيدي في العالم قبل الحرب ــ هناك الان ثلاث مناطق اساسية اخرى هي قطاع الشمال الامريكي ، والشرق الشيوعي ، وقطاع الشرق الاقصى ، الذي تعمره الان القوة السياسية الصينية المتزايدة ، وثمت مناطق اخرى ذات فعالية اقل ، ولكن ينتظر ان تزداد فعاليتها في المستقبل ، بحيث تصبح ذات تأثير مباشر على مستوى السلام العالمي ، ومن هذه المناطق ، منطقة الاوقيانوس ، ومنطقة أواسط آسيا ، ومنطقة العالم العربي ، ومنطقة الجنوب الامريكي ، وهناك بهذا الصدد نقطتان جديرتان بالملاحظة : اولاهما ان تمركز القوى السياسية في العالم الراهن ، غير قار قطعيا ، فالفاعلية السياسية التي تتميز بها المناطق بعضها عن بعض ، هي في تغير مستمر ، والتحولات بهذا الشان سريعة متلاحقة ولهذا فمن المحتمل جدا ان نهاية هذا القرن يمكن ان تشهد اوضاعا جديدة في توازن القوى السياسية بالعالم من شأنها ان تثير الاندهاش الان ، وثاني الملاحظتين ان المناطق التي يمكن اعتبارها في الوقت الحاضر ذات اهمية اقل من حيث خطر شانها السياسي في العالم مثل هذه المناطق تكتسب في بعض الاحيان اهمية مفاجئة بهذا الشان وذلك حينما تصبح عرضة للتأثر بحدة المنافسات الدولية كما كان الشأن في الكونغو او تدخل فجأة في اعتبارات الامن القومي المباشر لاحدى الدول النووية، مثل ما اصبح عليه الامر بالنسبة لازمة كوبا اواخر سنة 1962، او تتعفن فيها مشكلة مزمنة تختفي وراءها مصالح واهواء دولية متشابكة كما هو الحال بالنسبة لفلسطين .

وهكذا فالامن العالمي ــ نتيجة الاحوال المتشابكة التي تسود التوازن السياسي في العالم ــ قد صار ذا حساسية مرهفة جدا ، بحيث ان المشاكل المباشرة بين الدول الكبرى لم تعد وحدها تصل الى المس بهذا الامن بل ان المناطق التي تبدو الان ذات اهمية اقل يمكن

ان تكون مجالا لانفجار التفاعلات الدوليـــة العامـة بشكل ربما تشمل نتائجه العالم عموما (1) .

هذا من الناحية السياسية ، اما من الناحيـــة التقنية ، فان قضية نزع السلاح ترتبط ايضا شديد الارتباط بالتطورات الحادثة بهذا الصدد ، فمنذ نهاية الحرب العالمية الاخيرة ، التي برزت في اواخرهـــا صواريخ (ف-2) الالمانية التي ذاقت منها انكلترا الامرين، ثم اختتمت بظهور القنبلـــة الذرية الملقاة علـــى « هيروشيما » سنة 1945 منذ نهاية هذه الحرب ما فتىء التسابق التقني على اشده بين الامريكيين والسوفييت ، كطرفين رئيسيين ، ثم مع الانجليز والفرنسيين والصينيين كاطراف ثانية ، وقد اجتاز التسابق هذا مراحل اساسيــة هي كما يلي :

ا ـ مرحلة تخلف الروس عن الامريكيين في ميدان صنع القنبلة الذرية البسيطة ، وقد امتدت هذه المرحلة من نهاية الحرب الى حوالي سنـــة 1949

ب ـ مرحلة التسابق في ميدان القنبلـــة الهيدروجينية ، وقد شملت هذه المرحلة اوائـــل الخمسينات ، وكان العمل عند الجانبين يجري في تطوير الصواريخ العابرة للقارات ، ففي نفس الوقت الذي ترامى فيه الى الغربيين انباء الابحاث الروسيــة في ميدان الصواريخ كان الغربيون انفسهم يقومون هم ايضا بنشاطهم في هذا السبيل ، فمنذ سنة 1949 والامريكيون يعملون على تطوير صواريخ (ف 2) وادى بهم ذلك الى صنع صواريخ « فيكنج » التي جربت النماذج النهائية سنة 1952 ، فاعطت نتائج مشجعة ، وكان الفرنسيون منكبون في نفس الوقت على تطوير الصاروخ « فيرونيك » بينما بلغ الروس مراحل متقدمة ، في بناء صواريخهم الخاصة .

ج ـ مرحلة التسابق نحو الفضاء : وقد بدات في اواخر سنة 1957 «اكتوبر» ولا يزال يتركـــز في نطاقها محور التسابق الستراتيجي بين الشـــرق والغرب ، وان كان التسابق هذا يكتسي لحد الان صبغة علمية مضافا الى هذا ان الطرفين ما فتئـا يعبران عن نيتهما في عدم استخدام الفضاء للاغراض العسكرية او شبه العسكرية ، على انه وان استبعد الفضاء عن مجال التسابق العسكري بين الكتلتين فقد جرت تطورات تقنية مهمة دفعت بالتكتيك الحربي اشواطا بعيدة معها الاوضاع الستراتيجية راسا على عقب ، فقد قضى تطور الصواريخ العابرة للقارات على الاهمية التي كانت تناط من قبل بالقواعد التـي تنطلق منها المقنبلات الذرية ، والمنبثة في انحاء العالم ، امـــا الان فان غواصات « البولاريس » والغواصات الروسية المماثلة لها ، قد قلصت هي الاخرى من الاهميـــة التي كانت تعطى لمحطات الاطلاق وقضت ايضـــا على احتمالات الخطر الذي تتعرض له الدولة المهجوم عليها اذا ما دمرت وسائل دفاعها من طرف الصواريخ العاديـة ، لقد كان كـل جانب يخشى انه اذا مـــا فوجىء بغزو مفاجىء يقوم به العدو ، فان هذا الغزو لابد ان يشل القدرة على المقاومة ، ورد العدوان ، لان محطات الاطلاق الصاروخي ستكون هي نفسها قـد دمرت ، ولم تعد قادرة على القيام بشيء ، ولهذا فـان الطرفين كانـــا يعتقدان ان الحرب مكسوبة في الساعات الاولى لمن يبدأ بالهجوم المفاجىء لكن ظهور البولاريس الغواصات المحملة بالسلاح النووي ، قـد قلب الاوضاع الستراتيجية من هذا النوع قلبا واسعا وبعيد المدى ، فقد اصبحت هذه الغواصـات عبارة عن محطات لاطلاق الصواريخ المحملة بالمقذوفـــات الذريـة ، ولكن هذه المحطات تمتاز بانها متخفيـــة ومتحركة ، وقابلة لاي اتجاه ولهذا ففي نفس الوقت الذي تمتنع فيه على سلاح العدو الذي لا يستطيع ان يضبطها بدقة مضمونة دائما داخل اعماق البحار ، فانها تستطيع من جهتها ان تنفذ الى اي مكان يمكنهـا من اصابة الاهداف الستراتيجية المرسومة لها داخل اراضي العدو ، واصابته هكذا بضربات انتقامية قـد تكون اشد من ضرباته الاولى المفاجئة ، وهكذا يلاحظ ان معركة التقنية ـ في الميدان الستراتيجي ـ تـدور في حلقة مفرغة قابلة للاتساع دائما، ولا يظن ان لسعتها حـدودا ممكنـة .

2 ـ ومن الجوانب الاخرى التي تذكر بهذا الصدد ، اي العوامل التي اصبح لها تاثيـر مـا في ابراز عبث التسابق نحو التسلح ، وضرورة التوصـل الى اتفاق دولي في هذا المجـال ، مـن هذه العوامل : العامل الاقتصادي والمالي وما يتعلق بذلك ، فقد دلت التقارير المنشورة اخيرا ان مجموع المصاريف العالميـة

1) لايعترض بان الحربين العالميتين الاخيرتين كان منشؤهما النزاع بين الدول الكبرى ، ولم يكن للاقطار الصغيرة شأن في ذلك ، فتلك ظروف تعتبر الآن قـد انتهت والحقيقة العالمية البارزة حاليا هي ان الـدول الصغيرة قد صارت ذات شأن في تكييف الاحداث .

فى ميدان التسلح قد بلغت سنة 1962 رقما مثيـــرا يساوي 120 مليار من الدولارات سنويا ، ثم قفزت خلال السنوات التالية لتبلغ الان ما يتراوح بيـــن 130 و 140 مليارا من الدولارات ، وتقول احـــدى نشرات الامم المتحدة بهذا الصدد(1) : انمقنبلة واحدة من القنبلات الحديثة ، يكلف بناؤها نفقات لو صرفت فى الميدان الاقتصادي والاجتماعي بالعالم فانهـــا تساوي حينئذ اجور 000 250 او تستطيـــع اقامة ثلاثيـــن كلية ، يتسع كل واحـــد منها لالف طالب ، او تؤدي الى تشيد خمسة وسبعين مستشـفى يؤوي كل منها مائة سرير مجهز على احسن النظم العصرية ، او عوض ذلك يستطاع بهـا شراء خمسين الف جـرارة فلاحية ، او خمسة عشرة الف حصادة ، وليســت الدول المتسابقة فى مضمار التسلح هي وحدها التـي تخسر كل هذه الامكانيات الماليـة الضخمة ، عـلاوة على المجهودات التنظيمية المفقدة ، والطاقات البشرية المبذولة ، والخامات والالات والامكنة التي يتطلبها كل ذلك بصورة واسعة لا تكاد تعرف لها حدود ، ان بقية العالم وخاصة عالم الدول المتخلفة ، وشبه المتخلفة يخسر هو نفسه باستمرار هذه الحالة كما تعتقـــد بذلك اوساط الامم المتحدة والمصالح التابعـة لهـا ، وتعتقده كذلك بالطبـع مختلف الدول الناميـة هنـا وهناك ، ويقوم اعتقاد دولي من هذا القبيل علـــى اساس التقديرات التاليـة :

1 — ان السباق نحو التسلح يخلق فـي العالم وضعية مليئة بالتوتر الدائم ، وهذه الوضعيـة تنتج عنها دائما احوال نفسية وستراتيجية وسياسية، يضطر معها عدد مهم من الدول الصغيرة والنامية الى مضاعفة حرصها هي ايضا على التسلح ، خوفا على سلامة حدودها او اتقاء تسرب خارجي الى داخلهـا او مجرد الرغبة فى الابقاء على توازن القوى فى منطقـة من المناطق للحيلولة دون حدوث امكانيات من هـــذا القبيل ، ومن المعلوم مقدار التضحيات الاقتصاديـــة والماليـة التي يحملها ذلك لدول فتية لا تزال فى حاجة الى استخدام كل مصادرها لاغراض التنمية والتطوير.

2 — يحدث السباق العالمي فى مضمـــار التسلح احيانا بعض الاضرار المباشرة للدول الصغيرة فى ميدان آخر غير الميدان الاقتصادي ومـا فى بابه ، فالتفجيرات النووية التي تعاقبت هنا وهنـــاك فى الشرق والغرب منذ نهاية الحرب العالمية قد سببت — بعض الاضرار المهمة لبعـض المناطـق العالميـــة وخاصة منها منطقة الشرق الاقصـى حيث كانـــت ترتفع نسبة الاشعاع احيانا الى درجة يخشى معهـا على تسمم الاسماك والمياه والمزروعات ، علاوة علـى الضرر الذي كان من شانه ان يلحق السكان لـــو استمرت هذه التجارب طويلا ، وكم كان لسياســة القواعد ومناطق التطويق للعدو — من نتائج ماساوية على الصعيد العالمي ، حيث كانت اقامة هذه القواعـد تفرض احيانا على الدول الصغيرة ان لم يكن مباشرة فبطريق غير مباشر ، وجرت احداث وتقلبـــات سياسية داخل بعض بلدان العالم الثالث ، وكـــان سببها الاساسي رغبة هذه او تلك من الدول الكبرى فى تاسيس قاعدة او المحافظة عليهـا او الحيلولة دون وقوع تطورات محتملة تؤدي الى العمل على تصفيتهـا وقد قلل حقا تطور الصواريخ والمقذوفات ذات المدى البعيد من فاعلية القواعد المبثوثة فى انحاء العالـــم ، ولكن سياسة المحافظة على الاسلحة الكلاسيكية قـــد ابقى لهذه القواعد قدرا من الاهمية موجودة لحد الان

3 — تتميز الاقتصاديات العالميـة — فى دور تطورها الراهن — بانها اصبحت فى حاجة الى التفاعل والتكامل فيما بينها ، فالاقتصاد المنغلق لم يعد لـه كبير حظ فى النمو والازدهار ، وقـد استقلـت الان معظم المستعمرات والمحيطات السابقة وقد كانت من قبل مصادر انتاج للطاقة المحركة والخامات وغيرها ، وتهفو الشعوب — المستقلة حديثا — بدورها الـى تحقيق تنمية صناعية واقتصادية عامة ، وهـــي تحتاج — فى نطاق ذلك — الى قدر غير محدود مـــن المساعدة الماليـة والتقنية والتخطيطية والا فان الفقر الذي يمكن ان يستمر طويلا بين هـذه الشعوب مـن شانه ان يبقي على حالة الاختلال فى التوازن الاقتصادي العالمـي ، وذلك ضار فى نفس الوقت بالدول النامية ، التي ستزداد معاناتها للمشاكل من كل نوع ، وضـار ايضا بمصالح الدول المتقدمة ، لان استمـرار ضعف الطاقة الاقتصادية فى اقطـار العالم الثالث ، لابد ان يحرم الاقتصاد الاوربي والامريكي وغيره من مناطق دوليـة مهمة التعامل والتبادل ، وحتى اذا مـا رغب دائما فى ابقــاء الشعوب المتخلفة مصادر انتاج للخامات فقط لصالح الصناعات الضخمة فى الغـرب وخارجه ، فان مثل هذه الحالة ، لابد ان تثيـر فى الاجل البعيد مشاكل محلية معقدة ، تتمثل فى العجز عن مواجهـــة

1) بريد اليونيسكـــو .

نتائج التضخم الديموغرافي وارتفاع الوعي الاجتماعي وما يتطلبه هذه المواجهة من امكانيات لا تطيقها الاقتصاديات البدائية كما هي في كثير من الدول النامية ، وليس لذلك من نتيجة الا استفحال للاضطرابات الاجتماعية والسياسية في الاقطار المتخلفة بكل ما لذلك من انعكاسات محتملة على الوضع الدولي ، تتضرر منها اكثر ما تتضرر الدول الكبرى والاقطار المتقدمة صناعيا .

على الرغم من التحاق الصين بالقافلة الذرية واجرائها التجارب الان نتيجة لذلك ، وعلى الرغم من امكانية التحاق دول اخرى في العالم بالركب الذري والهيدروجيني ، فان الفكر الدولي المضاد للتسلح ، قد بلغ لحد الان مرحلة ذات فاعلية ملحوظة ، فبعد الموافقة العالمية شبه الاجماعية على اتفاقية موسكو لحظر التجارب النووية « صيف سنة 1963 » وبعد الاتفاق الضمني بين الامريكيين والسوفييت حول موضوع استبعاد الفضاء ومناطق القطب الجنوبي عن الاغراض العسكرية وشبه العسكرية ، وبعد ان مرت هكذا فترة طويلة نسبيا دون ان يفكر طرف او آخر في خرق اتفاقيات من هذا النوع او تحريف مدلولها عمليا وضمنيا ، فان قضية التحديد من التسلح ، لم تعد نتيجة لذلك ، مجرد آراء تدور حولها المناقشات في المحافل الدولية ، وانما اصبحت لها صور عملية خارج الذهن ، يمكن ان تكون مقدمة لخطوات اكثر اهمية من هذا القبيل ، وتعتقد المراجع الدولية ان العوامل المضادة للتسلح من سياسية واقتصادية وفكرية وغيرها ، توشك ان تحمل الدول المعنية بالامر مزيد من الخضوع لمنطق الاشياء ، وتحقيق قدر اكبر من التراجع في مضمار السباق ، التي ما انفكت تخوضه الى حد الان ، وقد ازداد هذا الاعتقاد تمكنا في الفترة الاخيرة ، بحيث انه قد غدا يساعد على تغذية بعض الامال التي لها صلة بهذا الامر من جوانبه الانسانية والاقتصادية ذلك ان مصالح الامم المتحدة ، وبالاخص منظمة اليونيسكو التابعة للهيئة قد زادت عنايتها في الفترة الاخيرة بالامكانيات الايجابية ، التي يمكن ان يسفر عنها نزع حقيقي للسلاح في العالم بل انها قد باتت تضع التقديرات الدقيقة لما يمكن ان يؤدي اليه الامر بهذا الصدد ، من مساهمة عملية في حل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية المعقدة بالعالم ، ومساعدة الاقطار المتخلفة هكذا على توفير الموارد المالية الضخمة التي تتطلبها حلول من هذا القبيل ، وقد شرعت اليونيسكو بالفعل في محاولة سبر غور الراي العام بالبلاد المعنية حول هذا الموضوع، وهكذا ، فتحت اشراف المنظمة يجري الان المركز الاوربي لتنسيق الابحاث والمستندات المتعلقة بالعلوم الاجتماعية ـ يجري هذا المركز الذي يوجد مقره في فيينا ـ بحثا لدى الراي العام في ثلاث دول اوربية ، تنتسب واحدة منها الى العالم الاشتراكي وهي بولونيا ، وتنتمي الاخريان الى المجتمع الغربي وهما فرنسا والنرويج ، اما محور الاستطلاع الذي يجري بهذا الصدد ، فهو عبارة عن ثلاثة اسئلة اساسية ، تدور جميعها حول امكانية التجرد من السلاح ، وخاصة النووي منه ، والممكنات التي يجوز ان تنبثق عن وضع من هذا القبيل .

وسوف لا تعرف النتائج الا في خلال السنة القادمة لان القصد ليس هو مجرد الحصول على نتائج لاستفتاء عابر ، وانما يتعلق الامر بدراسة جد عميقة يراد بها معرفة كثير من الحقائق الجوهرية التي يمكن ان تساعد على وضع سياسة دولية لاستغلال نتائج التجريد من السلاح النووي على نطاق عالمي واسع ، ولا تكتفي الامم المتحدة باجراء الاستطلاعات العامة حول هذا الموضوع الحيوي من حياة العالم المعاصر ، فقد عمدت اخيرا الى تنظيم حلقات دراسية بهذا الصدد تجري ضمنها الابحاث الواسعة حول طريقة استغلال الممكنات المادية والمعنوية التي سيوفرها التجريد من السلاح الذري ، وكيف يمكن صرفها من اجل البحث العلمي ، واقرار نظام التعاون الدولي بهذا الصدد . وتجري علاوة على ذلك اتصالات بين اليونيسكو والمراكز الموجودة في كثير من الدول الاوروبية والمعنية بمشاكل السلام ، تجري هذه الاتصالات لتنسيق الدراسات المنظمة بهذا الشأن والاستفادة من نتائجها على مستوى دولي بعيد المدى .

ان الفكرة التي تحدو الامم المتحدة بموضوع نزع السلاح والامكانيات الايجابية التي يمكن استخلاصها من ذلك ، هذه الفكرة ليست كمالية او شبه كمالية ، وضروريتها ليست آتية فقط من من خطورة الحرب النووية على مستقبل الانسان بل ان ما هو اهم من ذلك ، هو صلتها بقضية التوازن المختل بين الاحتياجات العالمية في الميادين الاقتصادي والاجتماعي ، وما ينبغي فعله لتدارك هذا الاختلال قبل ان يفضي الى نتائج لعلها اخطر بكثير من مجرد قيام حرب بكتريولوجية او نووية ، وقد اشتد الحاج

مصالح الامم المتحدة على هذا الموضوع خلال السنوات الاخيرة ، وهذا من بين مظاهر التحول الكبرى في حياة المنظمة الامية ، وعلاقتها بالعالم الذي تسهر على الاسهام في اعادة تنظيمه ، وضمن هذه الحالة اصبح امام الامم المتحدة الان ، هدف جوهري تحرص على تحقيقه ، وهذا الهدف يتمثل في مساعدة مجموع الاقطار المتخلفة على تنمية دخلها القومي كل سنة ، بمعدل خمسة في المائة الى حدود سنة 1970 ، وليس من العسير على اختصاصيي المنظمة الامية ان يضعوا التخطيطات اللازمة لذلك بمساعدة الاقطار المعنية بالامر معتمدين على جملة الاحصائيات والكشوف والتقديرات المعدة لهذا الفرض ، غير ان المشكلة التي تعترض اكثر في هذا المجال هي مشكلة الموارد المالية الواسعة التي لابد من اعتمادها بهذا الصدد لتحقيق اهداف اقتصادية واجتماعية بهذه الدرجة من الضخامة ، اذ ان المقصود ليس هو العمل على تحقيق تنمية اقتصادية ، ضيقة المفهوم ، بل ان الاهداف المتوخاة ترمي الى تحقيق تطور عام يشمل اهم الميادين الحيوية كالفلاحة والصحة والتعليم والصناعة والتشغيل واعمال التخطيط والتجهيز وما الى ذلك ، وعلى المنظمات المتخصصة التابعة للامم المتحدة مهام كبيرة تؤديها في هذا السبيل ، بالتعاون طبعا مع الدول المعنية بالامر ، التي تقع عليها بدورها مسؤوليات جسيمة بهذا الصدد ، اما الموارد المالية التي يتعين اعتمادها لتحقيق الاهداف هذه فتكون — كما تقدم — المعضلة الاهم في هذا الموضوع ، وقد اشير منذ عدة سنين في تقرير نشره الامين العام الى اهمية الدور الذي يمكن ان تقوم به الجمعية الدولية للتطوير ، وهي مؤسسة تابعة للبنك الدولي وتمنح قروضا في مثل هذه الاحوال ، وهناك مؤسسات اخرى ذات صبغة دولية ، يمكنها ان تساهم في تمويل مبادرات من هذا القبيل ، غير ان التفكير اصبح يتجه منذ سنين الى انشاء بنك عالمي للتنمية علاوة على المؤسسات الاقليمية من هذا النوع كالبنك الافريقي للتنمية الذي ما اذا نجحت فكرته فانه قد يصبح مثالا لمشروعات اقليمية على هذه الوتيرة يمكن اقامتها هنا وهناك في انحاء العالم للمساعدة على الاسراع بتطوير الاقتصاديات البدائية والمتخلفة ، وتقترح الامم المتحدة ايضا — ضمن تقرير نشر منذ سنوات — الاعتمادات على رؤوس الاموال الاجنبية الخاصة في تمويل مشاريع التطور في البلاد النامية غير انه على الرغم من ضخامة الموارد التي يمكن استخلاصها من مؤسسات دولية وخاصة من هذا النوع فان مشكلة التخلف بالعالم تتطلب مواجهتها من الموارد والامكانيات ما يفوق ذلك بكثير ، وقد اقترح منذ سنوات مراجعة النظم المعمول بها في مضمار التجارة الدولية بصورة ترفع الميز الذي تعاني منه بهذا الصدد جماعة الاقطار المتخلفة ، واقترح ايضا بهذا الشان الرفع من اسعار المواد الاولية في السوق العالمية ، وهذا ما من شانه ان يمكن البلدان النامية وهي المنتجة لهذه المواد في الغالب من الحصول على مداخيل اكثر ارتفاعا تستعين بها على تنفيذ مشاريع التنمية التي تخطط لها ، وقد اخذ مؤتمر القاهرة الاقتصادي الدولي المنعقد خلال شهر يوليوز 1962 — اخذ بهذه الفكرة ودعا اليها بالحاح في احدى مقرراته ، وبحثها كذلك مؤتمر التجارة العالمي الذي اجتمع بعد ذلك في اوربا وضع مختلف الاقطار متقدمة ونامية ، وسواء في خلال جلسات هذا المؤتمر او قبل ذلك فان التفكير الدولي يتجه علاوة على هذا الى مطالبة الدول المتقدمة صناعيا ، وهي في الغالب دول اوروبية وامريكية — بتخصيص نسبة من دخلها القومي تتمثل في واحد في المائة من هذا الدخل لمساعدة المجهود الدولي المبذول ضد وجود التخلف في العالم . غير ان مما يلفت النظر في هذا المقام ان المتطلبات الستراتيجية والسلاحية التي تفرض نفسها على الدول الكبرى في الشرق والغرب ، تستنزف بالفعل قدرا كبيرا من الدخول القومية لهذه الدول ، وهذا من شانه الا يؤثر فقط على طاقتها المالية الاساسية بل انه يختزل كذلك من قدرتها على الاسهام في المعركة المضادة للتخلف في العالم ويجعل استعدادها الذاتي لتحمل نتائج هذه المساهمة اضيق نطاقا مما يتصور ، وقد ازداد اهتمام اوساط الامم المتحدة بهذه القضية الحيوية ، وابرز اهميتها الامين العام الحالي في احد تقاريره الرسمية ، ومنذ اتفاقية موسكو لسنة 1963 اتسعت الامال بهذا الشان وازداد الاعتقاد في امكانية التوصل لاقرار نظام دولي لنزع السلاح النووي والنظر بعد ذلك في احتمال الاتفاق على تصريف بعض النفقات المخصصة للتسلح في تنفيذ المشاريع الانمائية الدولية ، وعلى الرغم من تجمد الوضع الدولي بهذا الصدد منذ 1963 وعدم تحقق اية خطوة ايجابية بعد ذلك في موضوع نزع السلاح فقد عرفت بداية الصيف الحالي مبادرة مهمة قامت بها الولايات المتحدة في هذا الموضوع ، فقد دعت فيه الى اعادة عقد مؤتمر جنيف للدول السبع عشرة من جديد ،

وذلك للنظر في امكانية توسيع الحظر الدولي على التجارب النووية وجعل هذا الحظر يشمل ايضا حتى التجارب تحت الارضية ، وقد كانت هذه مستثناة من اتفاقية موسكو لسنة 1963 واحتمال الوصول كذلك الى اتفاق دولي حول منع انتاج المواد المؤدية الى صنع اجهزة عسكرية نووية ، ومحاولة العمل على عرقلة انتشار السلاح النووي في العالم عن طريق الحيلولة دون ان تستطيع انتاجه دول اخرى غير الدول النووية الحالية ، هذا الى مسائل عديدة من هذا القبيل ، وقد عبرت بريطانيا والسوفييت عن وجهات نظر من هذا النوع ، الامر الذي يمكن من الاعتقاد بان مفاوضات دولية جديدة حول توسيع نطاق الحظر الدولي على انتاج الاسلحة الذرية يمكن الا تطول وتتعقد كثيرا ، بالشكل الذي جرت عليه الامور فيما مضى اثناء مؤتمرات جنيف قبل التوصل الى اتفاقية موسكو لسنة 1963 .

والعالم ، وخصوصا العالم المتخلف يعنيه جدا نوع المصير الذي تنتهي اليه سياسة التسلح او عدم التسلح الدولي ، وقد ساهمت الدول الحيادية كثيرا في اعمال مؤتمرات جنيف السابقة ، وكانت خلالها عاملا ايجابيا ملحوظا ، غير ان عناية الدول المتخلفة والحيادية بامر نزع السلاح ليس صادرا عن مجرد رغبتها في حفظ السلام الدولي العام فقط ، بل ان عنايتها بمصير سلامتها الذاتية كذلك له دخل كبير في الامر ، وعلى هذا فهناك نقطتان اساسيتان لابد من مراعاتهما في كل سياسة دولية من هذا القبيل لكي تؤدي الى بلورة ارادة دولية جماعية ، تحافظ على هذه السياسة وتقوم كاطار لاستمرارها حية فعالة ، فهناك اولا ضرورة العمل على تحديد نشاط المغامرين الدوليين الذين — وان كانوا لا يستطيعون انتاج السلاح النووي بمواردهم الخاصة — فان من الممكن جدا انهم يبذلون جهودا غامضة ويرومون طرقا ملتوية لامتلاكه على شكل من الاشكال ، وذلك لتنفيذ اغراض توسعية ضد العرب مثلا او ضد غيرهم من الامم تحت ستار التهديد النووي وما في نوعه « اسرائيل مثلا » اما النقطة الثانية فتتعلق بالصلة الضرورية بين نزع السلاح وقضية التخلف في العالم ، فهناك تلازم دقيق بينهما وان كان غير بارز سطحيا ، والا فهل يجدي النجاح في اقرار نظام دولي لنزع السلاح بحيث يؤدي ذلك الى تصفية عوامل التوتر في العالم الموجبة للتسلح دون القضاء على وجود التخلف الذي هو عامل رئيسي في تعقد جو الاضطرابات النفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية داخل كثير من النقط الحساسة بالعالم والقابلة للالتهاب باسرع ما يمكن ؟ وقد كانت الولايات المتحدة من بين الدول التي المت كثيرا بهذه الحقيقة فكان من ذلك برامج المساعدة الدولية كبرنامج النقطة الرابعة ، ومشروع التحالف من اجل التقدم ، وغير ذلك من المبادرات التي — بغض النظر عن نجاحها او عدمه فانها تدل في عمومها على حالة الاقتناع باهمية العامل الاقتصادي والاجتماعي في تكييف مصير العالم نحو الارتباك او الاستقرار ، الا ان التطور الذي وقع او يجب ان يقع بهذا الشأن هو الخروج بسياسة المشاريع هذه من نطاق اقليمي كامريكا اللاتينية مثلا والتعاون في اقرار سياسة لتصفية التخلف على اساس عالمي شامل ومتكامل ، والذي يبدو واضحا ان الموارد المخصصة للتسلح اذا ما تحررت نتيجة التوصل لنزع محتمل للسلاح ، فانها يمكن ان تسهم في انجاح سياسة انماء عالمي من هذا القبيل ، واذا كان غير ممكن — عمليا — صرف الموارد هذه كلها من اجل التنمية العالمية فان قسطا من هذه الموارد الضخمة يمكنه ان يؤدي دورا مهما في هذا المجال ، والواقع ان سياسة من هذا النوع لا يمكن ان تعتبر مجرد عبء ثقيل على الدول المتقدمة لا غير ، فهي — اذا ما نجحت واصابت اعترافها الانمائية العالمية ، فان من شأنها ان تخلق حالة من الازدهار الاقتصادي على مستوى العالم كله ، تستفيد من نتائجه مختلف الدول الكبرى والصغيرة على السواء .

سلا — المهدي البرجالي

خواطر حول العدد الماضي :

من الديوان إلى الميزان

للأستاذ : محمد عبد الواحد بناني

— النقـد الادبـي تقييـم ...
— والنقد الادبـي تقديـم ...

والنقد ـ قبل ذلك وبعده ـ عمل فني لا يراد به الهدم بل البناء ، ولا يراد لذاته ، بـل لغايـة ساميـة هي الكشف عما في العمل المنقود من جوانب الحـق والخير والجمال فيجليها ويشيد بها ، وعما قد يكون في هذا النص من انحـراف سـواء في الشكل او في المضمون فينبه عليها في رفق واناة .. والناقد بهـذه العملية المزدوجـة يساعد كلا من منشيء النص وقارئه على السواء ، فنقده بالنسبة للمنشيء اشبه ما يكون بالمرآة التي ينعكس عليها انتاجه ، واضح التقاسيـم ، جلي التقاطيع ، فتتراءى لـه مواطن التوفيق في عمله الفني فيحاول في المستقبل دوام استغلالها ، وتظهر له ايضا جوانب الضعف فيه فيعمل على معالجتها .

واما بالنسبة للقاريء فلا شك ان النقد يعينـه على تفهم النص ويفتح عينيه على ما يكمن فيه مـن خصائص سواء من حيث الفكـرة او الشعـور او الاسلوب ..

وما من شك في ان النقد بهذا المعنى يعـود باعظم الفائدة على الجنس الادبي الذي ينتمي اليه النص المنقود ، اذ بذلك يتبلور هذا الجنس في اذهان جمهرة القراء والمتادبين ، وتصبح اصوله وقواعده العامـة اكثر وضوحا ونضجا وبالتالي اسهل فهما وتناولا .

ويدل تاريخ مختلف الاداب العالمية على انه ما من مدرسة او حركة ادبية كتب لها الازدهار يومـا ما الا وكان النقد من العوامل الرئيسية والاكثر اهميـة في هذا الازدهار ، فلولا ما اثيـر حول شعر ابي نواس وبشار مثلا في الشعر العربي من نقد ما كان لنزعـة التجديد التي راداها ذلك التاثير العميق في الطابـع العام الذي طبع الشعر العربي ايام العباسين سـواء في المعنى او المبنى . وكذلك الشأن فيما ثار من نقد حول شاعرية ابي تمام والبحتري والمتنبي والمعري وما كان لذلك النقد من تاثيـر في شعرهم وذيوعه وقل مثل ذلك في موقف النقاد امثال طه حسيـن والعقـاد والمازنـي من شعر حافظ وشوقي ومطران ، وموقف مدام دي ستايل وصالونها من الحركـة الادبيـة الابداعية في اوربا ، واثر ذلك على الفن المسرحـي ـ اصوله وقواعده ـ بصفة خاصـة .

على ان النقد من ناحية اخرى لا ياتي بمثل هذه النتيجة الايجابية الا اذا كان موضوعيا منتجا متجـردا لا اثر للتحامل الشخصي فيه ، وذلك لا يتحقق الا اذا جهد الناقد جهده في ان يجرد مـن نفسه قاضيـا نزيها يرى النص المنقود بعين الفن كمـا يـرى القاضي القضية بعين القانون ، على الرغم من ان التجرد الكامل من الذاتية في النقد غير ممكن على الاطـلاق ، وان للانطباع الشخصي والمزاج الخاص بالناقد اثره فيمـا يصدره الناقـد على النص المنقـود من احكام بسبب ان العلاقة التي تربط بين انتاج الاديب ونقد الناقـد علاقة تنبني في جوهرها على عملية التاثيـر والتاثر ، وهي عملية نفسية في عمقها وابعادها ، اما دور الفكر فيها فجانبـي .

على اساس هذا الفهم البريء والنزيه لمدلـول « النقد الادبي » قبلت من حيث المبدا فكـرة نقـد ديوان العدد الماضي من هذه المجلة ، راجيا ان ينظر الى صنيعي هذا بهذا المنظار ، والا يتنكب به هذا الاطـار .

ذلكم انني ما عرفت ادباء قوم ينفعلون بالنقـد ويثورون له كما عرفت ادباء قومي ، وبالتالي ما عرفت

انحراف قوم عن النقد المنهجي المنتج كما عرفت انحراف كثير من نقاد قومي ، والايات على كل ذلكم كثيرات متعددات ، ينطق بها الكثير مما يصدر فى مغربنا العزيز من صحف ومجلات .. الا فليفسح ادباؤنا الافاضل صدورهم لكل نقد نزيه ، وليتوخ نقادنا ايضا فيما ينقدون اصول هذا الفن ومناهجه ، فان فى ذلك وحده انتعاش الحركة الادبية بالمغرب ، والسير بها قدما نحو النهوض والازدهار .

يحتوي ديوان العدد الماضي « العدد السادس والسابع من السنة الثامنة 1384 ـ 1965 » على مختارات من الشعر العربي القديم بعنوان : « لا .. ونعم .. » للمثقب العبدي وعلى سبع قصائد لشعراء معاصرين ..

ولابدا بالمختارات ، وكلامي عنها سيتناول الفكرة من حيث المبدا ، ثم قصيدة المثقب العبدي من حيث الشكل ثم من حيث المضمون .

فاما فكرة نشر مختارات شعرية بالمجلة فانا شخصيا من المعجبين بها المتحمسين لها سيما وان المجلة تخصص لها اطارا جميلا وخطا انيقا يجعلها اشبه ما تكون بلوحة فنية تانقت فى عملها يد صناع اضف الى ذلك الجو النفسي الذي تخلقه بسبب انها وسيلة لبقة وذكية لنقل القارىء من جو « الابحاث والمقالات » التي يغلب عليها طابع التفكير والموضوعية والجفاف الى جو الشعر حيث عالم الشعور المرهف والتعبير الرشيق والخيال المجنح .

واما من حيث الشكل فقد وقع خطئان فى ضبط هذه القصيدة حيث ضبط مستهل البيت الخامس هكذا « واعلم ان الذم نقص للفتى » فى حين ان القواعد العروضية تفرض ضبطه هكذا : « واعلم آن الذم .. الخ والا سقط الوزن ، وحيث ضبط البيت التاسع هكذا ؛

فتعزيت خشاة ان يرى جاهل اني كما كان زعم

فى حين ان الاظهر هو ضبط « يرى » فى البيت بالبناء للمعلوم لا للمجهول ، والفرق بين المعنيين واضح تمام الوضوح .

اما من ناحية المضمون فاعتقد ان مجلتنا الغراء سوف يحالفها التوفيق اكثر لو انها لم تتقيد بالنزعة التعليمية التهذيبية فى مثل هذه المختارات ، وتوخت فيما تختاره المقطوعات الشعرية التي توفرت فيها اسباب الفن الشعري ـ وما اكثرها فى الشعر العربي قديمه وحديثه ـ لتكون تلك المنتخبات نموذجا يحتذى واثرا يقتفى سيما وان الذوق الفني فى العصر الحديث قد ارهف فى الشرق والغرب ، واصبح معه الشعر ذو النزعة الانسانية الصرفة من حيث المضمون اسمى وارفع انواع الشعر على الاطلاق .

ولاشرح ما اقول بطريقة عملية ، تعالوا نتذوق كلا من الابيات الاولى من هذه المختارات بصفحة 111 من المجلة وهي :

لا تقولن اذا ما لم ترد
ان تتم الوعد فى شيء « نعم »
حسن قول « نعم » من بعد « لا »
وقبيح قول « لا » بعد « نعم »
ان لا بعد نعم فاحشة
فبلا فابدا اذا خفت الندم
واذا قلت نعم فاصبر لها
بنجاز القول ، ان الخلف ذم

ثم نقلب الصفحة فنتذوق الابيات الاولى من قصيدة الاديب الممتاز والشاعر الموهوب الاستاذ عبد المجيد بن جلون بعنوان « محمد » ص 112 حيث يقول :

اذا خيم الليل فوق القصور
ولم يبق فى هذه الارض نور
وغابت عن الافق حتى النجوم
ولم يبق فى الارض غير الوجوم

فلا تياسوا من صباح منير ولا تياسوا من الاه رحيم

السنا نجد ان الابيات فى كلتا القصيدتين وان اشتركت كلها فى ظاهرة الوزن والقافية فقد افترقت فى امور :

منها ان المعاني فى الابيات الاولى اشبه ما تكون بمعاني خطب الوعظ والارشاد التي يغلب عليها طابع « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » بينما المعاني في الابيات الثانية ـ على الرغم من ان موضوعها ديني ـ قد هذبتها الشاعرية الموهوبة ، فهي تدغدغ عاطفتنا بدلا من ان تقرعها ، وتنساب فى روحنا ومشاعرنا بدلامن ان تغزوها وتجرحها، ومنها ان الاسلوب فى الابيات الاولى خطابي مباشر منطقي يخاطب العقل قبل الشعور بصيغة « افعل » و « لا تفعل » مما يجعله اقرب الى الاسلوب العلمي الرياضي بينما الاسلوب فى الابيات الثانية شاعري

مجنح يخاطب العاطفة والعقل بواسطة الكلمة الموحية ذات الظلال وسحر الخيال .

نعم : قد يقول قائل ان القياس بين شعر العبدي وابن جلون قياس مع فرق عظيم هو اختلاف ما بين الشاعرين من عصور ، والجواب على ذلك اننا ما دمنا بصدد الكلام على «مختارات» من الشعر فقد طوت المسافة بينهما وحدة الفن ووحدة الشعور !!

* * *

وننتقل الان الى الكلام على قصيدة الاستاذ ابن جلون بعنوان « محمد » .. وموضوعها ـ كما يوحي به عنوانها وتنطق به ابياتها ـ « الرسول «ص» واثر رسالته في بني الانسان » .

والقصيدة تصوير رائع لحالة البشرية وما كانت عليه من جاهلية وظلم واستبداد ووثنية والحاد قبل بعثة الرسول عليه السلام ، وكيف انبرى عليه السلام من بين القاعدة الشعبية ـ من بين رعاة المواشي ـ يحمل الى الانسانية رسالة النور والهدى والايمان، رسالة الطمانينة الخالدة والسعادة والسلام ، ثم ما لاقته هذه الرسالة من حرب الطغاة وكيد العتاة ، وكيف كسب المسلمون في النهاية الجولة ، واستطاعوا باتحادهم ان ينصروا الدين ويقيموا الدولة .. ثم يختم الشاعر قصيدته بهذا النداء الحار الذي يحمل اكثر من مغزى ويدل على اكثر من معنى :

فيا ايها المنقذ المجتبى
محمد ، صوتك مثل الصدى
يشق الى الناس ماضي القرون
ويرشدهم من وراء السنين

فهل انت مرشدهم للهدى ليهدوا كما فعل الاولون

والعاطفة الغالبة على القصيدة هي عاطفة الاكبار والاجلال للدور الذي قام به الرسول واصحابه في انقاذ الانسانية من ويلات الجاهلية ، والتفاؤل بان دعوة الرسول وتعاليمه خليقة بان تعود من جديد فتنتشل هذه الانسانية المعذبة الان مما هي فيه من ويلات ، وتقودها الى طريق الهدى ، طريق الايمان والمحبة والسلام ؛ وعلى الرغم من ان الموضوع العام الذي تعالجه القصيدة قد طرق عدة مرات منذ بعثة الرسول عليه السلام حتى الان الا ان ميزة هذه القصيدة العظمى في نظري هي طريقة المعالجة اي الاسلوب :

فقد بنى الشاعر قصيدته بناء محكما وفق مخطط مرسوم اوحى به صدق التجربة الشعورية عنده مما جعل للقصيدة وحدة مترابطة الحلقات متلاحمة الاجزاء ، فالبيت يسلمك الى البيت بطريقة تلقائية لا اثر للتكلف والمعاناة فيها ، وتحس وانت تنتقل من الجزء في القصيدة الى الجزء الذي يليه ان الشاعر يسكب من روحه في روحك ومن مشاعره في مشاعرك ويتحدث الى قلبك وعقلك دون ان يتوسل الى ذلك بما يتوسل به الشعراء عادة في مثل هذا الموضوع وهو اللجوء الى الكلمات الطنانة والالفاظ الرنانة والى الاطناب والمبالغة بالاضافة الى البكاء والعويل عندما يتكلمون على مصير الاسلام والمسلمين.

والفرق بين الطريقتين عظيم جدا : ذلكم ان الطريقة التي سلكها الشاعر « تؤثر » بينما الاخرى « تثير » وميزة التاثير انه ينفذ الى الاعماق ويعانق الشعور واللاشعور ، بينما الاثارة في الغالب تطفو فوق السطح ، وعمرها قصير جدا لانه محدود بالزمان والمكان .

ثم ان النفس تميل الى الاسلوب الهادي المقنع المؤثر منها ـ عادة ـ الى الاسلوب الصاخب المفتعل المثير ، وفي حدود هذا الاطار ايضا تتجلى روعة الفن ايضا وجماله وجلاله .

اما قبل : فقد قرات قصيدة الاستاذ ابن جلون عدة مرات قراءة فحص ونقد وتمحيص ، وعيرتها في كل مرة بمعيار الفن والذوق متمنيا ان اجد فيها سيئة من السيئات او هفوة من الهفوات فانبه عليها تمشيا مع المنهج النقدي الذي قيدت نفسي به حتى لا يقال عن عملي هذا انه اقرب الى المدح منه الى النقد ولكنني اصارح القراء الافاضل انني ما وجدت فيها غير اصالة الفن وزنا وفكرة واسلوبا ولغة وتخطيطا ، ولا بدع فادب الاستاذ ابن جلون في القمة ، وشاعريته الموهوبة ترشحه كدليل من اقوى الدلائل وانصعها على ان مغربنا العزيز بخير ، وعلى ان به من الادباء والشعراء ـ على ندرتهم ـ من يعد في الصف الاول من بين ادباء وشعراء العالم العربي في العصر الحديث ان لم يكن في العالم اجمع .

واما بعد : فتتلو قصيدة الاستاذ ابن جلون بالعدد الماضي قصائد الاساتذة الشعراء عبد الكريم التواتي بعنوان : « ادرك بفضلك يا مختار امتنا » والمدني الحمراوي بعنوان « معركة الوادي » وعبد

المالك البلقيثي بعنـــوان « غادة افران » وادريــــس الجاي بعنوان «هواجس ضمير» وجليلة رضى بعنوان « اغنية الشاعر » ومحمد احمد حيدر بعنوان «صور من بلادي » وهي ست قصائد تحتل خمس عشـــرة صفحة كاملة من صفحات المجلة ، وكلها من عيـــون الشعر العربي المعاصـــر .

وقد كان في نيتي ان اوفي كل قصيدة منها حقها من النقد والتحليل ولكن ما اخذت به نفسي من التزام المنهجية في النقد من جهة ، وضيق المجـــال عن ان يتسع لمثل هذا العمل من جهة اخرى ، حملاني علـــى الاجتزاء بهذا القدر ، مكتفيا بنقد « المختـــارات » والقصيدة التي تلتها حسب الترتيب الذي وضعتـــه المجلـــة . .

ان نقد ست قصائد في رايي ــ بالاضافة الـــى المختارات والقصيدة التي تلتهـــا ــ ليـس يفي به مقال واحد ، لان التجربة الشعورية في كل قصيدة منهـــا تختلف عن التجربة الشعورية في غيرها من القصائـــد ومثل ذلك يقال في كل من الموضوع والعاطفة والاسلوب والايقاع . . وان من التجني على الثقافة والادب والنقد جميعا ان يكال القول فيها جزافا دون تمحيص ونفاذ الى الاعماق واهتمام بالتفاصيل والجزئيات ، وذلـــك ما انزه قلمي عنه ، واعترف ان مجال هذا المقال وحده لم يتسع ولن يتسع لـــه .

واذا كانت دراسة وتحليل ثمان قصائد ــ وهي ديوان هذا العدد من المجلة ــ قد تأبت على هذا المقـــال لان اصول النقد تأبى ذلك ، فان من باب اولى واحرى ان يكون نقد العدد كله وهو يشارف عادة المائـــــة والخمسين صفحـــة مشكلـــة الالوان مختلفات اكثـــر تأبيا وادخل في باب ارتجال الاحكام منه في باب التقييم والتقويم والنقد السليـــم .

الربـــاط ــ عبد الواحد بناني



الجامع المقرب، النافع المعرب

ترجمة مغربية لكتاب فلكي بالفرنسية في ثلاث مجلدات

تعريف الأستاذ : محمد المنوني

مقـدمـــة :

اصل هذه الترجمة كتاب لفلكي فرنسي جوزيف لالانـــد LALAND وقد وضعه بالفرنسية في علم الفلك الحديث ، ثم عربه جماعة من التراجمة تحت اشراف السلطان العلوي : محمد الرابع .

ويدخل تعريب هذا الكتاب فى نطاق الحركـة الانبعاثية التي حاولها محمد الرابع منذ كـان خليفـة اوالده بعد (موقعة ايسلي) وقـد شملت ميادين العسكرية والاقتصاد والعلوم (1) ويهمنا هنا الجانب العلمي من هذه الحركة ، فقـد اهتم الامير الشاب بالعلوم الرياضية كأساس جذري للانبعاث الـذي ينشـده .

وقد كان هو نفسه على درجة من الثقافة فـي عدد من فروع المعرفة ، بما فى ذلك العلوم الرياضية ، التي درسها على ضابط مهندس فرنسي كان يعمل في بلاط والده : وصار يحمل اسم « عبد الرحمن العلج » بعدما دخل للاسلام (2) ويذكر البعض (3) ــ فى شيء من التردد ــ اسم استاذين مغربيين للامير فى بعـض هذه العلوم الرياضية ، وهما الفلكيان : علي بن محمد بن عبد الواحـد الزجلي ثم الفاسـي (4) ، والحـاج محمد بن الطاهر الحبابي الفاسي (5) .

وهناك آلة اخترعها هـذا الاميـر لاستخـراج المطالب التوقيتية ، ووضع في طريقـة العمـل بهـا رسالة سماها : (نخبة الملوك ، لمن اراد الى الاوقـات او للقبلة السلـوك) ، ولا تزال هذه الآلة غير معروفة، وانما الموجود هو الرسالـة التي وصف فيهـا هـذه الآلـة هكـذا :

(.. اخترعت شكلا ثابتا شافيا كافيا لمن صنف قبله فى العروض . والسموت . والجهات . والميول . والظلال . والارتفاعات . والاطـوال . والاوقـات . والقبلـــة) .

ثم ذكر تكليف بعض اصحابه بصنع هذه الآلـة طبق تصميـم وضعه لها :

(فلقنت عمله المختصر البديع الافخم ، للطالب امحمد الادخم (6) المتعين من بعض حذاق اصحابنـا

---

1) توجد امثلة لهذا الانبعاث الثلاثي فى (مظاهـــر يقظة المغرب الحديث) مجلـة « تطـوان » العـدد الثانـــي ــ سنــة 1957 م .

2) الاعلام ، بمن حـل بمراكش واغمـات مـن الاعـلام) القاضي عباس بن ابراهيـم ج 2 ص 267 ، وانظر عن ترجمة عبد الرحمن العلج نفس المصدر : القسم المخطـوط .

3) هو الحاج العربي المشرفي فى « الحسم المشرفي » نسخة الخزانـة العامـة بالرباط ، ضمـن مجموع يحمل رقـم ك 2276 .

4) فى «تذكرة المحسنين» خ. ع. ك. 270 ــ لـدى تعداد وفيات عام 1265 هـ ــ جاء ما يلي : (وصاحبنا الفقيه الميقاتي المعدل المهندس عـديم النظيـر ، السيد علي بن الفقيه سيدي محمد بن عبد الواحد الزجلي) وفي ظهير للسلطان محمد الرابع ان قبيل هذا يعرفون بأولاد ابن تمو ــ (اتحاف اعـلام النـاس) لابن زيـدان ج 3 ص 366 .

5) ترجمته فى « السلوة » ج 2 ص 360 .

6) لم اقـف على ترجمتـــه .

فى ذلك ، اينتج منه آلة على نحو الاشارة ، فاتقها وطرزها واتقنها ، ففاقت « الرومية » الاتية من هنالك (7) ، وقد اسفرت عن وجه التحقيق اللثام ، وتحت الشمس ينسكب الغمام) .

والرسالة مرتبة على مقدمة ذكر فيها من خاض في العلوم النجومية من الاعلام ، وحكم الاشتغال بها ، وقد جعله تعتريه الاحكام الشرعية الخمسة ، مع استعراض ادلة الجواز ، وبعد هذا تخلص لموضوع الرسالة ، واخذ يذكر طرق استعمال هذه الالة فى المطالب التوقيتية .

والمعروف — لحد الآن — من هذه الرسالة ثلاث نسخ : الاولى : فى « المكتبة الاحمدية » بفاس ، والثانية: فى « المكتبة العبد الرزاقية » بمراكش ، والثالثة : في « الخزانة العامة » بالرباط ، وهي تحمل رقم د 266 وتقع في سبع صفحات ، مسطرة 20 ، مقياس 230 / 175 — خط مغربي جميل ملون ، خال من تاريخ التاليف والنسخ ، ويلاحظ ان النسخ الثلاثة كلها خالية من رسم الالة المخترعة .

والى جانب هذه الثقافة فى العلوم الرياضية ، فقد شجع الامير الشباب الاشتغال بهذه العلوم ، ويذكر ابو اسحاق ابراهيم التادلي (8) ان سلطان وقته جبر احد اعلام الميقات والتعديل بفاس « المكي الجنان » على تعليم هذه العلوم للطلبة ، فكان — على حد تعبير أبي اسحاق — ان (رحم الله المسلمين بعد انقطاع هذه العلوم من فاس) ، وهكذا يسجل هذا العالم الرباطي احياء هذه العلوم من طرف سلطان وقته ، وهي شهادة لها قيمتها ، حيث ان صاحبها يدلي بها فى معرض الحديث عن اساتذته الذين درس عليهم بدون ان يكون يكتب تاريخا برسم ملك ، او يقصد تزلفا ، وبهذا تؤيد هذه الشهادة ما اكده — في هذا الصدد — مؤرخ معاصر (9) حيث يذكر ان السلطان محمد الرابع احيا ما اندثر بالمغرب من العلوم ، كالحساب والتعديل والهندسة والنجوم

وقد كان بعث هذه العلوم يبدو فى احياء تدريسها بمختلف المساجد المغربية وملحقاتها ، وبمدرسة المهندسين التي كان مركزها بالمدرسة المرينية داخل القصر السلطاني بفاس الجديد ، وهذا موضوع سيدرس — على حدة — فى فرصة مقبلة باعانة الله تعالى .

وكذلك وقع بعث تلك العلوم بالترجمة الى العربية ، وهذا ما سيتحدث عن مظاهره فيما يلي :

الجامع المقرب ، النافع المعرب :

هذا هو العنوان الذي وضعه السلطان محمد الرابع للترجمة المغربية التي نتناول حديثها ، واول ما يلاحظ فى هذا الصدد : ان اسم المؤلف الاصلي للكتاب المترجم غير وارد لا فى مدخل هذا الكتاب ، ولا في مقدمة الترجمة ، وانما جاء آخر المجلد الاول : (تم السفر الاول من كتاب لالاند) ، ولا شك انه يقصد به الفلكي الفرنسي الشهير « جوزيف لالاند » من اهل باريز 1732 م 1145 هـ — 1807 م 1223 هـ .(10)

كما يقصد بالكتاب : التاليف الذي وضعه هذا بالفرنسية فى علم الفلك الحديث ، وجعله حسب الارصاد الجديدة ، وعلى حساب خط نصف النهار المار بباريز .

والمؤلف يذكر فى مدخل الكتاب انه ثمرة لخدمة اربعين سنة ، ولكل ما تحصل من علم الفلك منذ 2500 سنة ؛ كما ان تقدم هذا العلم افاده افكارا كثيرة وجديدة ومبتكرة فى هذا الصدد .

فلما راى الناس مفتقرين الى تاليف موسع في هذا العلم ، اقدم على جمع ما كان مشتتا من محصول علم الفلك فى كتاب واحد ، بدون ان يترك شيئا اصلا من فروع هذا العلم المتسع المجال ، حتى يسد الفراغ البادي فى المؤلفات القليلة السابقة ، وحتى يمهد الطريق لطلاب هذا العلم ، وقد اجتهد فى توضيحه لتتأتى قراءته بدون شيخ يدرسه ، ولا شارح يشرحه .

وهو قد اعرض فيه اعراضا كليا عن المسائل القليلة الاهمية ، ولكنه اهتم بالمسائل التي لها تاثير اعم فى باقي التاليف ، وكذا فيما كان جديدا قليل المعلومية .

وحسب هذا المدخل — ايضا — فان الكتاب ظهر فى ثلاث نسخ :

---

7) لم اقف عليها .

8) يوجد هذا ضمن كناش بمكتبة العلامة الجليل محمد بن بوبكر التطواني بسلا ، حيث وقفت عليه اثناء سنة 1374 هـ 1955 م .

9) هو ابن المواز فى « المقالة المرضية ، فى الدولة العلوية » نسخة بالمكتبة الملكية بالرباط رقم 493

10) المنجد فى الادب والعلوم ص 457 .

الاولى سنة 1764 م 1178 هـ

الثانية سنة 1771 م 1186 هـ في ثلاثة اجزاء ، وقد ترجمت الى بعض اللغات، ونقل زيجها الى اللسان التركي .

الثالثة : هي هذه التي يتحدث عن ترجمتها وقد كان رصدها الاخير سنة 1793 م 1208 هـ .

ومن تتبع ابواب هذا التاليف ، يتبين انه ــ بعد المدخل ــ يتكون من 24 كتابا تشتمل على 4200 مسالة :

الكتاب الاول : في اصول علم الفلك
الثاني : اصالة علم النجوم واخباره .
الثالث : الكواكب الثابتة وصورها
الرابع : في مبنى علم الكواكب ، ويقصد بهذا : المباحث الاصلية التي لها تاثير في باقي هذا التاليف
الخامس : في مذهب العالم ، والمراد بالعالم هنا سائر الافلاك . وبه ينتهي المجلد الاول
السادس : في علم الكواكب
السابع : في القمر
الثامن . حصة الجوامع
التاسع : في اختلاف المنظر
العاشر : في استخراج الخسوفات
الحادي عشر : مرورات الزهرة وعطارد على الشمس
الثاني عشر : انكسار الاشعة التنجيمي
الثالث عشر : آلات التنجيم
الرابع عشر : في العمل بالالات وكيفية تعاطي الرصد ، وبه ينتهي المجلد الثاني
الخامس عشر : عظم الارض وشكلها
السادس عشر : وهو مشتمل على حركة الاقبال، واختلاف المنظر السنوي للثوابت ، وتغير الميل الكلي ، والتزحلق الخاص بكواكب مختلفة
السابع عشر : حركة النور والمحورين
الثامن عشر : علم الفلك الخاص بالسدماء او التوابع
التاسع عشر : ذوات الذوائب
العشرون : استدارة حركة السيارات وكلفها
الواحد والعشرون : حساب الفضيلة والمتممة مطبقا على علم الفلك
الثاني والعشرون : الثقل والقوة الجاذبة
الثالث والعشرون : وهو في التريغونو مطرية : الخطية والكرية
الرابع والعشرون : كيفية استخراج مسائل علم الفلك بالحساب بواسطة الارصاد ، برا وبحرا .

* * *

هذا هو التاليف الذي قام بتعريبه جماعة من التراجمة تحت اشراف محمد الرابع ، وتم تعريبه ــ حسب آخر السفر الثالث ــ في 28 رمضان عام 1268 هـ 1851 م

ويجدر ان نذكر هنا ان هذا الامير كتب مقدمة الترجمة العربية ، وادرجها فيما بين مدخل الكتاب والباب الاول ، وفيها يذكر حكم النظر في علم النجوم ، ويبين قيمة الكتاب المعرب ، كما يتحدث عن ترجمته تحت اشرافه ، واصطلاحات الترجمة ، ثم يختتم بتسمية هذا الموضوع ب (الجامع المقرب ، النافع المعرب) ، وهذا ما يهم من مقدمة الترجمة العربية :

« .... اما بعد : فيقول العبد المتوكل على الله ، المعتصم في جميع اموره بمولاه ، محمد بن امير المومنين ، وخليفة رب العالمين ، مولانا عبد الرحمن بن مولانا هشام ....

انني لما نظرت في هذه العلوم الرياضية ، التي منها الحساب والهيئة والهندسة ، وهي ابراز الحساب من الكم الى الكيف ، وابراز الهيئة من القوة الى الفعل ، وغايتها المجسطي ، وجدت الوقوف على كنه التحقيق المحض منها لايكون بمجرد التقليد فيها ...

ولما كان ذلك لابد فيه من الرصد للاجرام العلوية ، ومشاهدة امكنتها من افلاكها ومقادير حركاتها في الازمان المختلفة ، وكان الرصد المذكور في بلادنا وزماننا متعذرا او متعسرا، ولكن ما لايمكن كله لا يترك كله ــ بحثنا من اجل ذلك ــ لاجرم ــ كل البحث عن اقرب الارصاد الى زماننا ، فوجدنا كتابا حفيلا عجيبا جامعا لكل ما يحتاج اليه الناظر في هذه الصناعة، بحيث لايتوقف على غيره من الاوضاع ، ناهيك من كتاب لايدرك وصفه الواصف بمقاله ... مع ما اعتمده مؤلفه والتزمه من التحرير البالغ غاية الغايات .. والتوقيف على كل الغويصات وكشف الخفيات ، وتاييد المسائل بالحجج الواضحة اليقينية ، والاشكال الهندسية ، والامثلة العددية ، والاقيسة الجبرية ، ورد الفروع الى اصولها .. ثم اخذ ما وافق العيان والرصد الجديد ، والغاء ما دون ذلك .. الا انه باللسان والقلم الاعجميين ، لان مؤلفه رومي من اهل

بارز (كذا) ، وكان رصده الاخير سنة 1793 بالتاريخ المسيحـــي .

وكان من فضل الله علينا ان حضرتنا العالية بالله تعالى ، قد احتوت على جماعـة وافـرة ، ممـن آوتهم ظلال دولتنا الشريفة المنصورة الظافرة ، ربيناهم في خدمتنا احسن تربية ، وصفيناهم لاقترابنا اكمل تصفية ، واطلعناهم لمكان التخصيص على اسرار هذه العلوم ، وغذيناهم من جنى هذه الفنون باطيب الطعوم، حتى اصبحت حضرتنا العزيزة كعبة النجباء الحذاق ، ومطافا للعلماء من جميع الآفاق : مـن كـل عـارف بالالسنـة والاقـلام ، متهيىء لاكتساب الكمـالات بالاستعلام ، فامرناهم بتعريب الكتـاب المذكـور ، واخراجه من الظلمات الى النور ، فصرفوا كل عنايـة الى ذلك ، ودابوا عليه آناء الليل واطراف النهار مـدة مديدة ، مع معاناة اكيدة ، ومشقة شديدة ، وكـل ذلك بمرأى منا ومسمع ، ومحضر لنا ومجمع ، تعرض علينا كل يوم مخرجاتهم فنبالغ لها بالتنقيح والتصحيح، ونرجح منها ما هـو داع الى الترجيـح ، حتى بـرز ـ بحمد اللـه ـ في احسن الصور واجملهـا ، واتـم الوجوه واكملها .... فاذا علمت هذا ، فاعلم انـنـا ترجمنا هذا الوضـع المبـارك ب : « الجامع المقرب ، النافع المعـرب » .

لم تكن هذه الترجمة معروفة من قبل ، حتـى ظهرت بالمكتبة الملكية بالرباط ، التـي تتوفـر على نسختين اثنتين : الاولى تامة ، وهي تحمـل رقـم 2682 وتقع في ثلاثـة اسفـار :

الاول : به ورقات 409 ، منها 16 ورقة في مدخل المؤلف ، وثـلاث ورقـات ـ تقريبـا ـ في مقدمـة الترجمة ـ خط مغربي حسن ملون مجدول مصحح بالهوامش ، مـع فراغ في اكثـر الجـداول ، وبياض الصفحـات .

الثاني : به ورقات 309 ـ خط مغربـي لاباس بـه ملون مجدول مصحح ـ يسيرا ـ بالهوامش ، مع بياض في بعض الصفحات .

الثالث : به ورقات 272 ـ خط مغربي لاباس به ملون مجدول مصحح بالهوامش ، مع بياض في بعـض الصفحات . مسطرة الاسفار الثلاثة 29 ، مقياسهـا 220/330 ، وهي ـ كلها ـ عارية عن تاريخ التاليـف والنسـخ .

النسخة الثانية : تشتمل على السفرين : الثاني والثالث ، وتحمل رقم 5405 ، بها رسوم في الصفحات البيضاء في الثاني والثالث من النسخة الاولى ، ويذيل سفرها الثالث بتاريخ الفراغ من الترجمة : 28 رمضان عـام 1268 هـ .

❋ ❋ ❋

وبعد هذا نعيد النظر في مقدمة الترجمة ، لنرى فيها التعريف بقيمة التاليف المترجم في دراسة علـم الفلك الحديث ، وسنجد تاييدا لهذا التنويه بنفس التاليف يقـوم به فلكي مصري : هو الشيخ حسيـن زايد ، مؤلف (المطلع السعيد ، في حسابات الكواكب على الرصد الجديـد) فقـد جـاء في خطبـة هـذا الكتـاب «11» :

(وكان الاعتماد في اخذ غالب اصوله على زيـج لالند الشهير ، لما فيه من الدقة وزيادة التحريـر) .

وهذا كله يجعل لتعريب تاليف لالاند ، اهميـة بالغة بالنسبة لزمنه وما قرب منه ، ولو اعيد النظـر في هذا التعريب ونشر في عصره ، لكان المغرب اسـدى الى رجال الفلك العرب يدا لن تنسى ، وهنا لا اتمالك ان اتسـاءل ـ ومعي بدون شك عدد من القراء ـ عـن السبب الذي حال دون مراجعـة هـذه الترجمـة ونشرها ، على مسيس الحاجة لها حينئذ .

وهناك اهمية اخرى لهذه الترجمة حيث انها تقدم مثالا ناطقا لاحد مظاهر الانبعاث العلمي الذي حاولـه محمد الرابع ، وفوق هذا فان مقدمة الترجمة تمدنـا بتلميحات عن نشاط العلوم الرياضية في بلاط الاميـر الشاب ، الذي صار (مطافا للعلماء من جميع الآفاق : من كل عارف بالالسنة والاقلام) ومن سوء الحظ ان لا يعرف لحد الان ـ وبالضبط ـ ولا واحد من هؤلاء العلمـــاء .

اما قيمة هذه الترجمة من الناحية اللغوية فهذا ما يتركه هذا المقال لمن يهمه الامر من المتضلعين فـي اللغتيـــن .

الرباط ـ محمد المنوني

«11» ص 3 ط . المطبعة البارونية بمصر ، عـام 1304 هـ .

أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي

للأستاذ : محمد بنشريفة

- 2 -

اما نشاطه فى خدمة الدولة اثناء هذه الحقبة فلا نجد منه الا رسالة طويلة كتبها عن اهل العدوتين جوابا عن كتاب الخليفة الرشيد اليهم بوصول بيعة تلمسان (1) وقد جاء فى هذه الرسالة بعد الدعاء الحضرة والاطناب فى وصف مزاياها ومفاخرها وتقرير الطاعة والولاء لها ووصف الكتاب الوارد ، ان الطلبة والجماعة والكافة من اهل رباط الفتح وسلا قد دعوا الى سماع هذا الكتاب فى المسجد الجامع يوم جمعة فابتهجوا به (وعرفوا منه اتيان بيعة تلمسان عفوا بلا تعب ، وابتداء دون طلب ، وهي البلدة العتيقة ، والروضة الانيقة ، جمعت محاسن المدائن منها في مدينة ، واشتملت على اكمل عدة ليومي حرب وزينة ، حشوها السلاح والكراع ، وفاخر متاعها لا يضاهيه المتاع ، وقد كانت قديما نات بجانب ، واومات عن الانقياد بوعد غير كاذب ، واولياء الله بكظمها آخذون ، وللهوينى فى امرها منابذون ، وبصائر اهل هذا الامر العلي كسيوفهم محشودة ، والعهود عليهم بالصبر في مواطن الجلاد ماخوذة ، فما اذعنت الا بعد ان ظن انها ماء نضب ، بل ذماء ذهب ، وها هي الان قد لبت قبل النداء ، واستحبت فضيلة الابتداء ، وجاءت وهي عروس عليها حليها ، حسانة (2) احسن جلاءها وليها ، هذا والسيف مقروب ، والخطى لم تهز له كعوب ، والخيل ما ارداها سير ولا اضناها ركوب) (3) .

---

1) كان صاحب تلمسان يومئذ الامير يغمراسن بن زيان من بني عبد الوادي وكان يدين بالطاعة للموحدين وقد اشار ابن خلدون فى العبر ج 2 ص 111 ط الجزائر الى استئلاف الرشيد الموحدي له بانواع الالطاف والهدايا عام 637 هـ اما اخوه يحيى صاحب بغية الرواد فقد جعل تاريخ هذه الهدايا في سنة 639 هـ (بغية الرواد ج 1 ص 112) وهذا التاريخ الاخير هو الذي يتلاءم مع رسالة ابن عميرة هنا ، ولعل وصول بيعته التي تتحدث عنها هذه الرسالة كان عقب الهدايا المشار اليها ، اما مؤلف الدر والعقيان الذي يتعصب فى كتابه كثيرا لبني عبد الوادي فقد زعم ان يغمراسن استقل بالملك ايام الرشيد واشار الى هدية الرشيد اليه وقال انه لم يجبه الى ما دعاه اليه من الدعاء له والخطبة باسمه (نظم الدر والعقيان مخطوط المكتبة العامة بالرباط ورقة 31)

2) يقال رجل حسان وامراة حسانة بضم الحاء ؛ ومنه قول الشماخ :

دار الفتاة التي كنا نقول لها
يا ظبية عطلا حسانة الجيد

3) الرسائل 239 مخطوط 233 .

ثم يضف فرح أهل العدوتين بهذه البشرى ويختتم الرسالة بالدعاء للخليفة وقد تسلك فى هذا الباب ايضا رسالة توصية اصحبها جماعة من سكان الرباط كانوا قد تأخروا عن بيعة الخليفة المعتضد الذي خلف اخاه الرشيد جاء فيها : (والواصلون بهذه العجالة جماعة اخلصوا من كل شوب ، ولبسوا من الامانة والزكاء اطهر ثوب ، وكانوا تاخروا عن وفادة البيعة السعيدة بعذر عذر الرخصة ، ومنع انتهاز الفرصة ، وقد استأنفوا الآن روية ، وجددوا لقضاء ما فاتهم نية) (4) وهكذا نرى ان ايام ابن عميرة في رباط الفتح على عهد الرشيد قد تميزت بشيء من الاستقرار جعله يستدعي اليه اهله واخوانه كما اشرنا الى ذلك ، كما ان الخليفة المذكور كان ينجز المطالب التي يرفعها اليه بمعونة اصدقائه فى الحضرة كابي الحسن الرعيني الذي اصبح بعده من كتاب الرشيد وهو يعترف بفضله عليه اذ يقول : (وفى هذه الايام عرضت لي مسائل على المقام الامامي الاشرف ايده الله فخرج التوقيع عليها بقضاء جملتها وكان من الفقيه الاجل المعظم كاتب الخلافة الاعلى ابي الحسن الرعيني وصل الله تعالى رفعته فيها ما تملكني ، وعلى العجز عن شكره تركني) (5) ويقول فى رسالة اخرى: (وكانت لي مسائل بعثت فيها رقاعا من قبلي جاءني امس كتابه بانها قضيت وانه بها على الوصول ان شاء الله تعالى) .

ولما مات الخليفة الرشيد سنة 640 هـ خلفه اخوه ابو الحسن علي الملقب بالمعتضد ويلقب ايضا بالسعيد ، وقد اقر ابن عميرة على عمله وبعث اليه خطابا فى هذا المعنى ، ويشير ابن عميرة الى هذا الخطاب فى رسالة فيقول : (وورد بعدها الخطاب الامامي الكريم زاد الله مصدره شرفا ، وابقى بحر كرمه ونعمه مغترفا ، بالاقرار الذي اشار اليه في جانبي اكرم اشارة ، والبسني من نباهة الذكر اجمل شارة ، وطوقتني منة نزلت سهلها فآواني ، وتناولت سجلها فارواني ، ونهضت بجدها والايام تطلب عثاري، وحاربت بحدها فادركت عندها ثاري) (6) . وقد كان هذا الاقرار بمسعى من وزير المعتضد ابي زكرياء يحيى بن عطوش الذي كان يعطف عليه ، ونجد ابن عميرة يمدحه بقصيدتين مطلع الاولى :

نأت عنك من اكناف وجرة دورها
وقد افلت بعد الطلوع بدورها (7)

ومطلع الثانية :

عرضت له عين الظباء فلم يصد
وبدا له ماء العذيب فلم يرد (8)

وفي هذه القصيدة نراه يشكو الى الوزير من وشايات بعض خصومه وذلك اذ يقول :

مولاي والشكوى اليك لها مدى
انا فيه ان ارعيتني سمعا مجد

انبئت بعض الوافدين وكلهم
همج اتى افكا بما لا يعتقد

ولو انهم في رتبة الحساد لم
انكر وقلت سواي قبلي قد حسد

لكنهم كرهوا الكمال لنقصهم
كالشمس تكره ضوءها عين الرمد

واذا نفى الفضل الاراذل عن فتى
فبه على التحقيق شاهدهم شهد (9)

حالي اليك رفعتها وعليك ان
تنتاشها من كف دهر مضطهد (10)

4) الرسائل ص 100 مخطوط 232
5) مخطوط الاسكوريال رقم 520 ورقة 101
6) الرسائل ص 84 مخطوط 232
7) انظرها فى الرسائل ص 37 وما بعدها مخطوط 233
8) انظرها فى الرسائل ص 84
9) هذا ينظر الى بيت المتنبي المشهور :
واذا اتتك مذمتي من ناقص
فهي الشهادة لي باني كامل
10) الرسائل ص 84 مخطوط 233

ولا نعرف شيئا عن طبيعة هذه الوشايات التي سعى بها خصومه ، ويبدو انهم من الوافدين الاندلسيين ، وقد كادوا له ايضا عند قاضي القضاة بمراكش ابي اسحاق المكادي فكتب اليه ابن عميرة رسالة يتنصل فيها مما اتهم به ، وقد حذا فيها حذو ابن زيدون فى رسالته الجدية المعروفة ، وسآتي على ذكرها اثناء الكلام على ادبه ، ولعله تحت تاثير هذه الحالة النفسية كتب رسالته التي يشكو فيها سوء حظه مع خطتي الكتابة والقضاء وهي رسالة يذكر في اولها شرف خطة الكتابة وما يصيب صاحبها من مكروه احيانا وما ينشا بين الكتاب من حسد ، وفيها يصف اخلاق حملة الاقلام من اهل زمانه فيقول : (فاما حملة ارقمه ، المتساقون بكاس علقمه ، فما اكثر ما سمعنا ان بعضهم على بعض عدا ، وقاده الى الهون والردى ، ان القاه على الشط اغرقه ، او وجده واهن الربط اوثقه ، ومتى رآه مستمسكا حطه ، وان مر به متنفسا غطه ، شبهوه بصل والصلال اشباههم ، وحذروا لعابه وهو مما تمجه افواههم ، وذكروا نحوله ومن منى بهم انحل ، واسكنوه معهم وجارهم عنه برحل) . ثم ينتقل بعد ذلك الى وصف حظه مع خطة القضاء وهذا الجزء من الرسالة مهم من حيث انه يشير الى بعض المتاعب التي لقيها ابن عميرة من اهل سلا وموقفهم من الجالية الاندلسية وهو يصف سلا واهلها بعبارات صريحة فى الهجاء وينعتهم بالتعصب وعدم الرضوخ الى احكام القضاء فيقول: (وظن ان سلا سلو عن الانكاد ، وعلو على الاضداد ، وساحة فيها ارب ، وراحة ليس معها تعب ، واذا بها وهي عجوز تحمل تيه الملوك ، وتستعمل زينة الهلوك ، اطلال كاحاب اهلها دارسة ، واوحال كطبع خلقها نجسة متجانسة ، كل يطلب الحكم على هواه ، والميل اليه عن سواه ، ويقول مخالقي يجب ان يعصى ، ومن اقضيته انا كيف لايقضى ، والقضاة وانا هادي عميانهم ، ووادي رعيانهم) (11) ثم يذكر كيف كان اهل سلا ينظرون الى الاندلسيين على انهم دخلاء وكيف كانوا يعاملونهم فيقول على لسانهم : (وانتم معشر الاندلسيين دافة دفت ، (12) ومادة جفت ، وفقع (13) عن اهله بان ، ونبت فى غير ارضه هان ، وما نحسبكم الا خشاشا ، لايجد مغارا ، وخفاشا اطير نهارا ، فالمهاجر الينا يجد الاوس والخزرج ، ويركب الملجم المسرج ، هذا اذا ارض الحسب واهله ، وستر بعلمنا جهله ، فاما ان عدا طوره ، وجفا زوره ، وتهاون بخلافنا ، ولم يحفظ مآثر اسلافنا ، ففرخه قبل النهوض مصيد ، وزرعه من قبل ان يهيج حصيد) ، كما ذكر فى هذه الرسالة ما كان يقع بينه وبين احد المفتين من اهل هذه المدينة فقال (والثان فى الاهلب العثنون ، الابله في علم الفروض والمسنون، اذا خنقته العبرة وارهشته الكبرة ، وحضره المحكوم عليه يقول ظلمت فانظرني بتقواك ، وانصرني بفتواك ، ويقص عليه قصته وقد حشاها بهتانا ، وضم اليها ايمانا ، تخرج بمنساته يهدج ، وفي سوءته يهملج ، حتى اذا قيل له القصة كيت وكيت ، وليست كما حكى ولا على ما حكيت ، قال فهلا دعاهم الى صلح يوقع البينونة ، ويرفع عنا هذه المونة ، واسمع طلاق الزوج ومبلغ عدده ، وخروج الرجعة عن يده ، فقال كان هذا اول طلاق وقع فى الاسلام ، واغضى عنه خيار الحكام ، فهو يغضب للشرع وهذا دينه ، ويدعى نصرة الحق والشيطان قرينه) (14) .

يبدو من هذا ان حياة ابن عميرة فى العدوتين لم تخل من متاعب كبعض ما رأينا ، ويبدو ايضا ان وشايات خصومه قد وجدت اذنا مصغية من الخليفة الجديد المعتضد ولا سيما بعد ان قبض على الوزير ابي زكرياء بن عطوش (15) الذي كان يدافع عنه ، وهكذا لم يلبث ان نقله من قضاء الرباط وسلا الى قضاء مكناسة ، وقد كان هذا النقل عامل تحول في اتجاهه السياسي اذ انه فقد الامل في دولة الموحدين بالمغرب واصبح يتطلع الى آفاق الحفصيين في افريقية

---

(11) لقد ردد ابن الخطيب بتوسع هذه النعوت التي الصقها ابن عميرة بسلا واهلها في مفاخرته المعروفة بين مالقة وسلا ، ولا يستبعد ان يكون ابن الخطيب قد اطلع على هذه الرسالة وانتفع بها في مفاخرته المشار اليها ، انظرها فى كتاب مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب للدكتور العبادي .

(12) يقال دفت عليهم دافة من الاعراب اي قدمت عليهم جماعة يدفون للنجعة وطلب الرزق .

(13) الفقع : هي البيضاء الرخوة من الكماة ويضرب بها المثل فى الذل فيقال : اذل من فقع القاع .

(14) الرسائل ص 195 وما بعدها مخطوط 233 . وفى قضية الطلاق التي يشير اليها خلاف بين الفقهاء. انظر على سبيل المثال باب الطلاق من كتاب بداية المجتهد لابن رشد .

(15) البيان ج : 4 ص 435 .

منتظرا سنوح الفرصة المواتية ، وكانت المدة التي قضاها في مكناسة محفوفة ببعض المكاره ، فقد الم به رمد آل الى جرب في عينيه ، وهو يصف ذلك في رسالة الى صديقه ابي الحسن بن قطرال الذي كان قاضيا يومئذ بفاس فيقول : (والحال ما يسره لولا بقية من الرمد آلت جربا ، ولم تبق في الكتابة اربا ، وقيل لاحيلة في طرده ، الا بجرده ، وحسبت ان الامر قريب ، وان المجتهد مصيب ، فاذعنت لعامل لايدري الابقاء ، وقائل لايحسن الالقاء ، فاذا الدم يسيل ، والجد يستحيل ، وهمزة الحديد لايدخلها التسهيل ، ونفمته في الجفن منها الخفيف والثقيل ، ومرت بي ساعة كلها فظاعة ، وانا الان في ورطة احتماء ، وتاطة مدت بماء ، (16) والله يرزقنا العافية ، ويجنبنا الخطوب العادية) (17) كما نجده في رسالة اخرى رفعها الى الامير ابي العباس الموحدي يهنئه بولاية سلا يشكر من الخصاصة والفقر فيقول : (هذه ايد الله المولى بنت فكر بكي ، وخاطر فطر على عي ، ثم لم تزل به الايام حتى ابدت صبابته ، واستشفت صبابته ، وتركته نظما شتيتا ، وذا عسرة لا يملك بيتا) (18) وقد ذهب ابن عبد الملك الى ان ابن عميرة غير صادق فيما يدعيه في هذه الرسالة ووصفه بالتهافت على حطام الدنيا والتظاهر بالاستجداء ورقة الحال واستدل على ذلك بالحادثة التي وقعت له في طريقه من مكناسة الى سبتة حيث نهب له من ماله ما يقدر باربعة الاف دينار عشرية (19) وهي الحادثة التي سنشير اليها بعد قليل .

ومهما يكن فان لهجة التشكي واضحة فيما بقي لنا من رسائله التي كتبها في مكناسة ومنها هذه الرسالة التي وجهها الى السيد ابي العباس الموحدي في حق شاعر اندلسي يدعى : ابا عبد الله بن خالص زاره في هذه المدينة واراد الرجوع الى كنف السيد المذكور ، ونقتبس منها للدلالة على حاله في مكناسة ما يلي : (ثم طوحت بي وبه الطوائح ، واياس من خير القليب الماتح والمائح ، ورمت به الاقدار هذا المغرب وعينه حمئة ، والواحد فيه تعتوره من الخطوب مائة ، وبعد ان شارف هنالك نضرة العود ، وجاوز حضرة الجود ، بدا له ان يتبقل بعد الجميم ، ويتنقل في هذا الاقليم ، وحل هذا البلد فلولا ذرية بعضها من بعض ، وبقية من حسب خالص وكرم محض ، جادته سماؤها والارض هامدة ، والاكف جامدة ، لكان اضيع من مغن وسط ، واضيق مجالا من حية في سفط ، ونعم ما قيل :

كناس مكناسة بيض الظبا
ظباؤه محمرة عادية

وساحة الانس بها اصبحت
عاقية لولا بنو العافية (20)

اما بنو العافية هؤلاء فهم بيت كبير قديم ينتمون الى الامير موسى بن ابي العافية الذي قام على الادارسة ، وقد اشتهر منهم اعلام في عصور مختلفة (21) ولعلهم هم الذين عناهم في رسالة اخرى حين قال : (وسار وسنى الشعرى متالق ، والثريا ابن ماء محلق ، والمشترى قد ابدى صفحته ، والجو قد اهدى نفحته ، حتى الم بسور مكناسة ، فاحرز الخلاصة وخلف وراءه الكناسة ، ثم دخل المدينة بسلام ، ونزل بها على سادة اعلام ، سكنوا دارا عليها مسحة من ديارنا ، ونفحة من رندنا وعرارنا ، وحبذا ما ذكر بالاندلس ، واي ركاز لمن ظفر منه بالخمس) (22) .

وقد اقدم ابن عميرة اثناء توليه قضاء مكناسة على عمل يعتبر من اخطر المواقف في حياته وذلك اسهامه في محاولة فصل هذه المدينة عن دولة الموحدين وجعلها تابعة للحفصيين وكتب في ذلك بيعته المشهورة

---

16) التاطة : الحماة ، وهذا مثل يضرب لفاسد يقرن بمثله لان الحماة اذا صب عليها ماء زادت فسادا .
17) الرسائل ص 121 مخطوط 232 .
18) الذيل ج 1 ص 91
19) الذيل ج 1 ص 91
20) الرسائل ص 159 مخطوط 232
21) انظر تراجم بعضهم في جذوة الاقتباس لابن القاضي وهو منهم ، وسلوة الانفاس للكتاني والروض الهتون لابن غازي في مواضع مختلفة
22) الرسائل ص 171 مخطوط 232

الى ابي زكرياء الحفصي باسم سكان مكناسة ، ولا بـد لنا قبل تحليل اسباب هذه البيعة ونتائجها من الاشارة بصورة موجزة الى ظروفها العامـة .

كانت مكناسة والجهات الغربية بصفة عامة قـد اصبحت في ذلك الوقت عرضة لهجمات بني مرين الذين كانوا يبسطون نفوذهم على المغـرب الشرقـي وكانت دولة الموحدين تنهار يوما بعد يوم على حيـن كان نفوذ الحفصيين آخذا في الانتشار ، فبعد مـوت الرشيد الموحدي سنـة 640 هـ بادرت عـدة جهـات اندلسية ومغربيـة كاشبيلية وسجلماسـة وسبتـة وطنجة والقصر الكبير بتقديم بيعتها وطاعتهـا لابـي زكرياء الحفصي ، وفي هذه الاثناء سنة 643 هـ قامت ثورة في مكناسة تزعمها ابو الحسن علي بن العافيـة احد اعيان البلد وقتل عامل الموحدين فيها (23) ولمـا كان هذا الثائر عاجزا عن الدفاع عن المدينة فقد طلب خاصتها الى الامير ابي يحيى المريني ان يحميهم مـن السعيد الموحدي (خلال ما ياتيهم امر السلطان مـن تونس ومدده (24) واقتضى نظر ابن عميرة حينئـذ ان يكتب البيعة باسمهم الى ابي زكرياء وكان ذلك يوم الجمعة الموفى عشرين لربيع الاول من سنـة ثـلاث واربعين وستمائة كما جاء في آخرها (25) وهذه البيعة هي من حيث الشكل كسائـر بيعاته التـي سنتحدث عنها في مكانها فهي تحتوي على ديباجة في الحمـد والدعاء والرضى ثم تتكلم عن اختلال الامور في المغرب واتفاق اهل مكناسة من كافة الطبقات على مبايعـة الامير ابي زكرياء وولي عهده الامير ابي يحيى وممـا جاء فيها قوله يذكر سبق مكناسة الى الدخول فـي طاعة الحفصيين : (ومكناسة هي التي ولجت من هذا الباب ، واسرجت وليل الخطـوب مرخـى الجلباب ، ورات فرجة الفرصة فنصت ، وقيد اليها في يد القهر ، واترها من عوادي الدهر ، فاقتصت ، وعلم اهلها انـه لايصلح مع التقصير عذرة ، ولا تقبـل بعـد الفتـح هجرة) (26) ولمـا انتهى خبر هذه البيعة الى السعيد الموحدي شرع في الحركة بجيش عظيم فخاف اهـل مكناسة من العواقب وبعثوا اليه صلحاءهم وعلماءهـم معلنين توبتهم وراغبين في العفو عنهم ومقسميـن انهم لم يوافقوا قاضيهم على كتابة البيعة المذكورة وقد جددوا بيعتهم من انشاء الكاتب ابن عبـدون فعفـا عنهم (27) ونجد ابن عميرة بعد ان رفع الحصار عـن المدينة يكتب الى صديقه ابن خلاص الذي كان ايضا قد اعلن بيعته للحفصيين وهو يشرح له في هـذه الرسالة بعض ظروف الحادثة ويعده بمشافهته فـي الباقي ويرجو منه ان يسهل له اسباب السفـر الـى سبتة(28) وقد كانت ايام هذهالمحنة من اهول ماشهده في حياته وصفها في احدى رسائله فقـال : (كـانت الحياة منغصة ، والقيم مسترخصة ، وعيون الاوجال محدقة ، ومخايـل الاحـوال ، لارجافات الانـزال ، مصدقة) (29) وكتب عنها بعد التحاقه بسبتة يقول: (وكان اخوكم في هذه المدة الماضية ، قـد تداولتـه المكاره ، وقرىء عليه من آيها المحكم والمتشابه ، وبعـد استقراره بمكناسة ، تتبعته فيهـا اعـراض جمعت النذالة والخساسة ، دنـا منهـا الفشوم في اقامتـه ومسيره ، ثم حبسه عنها حابس الفيل موكوب نظيره، ولكن كانت روائمه تاتي سرى وتاويبا ، وتتناول بعيدا وقريبا ، حتى رمى الزمان في رجله فشلت ، ووطـيء القهر رقاب رومه فذلت ، وانصرف ينظر الى المنون، ويعثـر في ذيـل الهـون ، وانتظمت مكناسة في سلك الطاعة ، وقسم الامر في اهلها على الاشاعـة ، ولحـق اخوكم بهـذه الوزارة وصـل الله علاءهـا ، واحسن جزاءها ، فاولت كل بر لايتسع وقتي لذكـره) (30) وهو في هذه الرسالة يطلق لسانه في شتم الخليفـة السعيد الموحدي فيصفه بالفشوم ويشبهـه لسواده بابرهة الحبشي كما يشير الى اعتماده في جيشـه على فرقة الروم المرتزقـة

هـذه هي بعض الظروف العامـة التي احاطت ببيعة مكناسة ويخيل الي ان ابن عميرة الذي كان في

---

23) الروض الهتون ص 13
24) العبـر مجلـد 6 ص 619
25) الرسائل ص 95 مخطوط 233 وابن عـذارى ج 4 ص 446
26) الرسائل ص 97 مخطوط 233
27) ابن عذارى ج 4 ص 451 والعبر مجلد 6 ص 619 والروض الهتون ص 13
28) الرسائل ص 44 مخطوط 233
29) المصـدر نفسه ص 44
30) الرسائل ص 145 مخطـوط 233

امكانه ان يترك هذه المدينة اثناء الفتنة قد اندفع الى المشاركة في هذه المغامرة تحت تاثير بواعث مختلفة منها انه (لم يزل منذ فارق جزيرة الاندلس معمور الخاطر بالتخلص الى افريقية) كما يقول ابن عبد الملك (31) وقويت لديه هذه الفكرة عندما لم ينل الحظوة الكافية عند الموحدين ، فلما سنحت له هذه الفرصة راى ان ينتهزها خدمة يتقرب بها قبل سفره الى الحفصيين ، ومنها ان معظم الاندلسيين كانوا قد نفضوا ايديهم من الموحدين واعتبروهم مسؤولين عن ضياع بلدهم وولوا وجوههم شطر الحفصيين في تونس مؤملين منهم ان يعملوا على انقاذها واسترجاعها ولعل ابن عميرة يعبر عن هذه الفكرة حين يقول من قصيدة يحث فيها ابا زكرياء الحفصي على الاستيلاء على المغرب ويشكو اليه حال الاندلس :

والمغرب الاقصى على غسق به
واقاه منك سنا الصباح المسفر

كلمته انياب الزمان وما شكا
داء ابن داية (32) غير ظهر الادبر

والامر فيه قد انقضى الا لقى
يكفيه منك تناول بالخنصر

ولارض اندلس اليك بحالها
شكوى الهشيم الى السحاب الممطر

سقمت بعبّاد المسيح وانها
في ان تكون مسيحها لا تمتري

رحماك فيها من اخيذة اذؤب
يزري بقسوتها زئير القسور

وبفوتها يقوى القياس فسق الى
ابطاله نص الجياد الضمر

واجبر قناة الدين فيها بالذي
يقص العدو من القنا المتكسر (33)

ونجد له ايضا قصيدة اخرى فى مدحه يشيد فيها باعمال الحفصيين ويهجو الموحدين وفيها كذلك يشير الى مبايعة سبتة وسجلماسة له فيقول:

وارى البلاد ولا لعا لعثارهم
رمقت اقالتهم بعين القالي

ودعا بذات البحر (34) داع للهدى
لم تعد ان ولته وجه موال

سعد المجيب بها وبالك باعثا
منها جوابا كان قبل سؤال

حسناء اغلى مهرها من لم يزل
مد كان يرغب في النفيس الغالي

واتتك ضرتها (35) فكان صداقها
بالنقد من نعماك لا بالكالي

سدت من الصحراء جيدا اذ رات
من تلك جيدا هو باسمك حالي (36)

هذا ولا نستبعد ان يكون ابن عميرة في موقفه هذا قد تاثر بسياسة صديقه ابن خلاص حاكم سبتة ان لم يكن قد اتخذه باشارة منه فقد كانا على صلة مستمرة وكانت بينهما مراسلات عديدة .

تلك هي فيما يبدو الاسباب التي دفعته الى كتابة هذه البيعة التي كانت عاملا مهما فيما وقع بعد ذلك من احداث تاريخية فاصلة ، فقد احتدم على اثرها الصراع بين الموحدين والحفصيين ، وتبلور موقف بني مرين وبني عبد الوادي الذين كانوا يتارجحون فى اول امرهم بين الجانبين ، واستعد كل من الخليفة المعتضد الموحدي والامير ابي زكرياء الحفصي للقاء حاسم وكتب لهما ان يموتا قبل ان يلتقيا ، وبموت المعتضد ذهب كل امل فى بقاء دولة الموحدين بينما ازداد الحفصيون عظمة وقوة ودان لهم بنو مرين وبنو عبدالوادي مدةمن الزمن بالطاعةالاسمية.

---

31) الذيل ج 1 ص 91
32) ابن داية : هو الغراب نسب الى داية البعير وهي فقارته لوقوعه عليها اذا دبرت
33) الرسائل ص 3 مخطوط 232 وص 5 مخطوط 233
34) يقصد بها سبتة .
35) يقصد سجلماسة
36) المصدران السابقان

هذا وقد كان ابن عميرة يتردد على مدينة فاس اثناء مقامه بمكناسة وقد ترجم لـه ابن القاضـي في جذوة الاقتباس باعتباره من الاعلام الذين دخلـوها ، ويستفاد من رسالة له صادرة من فاس انشاها جوابا على كتاب من بعضهم انه كان يقعد للاقراء والتعليـم بهذه المدينة وكان يقصد بذلك ارتياد الانس وتنفيس ما بـه من كرب ويقـول في ذلك : (وذكـر سيـدي ما فاوضه فيه فلان بعد ان اخذ في طريق انصافـه ، ووصفه بالمحمود من اوصافه ، من ان ابنه يحضـر عندي فيمن غره مني سراب الفـلاة ، او شـراب ما نضب من القلات (37) وما يقال في وقت يظن بـه ان المعلى له كرم ، (38) والحباحب معه ضرم ، وانما هي ساعات يطلب لكربها تنفيس ، ويرتاد في وحشتهـا انيس) ، ثم يشير اشارة خفيفة الى الحالة العلمية بفاس يومئذ فيقول : (والبلـد وقاه الله فيه اعيـان وجلة ، وطلبة هم بهالته اهلة ، وما كنت اظن ان هـذا الزمن المحرج يلد امثالهم ، ويبنـي لاحـد ما بنـى لبـسم) (39)

وقد بقي ابن عميرة في مكناسة بعـد حادثـة البيعة ينتظر الفرصة المواتية للانتقال الى سبتة فلما قتل المعتضد الموحدي سنة 646 هـ ، اختتم هذه الفترة وخرج من مكناسة قاصدا سبتة (40) وبينما هو يغـذ السير الى هذه المدينة شاء له سوء طالعه ان يلقـى جمعا من بني مرين فسلبوه وكل من كان معه ، وقـد كتب فيما بعد رسالة الى صديقه الرعيني يخبره بهذه الحادثة ويذكر له ان المنهوب من ماله يعدل اربعة آلاف دينار عشرية ، وفيها ورق وعين وحلي (41) ويبـدو انه فقد فيها ايضا كتبه التي ظل يمني نفسه بالعثـور على ما اسارت الايام منها (42) وهكذا اصيب اديبنـا في ماله وهو احوج ما يكون اليه في حال من الغربـة وذهاب الشباب ، ودخـل سبتة خـاوي الوفـاض ، بادي الانفاض ، بيد ان همة صديقه ابن خلاص نهضت به من كبوته ، اذ انه قربه منه واحسن اليه كما يعترف هو نفسه بذلك في بعـض رسائلـه ، وقـد مكث في سبتة متصلا بصاحبها ابن خلاص المذكور وكان هـذا الرئيس الاندلسي قد اقتنى الاموال واصطنع الرجال كما يقول ابن خلدون (43) وتكونت حوله حاشيـة تتالف من بعض الشعراء والكتاب الاندلسيين مثـل الشاعر الاشبيلي المشهور ابن سهل (44) الذي اصبح شاعر دولته ، وكانت حضرته زمنا مقصد بعض الاعلام كابي الحسن الرعيني الذي كتب عنه مـدة قبـل ان ينتقل الى بلاط الموحدين في مراكش وابي عبد اللـه ابن الجنان وابي الحسن الششبي وابي الحسن بن زنون الذي صنف له كتابا في مشاهير الخيل (45) كما لجـأ اليه بسبتة بعض الرؤساء الاندلسيين الذين غلبوا على امرهم وسلبوا ملكهم في الاندلس كابن الرميمي الذي كان وزيرا لابن هود ثم اميرا للمرية وحين غلبه ابـن

---

37) القلات : النقرة في الصخرة او الجبل وفي المثل « ابرد من ماء القلات »

38) يشير الى قـول الشاعـر :

لعمـرك مـا نسب المعلـى
الى كـرم وفـي الدنيـا كريـم
ولكـن البـلاد اذا اقشعـرت
وصـوح نبتهـا رعـي الهشيـم

39) الرسائل ص 164 / 165 مخطـوط 232 .

40) الذيل ج 1 ص 91

41) المصدر نفسـه ، والاحاطة ج 1 ص 185

42) الرسائـل ص 68 مخطـوط 232

43) الرسائـل ص 145 مخطوط 233

44) العبـر مجلـد 6 ص 614

45) يشتمل ديوان ابن سهل المخطوط بالاسكوريال على قصائد عديدة في مدح ابن خـلاص وولده ابـا القاسم وهي تقع في الورقات 2 الى 12 و 22 و 27 و 46 و 48 و 62 ، وانظـر كذلك قصيدتـه الحجازية التي أمره ابن خـلاص بنظمها فـي اختصار القدح ص 80/79

الاحمر عليها اوى الى سبتة باهلـه وحاشيتـه حيث انزله ابن خلاص في بساتين بنيونش (46) وقد كـان ابن عميرة اثناء هذه الفترة القصيرة التـي قضاهـا بسبتة فى انتظار سفره الى افريقية يشتغل احيانا فيما يبدو بالكتابة عن ابن خلاص اذ اننا نجد لـه رسالـة كتبها عنه الى الفقيه ابي بكر بن محرز الزهري شيخ الجالية الاندلسية فى بجاية (47) كما نجد له قصيـدة نظمها فيه بمناسبة شفائه من مرض (48) واخـرى يرثي فيها ولده ابا القاسم الذي غرق فى البحر عندما كان متوجها فى سفارة صحبـة الشاعـر ابن سهـل الاشبيلي الى ابي زكرياء الحفصي (49) .

وهكذا نرى ان حياة ابن عميرة فى المغرب لم تكن تقل عن حياته في الاندلس اضطرابا وتقلبا وهي ظاهرة تتسم بها حياته بصفـة عامة (50) .

الرباط : محمد بنشريفـة

---

46) الروض المعطـار ورقـة 4 (القسم المخطوط) وانظر ترجمة المذكور فى الذيل ج 4 ورقة 87

47) العبـر مجلـد 6 ص 616

48) الرسائـل ص 39 مخطـوط 233

49) المصـدر نفسـه ص 33

50) المصدر نفسه ص 35 . ولابد من التنبيه هنا الى وهم وقع للمستشرق جنثالث بالنثيا (تاريخ الفكر الاندلسي ص 305) حين قال ان ابن عميرة ولى قضاء سبتة للرشيد وهو امر لم يذكره احد ، ويتبين مما ذكرناه ان ابن عميرة دخل سبتة مرتين احداهما سنة 637 هـ حين هاجر الاندلس بنية الورود على الموحدين والثانية في سنة 643 هـ حين تـرك قضاء مكناسة وعزم على الانتقـال الى افريقيـة .

قالوا ان لحسان بن ثابت افخر بيت قالته العرب ، واحكم بيت قالته العرب ، فاما افخر بيت قالته العرب فقوله :

وبيوم بـدر اذ يـرد وجوههـم   جبريـل تحت لوائنـا ، ومحمد

واما احكم بيت قالته العرب فقوله :

وان امرءا امسى واصبح سالمـا   من الناس الا ما جنى لسعيـد

ويقال ان ابدع بيت قالته العـرب قول ابي ذؤيب الهذلي :

والنفس راغبـة اذا رغبتهـا   واذا تـرد الـى قليل تقنـع

ويقال ان اصدق بيت قالته العرب قول لبيـد :

الا كل شيء مـا خلا الله باطـل   وكـل نعيـم لا محالـة زائـل

وابلغ بيت قيل فى المدح قول حسان رسول الله صلى اللـه عليه وسلم :

لـه همـم لا منتهـى لكبارهـا   وهمته الصغرى اجل مـن الدهر

لمحة تاريخية وأدبية عن الحمامات في المجتمع الإسلامي

بقلم : الأستاذ عبد الغفار الحلادي

رفع الاسلام شان النظافة ، واعلى قدرها ، حتى جعل المتطهرين المتنظفين احباء الله اذ قال جل جلاله: « ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » فالمشرع الاسلامي يعتبر الطهارة شطر الايمان ، ويعدها من شروط صحة العبادات كالصلاة والطواف ومس المصحف كما يلزم على الواقف بين يدي الله ان يكون طاهر النفس طاهر البدن ، طاهر الثياب ، حيث يجب التطهر على كل جنب وحائض ونفساء ، وذلك بالاغتسال وافاضة الماء مع الدلك ، بل يجب غسل الميت قبل ان يوارى التراب حتى يعود الى ربه طاهر البدن . وقد رويت احاديث كثيرة فى فضيلة الغسل يوم الجمعة ، منها قوله صلى الله عليه وسلم : « من توضا يوم الجمعة فبها ونعمت ، ومن اغتسل فالغسل افضل » وقوله عليه الصلاة والسلام : « يا معشر المسلمين ، هذا يوم جعله الله عيدا للمسلمين ، فاغتسلوا ومن كان عنده طيب فلا يضره ان يمس منه ، وعليكم بالسواك » .

وبما ان المسلم ، رجلا كان او امراة ، ينبغي ان يكون نظيفا ، حسن المظهر ، كان الحديث عن الميا ه وعن التطهر بها ، الباب الاول فى جميع كتب الفقه، وكان اهتمام المسلمين بانشاء الحمامات الخصوصية والعمومية يضاهي اهتمامهم ببناء المساجد والمدارس والمستشفيات التي هي بمثابة مراكز للصحة الروحية والصحة العقلية والصحة البدنية .

عرفت جميع الامم المتحضرة القديمة الحمامات واعتنت بتشييدها وزخرفتها ، كما اعتنت بتسيير مجاري مياهها ، واتقان احواضها وصهاريجها ، وتزيين مجالسها، اذ كان يتخذها مترفوها وموسروها اماكن للنظافة والاستحمام، واندية للهو والتمتع بالوان الملاذ ، ومن تلك الامم ، البابليون والاشوريون والمصريون والحبشيون واليونانيون الخ .. يروي المؤرخ اليوناني بلوترك ان اسكندر المقدوني لما دخل حمامات « دارا » ملك الفرس بعد ان هزمه ، اندهش غاية الاندهاش مما شاهده فيها من انابيب ومباخر واواني اكثرها مصنوع بالذهب وبالفضة .

اننا لا نكاد نجد فى دواوين شعراء العصر الجاهلي والشعراء المخضرمين ذكرا للحمامات ، ومن المؤكد ان النبي صلى الله عليه وسلم ، واكثر الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يغتسلون فى بيوتهم ، وان العرب البدو كانوا يغتسلون فى الغدران ، الا ان جل المسلمين الاولين الذين نزحوا الى الشام ، عرفوا الحمامات العامة والخاصة ، ومنهم من استطابوا الاغتسال بها ، كما ان منهم من استنكروا دخولها وبالخصوص التشاغل بها عن مصالح الامة . وقد ورد ذكرها فى اقوال كثيرة منسوبة لبعض الصحابة ، منها قول عبد الله بن عمر رضي الله عنه : « الحمام من النعيم ، الذي احدثوه » وقول الامام علي كرم الله وجهه : « بئس البيت الحمام ، تكشف فيه العورات ، وترفع فيه الاصوات ، ولا تقرأ فيه ءايات من كتاب الله » وروي ان معاوية قدم من الشام على امير المومنين عمر بن الخطاب ، فضرب بيده على عضده فتكشفت له عن عضد بضة ناعمة ، فقال له عمر : « هذا والله لتشاغلك بالحمامات ، وذوي الحاجات تقطع انفسهم حسرات على بابك »

واما حديث دخوله صلى الله عليه وسلم حماما بالجحفة فهو موضوع باتفاق الحفاظ ، لانه لم يكن بها ، زمن النبي صلى الله عليه وسلم حمامات . (1)

(1) عن كتاب « علوم الحديث ومصطلحه » تأليف الدكتور صبحي الصالح

وذكر البلاذري ان الحمامات المبرزة بلغت بالبصرة في عهد زياد بن ابيه وابنه عبيد الله تسعة ، ثلاثة منها يملكها نساء ، وكان الاول منها لعبد الله بن عثمان بن ابي العاص ، والثاني لفيل «1» مولى وحاجب زياد بن ابيه ، والثالث لمسلم بن ابى بكرة .

وكان يضرب المثل بحمام فيل قال ابو عبيدة : حدثني يونس قال : لما بنى فيل مولى زياد داره وحمامه بالسبابجة «2» ، عمل طعاما لاصحاب زياد ، ودعاهم الى داره ، وادخلهم حمامه ، ثم غداهم وخرج معهم ، فركب على برذون هملاج . فقال ابو الاسود الدؤلي :

لعمر ابيك ما حمام كسرى
على الثلثين من حمام « فيل »

فقال الجرود بن ابي سبرة متذمرا من الغبار الذي كان يثيره برذون ذلك المولى :

ولا ارقاصنا خلف الموالي
بسنتنا على عهد الرسول « 3 »

واشار يزيد بن مفرغ الى ما كان لهذا الحمام من شهرة ، في قوله لطلحة الطلحات :

متمنيني ، طليحة ، الف الف
لقد منيتني املا بعيدا
فلست لماجد حر ولكن
لسمراء التي تلد العبيدا
ولو ادخلت في حمام فيل
والبست المطارف والبرودا (4)

وكانت الحمامات في ذلك العهد ـ كما هي في زماننا هذا بابا واسعا من ابواب الكسب والارتزاق، قال ابو بكرة لابنه مسلم « يا بني والله ما تلى عملا قط وما اراك تقصر عن اخوتك في النفقة » فقال : « ان كتمت علي اخبرك ؟ » قال « فاني افعل » قال : « فاني اغتل من حمامي هذا ، في كل يوم الف درهم وطعاما كثيرا » ثم ان مسلما مرض ، فأوصى الى اخيه عبد الرحمن بن ابي بكرة واخبره بغلة الحمام ، فأفشى ذلك ، واستأذن السلطان في بناء حمام ، واستأذن غيره ، فاذن له وكثرت الحمامات . فأفاق مسلم من مرضه وقد فسد عليه حمامه ، فجعل يلعن عبد الرحمن ، ويقول : « ما له ؟ قطع الله رحمه!» يتجلى مما سبق ان الحمامات كانت منذ ذلك الوقت لا تبنى الا باذن من الولاة . وهذا مفهوم لانه من الضروري ان تختار لها المواقع اللائقة لئلا يلحق دخانها الضرر بالجيران ، وان يراقب بناؤها لئلا تهوى على داخليها ، وان يكون اصحابها من ذوي العفة والامانة . ويتجلى ايضا ان المقبلين على الحمامات كانوا كثيرين ، وان اجرة الدخول اليها كانت « دراهم وطعام » وان كان هناك حمامات يشرف عليها النساء .

لم يغفل الادباء الرحالون ومؤلفو كتب المسالك والممالك ، عن الاشارة الى ما شاهدوه من حمامات اثناء تجوالهم . ومنهم من اعتنى بعد ما عرف منها بالمدن والحواضر لانها اضافت الى « فن العمارة » كثيرا من الفن والجمال ، والى الاداب الاجتماعية الوانا من العادات والتقاليد، واتخذها بعض الشعراء والكتاب موضوعا طريفا اطلقوا فيه العنان لمخيلاتهم ، متنافسين في تشخيص ما يه امن زخارف ، وصور ، وزجاج ملون ، واثاث ورياش الخ ومن التعبير عن احساساتهم بجانب احواضها السخينة ووسط ابخرتها الحارة .

قال الخطيب البغدادي في تاريخه : « انها « أي بغداد » اربعون مدينة وان الحمامات بلغ عددها في ايام المامون 65 000 حمام » وقد اراد صاحب سير الملوك بيان مقدار عمارة بغداد فقال : « وكان عدد الحمامات في ذلك الوقت ببغداد ستين الف حمام ، واقل ما يكون في كل حمام خمسة نفر : حمامي ، وقيم وزبال ، ووقاد ، وسقاء ، ويكون ذلك ثلاثمائة الف رجل ، وذكر انه يكون بازاء كل حمام خمسة مساجد ويكون ذلك ثلاثمائة الف مسجد ، وتقدير ذلك ان اقل

«1» هو عنبسة بن معدان ، وكان معدان يروض فيلا لزياد ، وكان عنبسة تلميذا لابي الاسود الدؤلي ويعد من النحويين الاولين الحذاق .

«2» السبابجة : هم قوم من الهند كانوا بالبصرة ، جلاوزة وحداس السجن ، وكانت خطط البصرة ، كما في غيرها من المدن ، تسمى باسم الطوائف والقبائل النازلة بها .

«3» معجم البلدان ، كتاب الحيوان .

«4» معجم البلدان .

ما يكون في كل مسجد خمسة نفر ، يكون ذلك الف الف وخمسمائة انسان «1» .

ان طريقة الاحصاء هذه تبدو مضطربة ، اذ بني تقدير عدد السكان على الذكور ، اللهم الا اذا كانت هناك مساجد وحمامات لا يشرف عليها ولا يدخلها الا النساء . والطريقة التي ذكرت في دائرة المعارف الاسلامية الفرنسية « في المقال الخاص ببغداد » . تظهر اصح ، وان وقع تطابق بين نتيجتي الحسابين : جاء فيه : « عدت الحمامات ببغداد سنة 383هـ 993 م فاذا بها الف وخمسمائة حمام ، فماذا كان كل حمام مقصود من لدن سكان مائتي دار ، وكان بكل دار خمسة نفر ، فان سكان بغداد يكونون حوالي مليون وخمسمائة الف » .

وزار ابن جبير بغداد سنة 581 هـ 1185 م ، فذكر ان جانبها الشرقي « كانت العمارة به محدثة ، ومع استيلاء الخراب عليه كان يحتوي على سبعة عشر محلة ، كل محلة منها مدينة مستقلة ، وفي كل منها الحمامان والثلاثة والثمانية » وقال : « والشرقية فهي اليوم دار الخلافة ، وهي حفيلة الاسواق ، عظيمة الترتيب ، واما حماماتها فلا تحصى عدا ، ذكر لنا احد اشياخ البلاد انها بين الشرقية والغربية نحو الالف حمام ، واكثرها مطلية بالقار ، مسطحة به ، فيخيل للناظر انه رخام اسود صقيل » .

الف يوسف عبد الهادي ، وهو من رجال القرنين التاسع والعاشر ، كتابا سماه : « عدة الملمات ، في تعداد الحمامات » «2» خصه لحمامات دمشق الكثيرة ، وورد في كتب التاريخ ان عدد حمامات القاهرة ، في القرن السابع الهجري ، بلغ ثمانين حماما فقط ، في الوقت الذي كان بالفسطاط اكثر من الف حمام «3» قال جرجي زيدان في كتابه تاريخ التمدن الاسلامي « 2ص 174 » « ذكر مؤرخو العرب من مقدار عمارتها « الفسطاط » انه كان فيها 37.000 مسجد و8.000 شارع مسلوك و 1.170 حماما ، وقد يستبعد ذلك ولكن ايراده يدل في كل حال ، على العظمة والعمران » .

وفيما يخص الحمامات بالمغرب فقد جاء في كتاب « صبح الاعشى » رواية عن ابن سعيد ، احد مؤلفي كتاب « المغرب في حلى المغرب » و « قد ضاع الجزء الخاص بهذه البلاد » انه قال : لم ار قط حمامات داخلها عين تنبع الا في فاس » «4» وقال « وهي اكثرها مياها من دمشق .

وقال ابن ابي زرع في كتابه « الانيس المطرب بروض القرطاس » اثناء وصفه لمدينة فاس ، « في ايام زناتة .. فبنيت بها الفنادق والحمامات والارحاء والمساجد .. وبلغت مدينة فاس في ايام المرابطين والموحدين ، من بعدهم من العمارة والغبطة والرفاهية ما لم تبلغه مدينة من مدن المغرب واحصيت الحمامات منها المبرزة للناس ، في تلك المدة ، فكانت 93 حماما» « وذلك في عهد المنصور وولده الناصر (5) . واحسن المؤلف هنا حينما اكد انه لم يذكر الا « الحمامات المبرزة للناس ، ولم يتعرض للحمامات الخصوصية ، وهي ، حسب ما اخبرني الاستاذ ابراهيم الكتاني كثيرة ولا زالت ماثلة للعيان في جل البيوتات العريقة بفاس ، وبعضها يسع عددا وافرا من الناس .

كتب الاستاذ محمد المنوني في مجلة البحث العلمي « عدد 1 » بحثا عنوانه « وصف المغرب ايام السلطان ابي الحسن المريني » ذكر فيه معلومات استقاها من كتاب « مسالك الابصار في ممالك الامصار » لابن فضل الله العمري « 700-74هـ 1300-1348م » جاء فيه ، اثناء الكلام عن فاس : « وغالب اغنيائهم يعملون لهم حمامات في بيوتهم ، انفة من الدخول مع عامة الناس ، لان حماماتهم صحن واحد لا خلوة فيه تستر بعض الناس من بعض » وفيه عن مراكش : قال ابن سعيد « وحضرة مراكش —

«1» تاريخ التمدن الاسلامي لجرجي زيدان ج2ص175

«2» عن كتاب « ملامح من المجتمع العربي » للاستاذ محمد عبد الغني حسن سلسلة « اقرا » ولم نعثر على ذلك الكتاب

«3» نفس المصدر .

«4» وهذا الحمام هو حمام سيدي محمد بن عباد .

«5» يتكلم المؤلف هنا عن فاس في عهد الموحدين . والمعلومات التي ذكرها هنا وردت في مؤلف ابي الحسن علي الجزنائي « زهرة الاس في بناء مدينة فاس » نقلا عن وثيقة للمشرف على مدينة فاس في عهد المنصور ، الخليفة الموحدي الثالث

سكنت بها وعرفتها ظاهرا وباطنا ولا ادري هل العبارة تفي بما تحتوي عليه ، ويكفي ان كل قصر من قصورها مستقل بالديار والبساتين والحمام والاصطبلات والمياه وغير ذلك » .

ونشر بمجلة تطوان « عدد 3 ـ 4 » للاستاذ محمد بن تاويت حول كتاب لابي عبد الله محمد بن القاسم الانصاري عنوانه « اختصار الاخبار عما كان بثغر سبتة من سني الاثار » وابو عبد الله من اعيان سبتة ، وقد هاجرها لما غزاها البرتغال ، انتهى من تاليف كتابه سنة 825هـ وسجل فيه ، كما يقول الاستاذ ابن تاويت ، سبتة في مرحلتها الاخيرة الاسلامية قال : « ... وعدد الحمامات المبرزة للناس اثنان وعشرون حماما ، اعظمها هيكلا واشهر ذكرا حمام القائد ، وهو القائد ابو علي ناصح الدين الذي كان بناؤه على يده رحمه الله . هذا الحمام الغاية في الكبر يسع المئين من الناس مرتفع السمك ، طيب الهواء ، قائم على اعمدة الرخام بعروش ، بالواحة الساطعة البياض . والمسلخ (1) متسع الساحة له بابان اثنان ، وسقفه قبة مرتبة متقنة على اربع حنيات ، وبالصحن صهريج كبير مرتفع عن الارض ، وفي وسط الصهريج سارية مجوفة فوقها طيفور من الرخام الموصوف ، يصعد الماء في جوف السارية الى ان يفور في الطيفور ، وفيضه يملأ الصهريج .. هذا وبكل دار من ديار سبتة حمام ومسجد الا القليل . ولقد كان بمنزلنا حمامان اثنان ومسجد ، طهر الله تلك المنازل من عبادة الاوثان والاصنام ، واعاد اليه بمنه وفضله كلمة الاسلام .. .. ولنذكر الان ما جمعته قرية « بنيونش » « جوار سبتة » المشهورة في الافاق ، التي اربت على القرى وفاقت شعب بوان في اقصى الفراق ، فعدد العيون والانهار التي بها ستة وثمانون وارفعها قدرا واشهرها في النفع ذكرا ، نهر امزار ، وعدد الحمامات بالاربعة المبرزة للناس ، مائة وستة وعشرون حماما» « اي يوجد ضمن هذا العدد الاربعة المبرزة للناس »

عرفت الحمامات بالمغرب بواسطة الرومان الا ان الادارسة والمرابطين والموحدين قد استفادوا كثيرا مما شاهدوه بالاندلس من حمامات اسلامية فبنوا مثلها بالمغرب .

يروى عن ابن عذاري المراكشي انه كان بقرطبة في عهد عبد الرحمن الناصر ، نحو الثلاثمائة حمام خاصة بالنساء . وورد في كتاب نفح الطيب : كان بقرطبة في «عهد الناصر» وحدها من الدور العامة 000 103 ومن الدور الخاصة 630 ومن الحمامات 800 ومن المساجد 3837 » .

وآثار الحمامات ، بل هياكل الكثير منها لا زالت شاهدة الى الان ، بما شيده المسلمون من حمامات خصوصية وعمومية في كافة مدن الاندلس وقراها ، كما لازالت كتب التاريخ والجغرافية حافلة بذكر الحمامات ووصف ما فيها من زخارف وما اوحت به من اشعار وقصص للشعراء والادباء ..

والاهتمام بالنظافة وبالاغتسال هو الذي لفت انظار رجال الكنيسة الى المسلمين المدجنين ، في الفردوس المفقود ، ايام تأجج نيران «محاكم التفتيش» فأوقعوا بهم الشنائع والفظائع .

ومهما يكن من امر فان حمامات المغرب ، ولا سيما تلك التي بنيت منذ عهد المرينيين ، تمتاز بهندسة تكاد تنفرد بها حمامات افريقية الشمالية ، وذلك من حيث التصميم لا من حيث ما تتسم به بعض الحمامات المشهورة من زخاريف واعمدة رخامية وفسيفساء الخ ..

فاننا نجد مثلا كثيرا من اوجه الشبه (2) في تخطيط الحمام القديم بوجدة « 696 هـ ـ 1296 م » وحمام سيدي بنعباد بسلا « باسم بانيه الذي ولد سنة 1338 م ومات 1390م» وحمام المخفية بفاس . فكل هذه الحمامات بنيت في العهد المريني ، وكذا حمام شالة والحمام الجديد بالرباط المعروف بحمام العلو الذي بناه ابو عنان المريني وجعله من جملة الاوقاف التي حبست على اطعام الطعام لمن يأوى الى شالة من فضلاء وعظماء « كما وجد ذلك اثرا لابي عنان في مضمون التحبيس المنقوش على الرخامة التي اكتشفت بجدار القوس الوسط في صحن الجامع الاعظم الرباطي ، ونص ما وجد : الحمد لله حق حمده ، مما حبسه مولانا الخليفة المتوكل على الله .. ابو عنان بن ابي الحسن بن ابي سعيد بن يوسف يعقوب بن عبد الحق

---

1) المسلخ ما يسمى في المغرب بـ « الجلسة » من سلخت المرأة درعها ، نزعته .

2) يرجع الى البحثين التاليين وهما بالفرنسية :

ا ـ نظرة عامة عن حمامات الرباط سلا ـ للمسيو بوطي Pauty الذي كان مهندسا بالرباط

ب ـ ثلاثة حمامات مرينية للاستاذ هنري تيراس مدير معهد للدراسات العليا سابقا

تقبل الله عمله وبلغه في نصر الاسلام امله ، الحمام الجديد برباط الفتح حرسه الله ، على ضريح مولانا المرحوم والدهم رضوان الله عليه ، واطعام المساكين بشالة عمرها الله تعالى وذلك في عام 755 عرف الله خيره (1) وذكر مولاي عبد الرحمن ابن زيدان في كتابه « اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار مكناس » حمامات بنيت بها في عهد الموحدين وما آلت اليه اليوم ، وقال « وعدد حمامات المدينة اليوم احد عشر » وذكر اسماءها — ويقصد طبعا الحمامات الاثرية » وذكر ان عدد حوماتها تسعة وعشرون وعدد سكانها الاهالي المسلمين 207 28 الا انه شك في ضبط الاحصاء ، « طبع الجزء الاول من هذا الكتاب سنة 1348 هـ 1992 » .

والحمامات سواء منها الخاصة والعامة المبرزة للناس كان يعتنى بها في كل عهد غاية الاعتناء ، فيختار لها الموقع اللائق والمواد البنائية الملائمة ويهتم بمجاري الماء ووسائل التسخين ، وفي الحمامات المبرزة كان يعتنى على وجه الخصوص بالمسلخ ، وهو المكان الذي تنزع فيه الثياب ويستراح فيه بعد الاستحمام وقد يتخذ منتدى تقام فيه الحفلات العائلية ويتباهى فيه بانواع الملابس الفاخرة ، وتوزع فيه المشروبات .

قال ابو عبد الله محمد بن غالب « وهو من كتاب المملكة البلنسية — توفي سنة 572 هـ بمالقة » على لسان حمام :

انظر الى نقشي البديع
يسليك عن زهرة الربيع
لو جني البحر من رياض
كان جنى روضي المريع
سقاني الله دمع عيني !
ولا وقاني جوى ضلوعي !
فما ابالي شقاء بعضي
اذا تشفيت في جميعي
كيف تراني — وقيت ما بي
الست من اعجب الربوع ؟!

كان الاندلسيون يتسامحون في اقامة التماثيل في قصورهم وفي ميادينهم العامة . كان منها ثمانية على باب الزهراء . قال بعضهم في تمثال اقيم في ساحة من ساحات شاطبة .

كانه واعظ طال الوقوف به
مما يحدث عن عاد وعن ارما
فانظر الى حجر صلد يكلمنا
اشجى واوعظ من قس لمن فهما

وكان بحمام الشطارة باشبيلية ، في عهد ابن عباد عدة من التماثيل المرمارية ومنها تمثال امراة بيدها صبي وصفه الشاعر ابو تمام غالب بن رباح ، المعروف بالحجام وهو من قلعة رباح ، غربي طليطلة قال :

ودمية مرمر تزهو بجيد
تناهي في التورد والبياض
لها ولد ولم تعرف حليلا
ولا المت باوجاع المخاض
ونعلم انها حجر ولكن
تتيمنا بالحاظ مراض

وصف ابن بطوطة (2) في رحلته احد حمامات بغداد « وذلك في منتصف القرن التاسع الهجري » قال « وحمامات بغداد كثيرة وهي من ابدع الحمامات ، واكثرها مطلية بالقار مسطحة به ، فيخيل لرائيه انه رخام اسود .. وفي كل حمام منها خلوات كثيرة كل خلوة منها مفروشة بالقار، مطلي بالقار نصف حائطها مما يلي الارض به ، والنصف الاعلى مطلي بالجص الابيض الناصع، فالضدان بهامجتمعان متقابل حسنهما وفي داخل كل خلوة حوض من الرخام فيه انبوبان احدهما يجري بالماء الحار والاخر بالماء البارد ، فيدخل الانسان الخلوة منها منفردا لا يشاركه احد الا ان اراد ذلك ، وفي زاوية كل خلوة ايضا حوض اخر للاغتسال ، فيه ايضا انبوبان يجريان بالحار والبارد . وكل داخل يعطى ثلاثا من الفوط احداها يتزر بها عند دخوله ، والاخرى يتزر بها عند خروجه والاخرى ينشف بها الماء عن جسده ولم ار هذا الاتفاق كله في مدينة سوى في بغداد ، وبعض البلاد تقاربها في ذلك (3) .

---

1) مقدمة الفتح في تاريخ رباط الفتح لابي عبد الله محمد بوجندار . وقد حذفنا من النص بعض العبارات اقتضابا وتخفيفا .

2) خرج من طنجة سنة 726 هـ وبعد سفرات ثلاث استقر بالمغرب في عهد ابي عنان المريني توفي سنة779هـ

3) تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار

وقال الدكتور زكي محمد حسن في كتابه عن فنون الاسلام ، بعد كلام طويل عن الحمامات : « ولا ننسى في هذه المناسبة ان مصر كانت تمتاز على سائر الاقاليم الاسلامية بابداع حماماتها ، وحسبنا ما كتبه في هذا الصدد ، عبد اللطيف البغدادي حين زار مصر في نهاية القرن السادس الهجري «12م» قال : « واما حماماتهم فلم اشاهد في البلاد اتقن منها وصفا ، ولا اتم حكمة ، ولا احسن منظرا ومخبرا . اما اولا فان احواضها يسع الواحد منها ما بين راويتين الى اربع راويا واكثر من ذلك ، يصب فيه ميزابان تجاجان حار وبارد ، وقبل ذلك يصبان في حوض صغير جدا مرتفع ، فاذا اختلطا فيه جرى منه الى الحوض الكبير . وهذا الحوض نحو ربعه فوق الارض وسائره في عمقها ، ينزل اليه المستحم فيستنقع فيه . وداخل الحمام مقاصير بابواب ، وفي المسلخ ايضا مقاصير لارباب التخصيص حتى لا يختلطوا بالعوام ولا يظهروا على عوراتهم . وهذا المسلخ بمقاصيره حسن القسمة ، مليح البنية وفي وسطه بركة مرخمة وعليها اعمدة وقبة وجميع ذلك مزوق السقوف ، مفوف الجدران ، مبيضها مرخم الارض باصناف الرخام ، مجزع باختلاف الوانه . وترخيم الداخل يكون ابدا احسن من ترخيم الخارج . وهو مع ذلك كثير الضياء مرتفع الازاج ، جاماته مختلفة الالوان ، صافية الاصباغ بحيث اذا دخله الانسان لم يؤثر الخروج منه ، لانه اذا بالغ بعض الرؤساء ان يتخذ دارا لجلوسه وتناهى في ذلك لم تكن احسن منه . وفي موقده حكمة عجيبة ، وذلك ان يتخذ بيت النار وعليه قبة مفتوحة بحيث يصل اليها لسان النار ، ويصف على افاريزها اربع قدور رصاص كقدور الهراس لكنها اكبر منها وتتصل هذه القدور قرب اعاليها بمجار من انابيب فيدخل الماء من مجرى البير الى فسقية عظيمة ثم منها الى القدر الاولى فيكون فيها باردا على حاله ، ثم يجري منها الى الثانية فيسخن اكثر من ذلك ، ثم الى الرابعة فيتناهى حره ، ثم يخرج من الرابعة الى مجاري الحمام . فلا يزال الماء جاريا وحارا بايسر كلفة واهون سعي واقصر زمان .. ويفرشون ارض الاتون التي هي مقر النار بنحو خمسين اردبا ملحا ، وهكذا يفعلون بارض الافران لان الملح من طبعه حفظ الحرارة » وجاء في كتاب « نفح الطيب » وصف لحمام خصوصي يشهد للفن المعماري الاسلامي بالبداعة والاتقان ويبين مدى اهتمام المسرفين على الحمامات ومغالاتهم في زخرفتها واعداد وسائل الراحة واللذة بها . قال : « تذكرت هنا عند ذكر الحمام ، ما حكاه بدر الدين الحسن بن زفير الاربلي المتطبب اذ قال : رايت ببغداد في دار الملك شرف الدين هرون ابن الوزير الصاحب شمس الدين محمد الجويني ، حماما متقن الصنعة ، حسن البناء ، كثير الاضواء ، قد اختفت به الازهار والاشجار . فادخلني اليه سائسه ، وذلك بشفاعة الصاحب بهاء الدين بن الفخر عيسى المنشىء الاربلي . وكان سائس الحمام خادما كبير السن والقدر ، فطاف بي عليه ، وابصرت مياهه ، وشبابيكه وانابيبه ، المتخذ بعضها من فضة مطلية بالذهب وغير مطلية ، وبعضها على هيئة طائر اذا خرج منها الماء صوت باصوات طيبة ومنها احواض رخام بديعة الصنعة ، والمياه تخرج من سائر الانابيب الى الاحواض ومن الاحواض الى بركة حسنة الاتقان ، ثم منها الى البستان . ثم اراني نحو عشر خلوات كل خلوة منها صنعتها احسن من صنعة اختها ، ثم انتهى بي الى خلوة عليها باب مقفل حديد ، ففتحه ودخل بي الى دهليز طويل كله مرخم بالرخام الابيض الساذج ، وفي صدر الدهليز خلوة مربعة تسع بالتقريب اربعة انفس اذا كانوا قعودا وتسع اثنين اذا كانوا نياما ، ورايت من العجائب في هذه الخلوة ان حيطانها الاربعة مصقولة صقالا لا فرق بينه وبين صقال المراة ، يرى الانسان سائر بشرته في اي حائط شاء منها ، ورايت ارضها مصورة بفصوص حمر وصفر وخضر ومذهبة ، وكلها متخذة من بلور مصبوغ بعضه اصفر وبعضه احمر ، فاما الاخضر فيقال انه حجارة تاتي من الروم ، واما المذهب فزجاج ملبس بالذهب . وتلك الصور في غاية الحسن والجمال على هيئة مختلفة في اللون وغيره .

وخصص الطبيب الضرير الشيخ داود الانطاكي في كتابه « تذكرة اولى الالباب والجامع للعجب العجاب» عدة صفحات (ج 1 ص 119 وما بعدها) بين فيها كيف ينبغي ان يكون الحمام من حيث الموقع ، وهندسة البناء ، ومتى ينبغي ان يدخل له معللا ذلك بملاحظات تنم عما كان له من خبرة بوسائل علاج الاجسام وانعاش النفوس وتنشيط الحركات قال : « وصورته « اي الحمام » التي ينبغي ان يكون عليها التربيع لقرب هذا الشكل من الصحة . وافضل الحمام مطلقا حمام عال ، مرتفع في البناء ، لئلا يحصر الانفاس المختلفة فيفسد بها ، وينحل الهواء فيه بسرعة بعد تخلخل وانبساط ويلطف البخار الصاعد .. فان اتسع مع ذلك كان اقوى في تفريق الهواء وتلطيفه .. لاسيما ان طال عهده ، اي قدم بناؤه ، لان الجديد فاسد

بابخرة الاحجار والطين ، وعفونة ما يشرب من الماء في اجزائه ... ولا يصدق على الحمام القدم الا بعد سبع سنين ، فحينئذ يكون غاية ، خصوصا ان عذب ماؤه ولطف هواؤه واحكم صانعه مزاجه ، وينبغي مع ذلك ان يكون مسلخه الذي تجعل فيه الثياب لطيف الصنعة ، واسع الفضاء وهو مع هذا ، مصور اكثره بما لطف من الصور الانيقة كالاشجار والازهار والاشكال الدقيقة والعجائب لاجل راحة تحصل بالنظر فيها عند الاتكاء ، وقد حلل الحمام القوى ، وان يكون فيه ماء كثير قد نظف ، فان الحمام ياخذ من القوى محلل بلا شبهة ، خصوصا اذا طال المقام فيه ، والنظر في الاشياء المذكورة منعش مقو ، وان يشتمل داخله على البيوت الكثيرة الرطوبة .. والحمام موضوع باصل وضعه للتنظيف من نحو الاوساخ والدرن والعفونات والعمل ، ولدفع امراض كثيرة كالحمايات والتخم والاعياء وانواع الهيضة والنزلات ، ولما كان من العروق ما هو بعيد الاغوار ارق من الشعر ،وكا ن الدواء انما يجذب الاقرب من المعدة فالاقرب ، والدهن انما يحلل ما في الجلد خاصة، وكانت الضرورة قاضية باجتماع عفونات في امكنة لا يبلغها الدهن ولا الدواء ، وان اجتماعها على تطاول المدد لابد وا نيحدث امراضا ضارة ، جعل الحمام للتلطيف والتحليل لكل ما استعصي ومن تم امروا به قب الدواء ، وفيه تنشيط وتخفيف وكان البدن بعده كالذي بدا في الوجود ...

« ولكنه مع هذه المنافع غير خال عن ضرر الجاهل بالتدبير ، فان الدخول اليه على الخواء اعني الجوع المفرط .. يصدع بالابخرة وهيجان الحرارة ويرعش بالتحليل واليبس العرضي .. ودخوله على الشبع ايضا مولد للرياح والسدد والتخم الكثيرة ..

« واصبر الناس على الحمام اليمنيون ، فالسوداتيون ، واسرع الناس ضررا الصقليون خصوصا على الجوع وزمن الحر .. ويكون الدخول للحمام تدريجا بان يمكث اولا في الاول حتى يالف الهواء الحار بالنسبة الى الذي كان فيه ، ثم الثاني فانه يشبه الاول بوجه ما ، ولا يدخل الثالث الا عند ارادة الخروج ، فانه مخفف قوي التحليل .. وينبغي ان تكون افعال الحمام مع اعتدال بلا افراط .. وليترك فيه انواع الاستفراغ والاكل والحجامة لغليظ خلط ، فان جعل هذه ونحوها مجلبة للسقم والهرم.

فاذا انتهت حاجته خرج تدريجا بشرط تبريد الاطراف بالماء البارد ، وينبغي بعدها الراحة كالنوم »

ان ما ذكره الشيخ داود الانطاكي في الشكل الذي ينبغي ان يكون عليه الحمام النموذجي ، وفي الشروط الواجب توفرها لمن يريد ان يستفيد كامل الاستفادة من الاغتسال في الحمامات يؤدي بنا الى الكلام عن « المستحمين » وعما اوحى به الحمام لرجال الاداب .

دخل اعرابي الحمام ، فلما احس بوهجته انشأ يقول :

ادخلت في بيت لهم مهندس
قد ضربوه بالرخام الاملس
فمك سمعي واستطار نفسي
وقلت في نفس بالتوسوس :
« ادخلت في النار ولم ارمس »«1»

الرباط ــ عبد القادر الخلادي

1) ذيل زهر الاداب لابي اسحاق ابراهيم بن علي الحصري القيرواني المتوفى سنة 453 هـ .



الأدب النسوي في الأندلس

للأستاذ : محمد المنتصر الريسوني

- 2 -

المرأة العربية الشاعرة :

صحار ممتدة امتداد البصر ، فياف واسعة الارجاء ، بحر خضم من الرمال المحرقة ، رياح عاتية تلفح وتقسو كالقدر المحتوم ، جبال ثابتة تتحدى جبروت الزمن ، اودية مخيفة تجذب اليها رواد المجهول ...

نهارا .. قيظ ملتهب ، وشواظ متقد ، يقعد الرائح والغادي ، ورغم ذلك فالقطان يتحملون العذاب بجدع الانف في سبيل تصفح وجه الرزق .

ليلا .. متعة لا تعادلها متعة ، وراحة لا تماثلها راحة ، يحلو السمر مع النسمات الخفاف الرطبة الهينة فتقلب الحياة رضية منعشة كما لم تكن ترسل قبلا سوط العذاب المهلك ، فيخف من يخف الى الارتواء من ينبوع الانتشاء ليعيش ساعات حلم لذيذ لا امتع ولا ارغد ..

في غمرة هذا الجو نشأت المرأة العربية تعمل وتشارك وتضع اللبنات لتنافس الرجل ، ففي خفة قفزت الى رياض الشعر وتفتقت لهوتها بالكلم الرقراق ...

تباركت هذه الفيافي التي تفتحت فيها النفوس على امتع ما يجيش بها من حس في معاناة قدسية وتجربة قادرة تستنفذ صورا معبرة ومراميك الكلمات الحريرية الشفافة .

فماذا بعد هذا من حديث الشعر عند المرأة العربية ؟ .

سؤال ليس صعبا الاجابة عنه ، ذلك لان العرب امة شاعرة ، تبرعمت معطياتها الشعرية ، وعلى الاثر فاح اريجها في كل صقع من اصقاع البسيطة فاثرت وتاثرت ، وطبعي والحالة هذه ان يكون للنساء في هذا المضمار نصيب له وزنه .

لذلك راحت بجانب الرجل تستندي القريحة لتهمس بالشعر فهمست به ، همسات رائعة ملذة اثبتت قدرتها على الخلق الجميل والابداع الحي الخالد الذي جعلها تتفوق في بعض الاحايين على الرجل ، والدلائل على ذلك اكثر من ان تحصى ، فاستمع :

ابو نواس الشاعر العباسي الفحل الشهير شهرة سارت مسير الشمس يقول : « اجهدت نفسي على ان تقع في الشعر (عين اباغ) فامتنعت على فقلت (عيني اباغ) فذلك حيث اقول :

فما نجدت بالماء حتى رأيتها
مع الشمس في عيني اباغ تغور »

في حين تلقى كلمة (عين اباغ مقاليدها صاغرة طائعة لامرأة من بني شيبان حين تقول :

وقالوا شاعر منكم قتلنا
كذاك الرمح يكلف بالكريم
بعين اباغ قاسمنا المنايا
فكان قسيمها خير القسيم

ورغم ذلك فان هناك جمعا غفيرا من اصحاب الاخبار ومن عنوا بجمع الشعر العربي وضعوا الكتب والتواليف في سبيل صيانة ما جادت به القرائح العربية المعطية ، ولكنهم ولوا اهتمامهم للرجال وكل ما يمت اليهم بصلة فغفلوا او تغافلوا ما غرسته انامل المرأة من زهور فواحة وقرنفلات ارجة ، واذا اردت الدليل لتقتنع ، فدونك طبقات ابن سلام والمفضليات للضبي ومعجم الشعراء للمرزباني ، والمختلف والمؤتلف للامدي والحماسة لابي تمام وغير هذه الكتب التي لم تتحدث عن شواعر العرب حديثا يشفي الغليل من النفس الصادية ، فابن سلام يحدثنا عن اصحاب المراثي ثم يعرج بالحديث عن الخنساء في كلمات مقتضبات ، والضبي يورد مرثية واحدة لامرأة من ضبيعة مجهولة الاسم والعصر لا تتجاوز خمسة ابيات ، والامدي لا يذكر سوى بضع شاعرات ، وهكذا دواليك .

وهنا تنتصب امام اعيننا الف علامة استفهام ، لما ذا هذا الحيف والغبن ؟ ما هي اسبابه ؟ ما هي دواعيه ، يمكن لنا ان نعزو ذلك الى ما يلي :

1) ان الرواة في عهد الجمع والتحصيل كانوا يميلون الى الغريب الحوشي ، وشعر النساء يكاد يخلو من هذه الخصيصة لذلك تحاشوا رواية شعر المرأة .

2) ان الشاعر كما هو مشهور كان لسان قومه يمدح القبيلة ويعدد محامدها ومناقبها ، واذا حزب الامر دافع عنها وقاوم وشهر بالاعداء ، والمرأة لم تكن تحتل هذه المكانة في قبيلتها ، ومن اجل ذلك شذ في شعر النساء ذكر الحروب والايام فعزف الرواة عن هذا الشعر الذي لا يحمل في طياته ما يروقهم.

3) نعرف مسبقا ان الشعر الجاهلي قد ضاع منه الشيء الكثير ومن المحتمل ان يكون شعر النساء قد ضاع منه الكثير وظل منه النزر اليسير .

4) وقد يرجع هذا التغافل الى التعصب المقيت من جانب الرجال ، وآية ذلك انه ضرب المثل ببعض الشعراء في اتقانهم فنونا خاصة ولم يضرب بالخنساء في اتقانها فن الرثاء .

ونشم رائحة هذا التعصب في قول بشار بن برد عن شعر المرأة : (لم تقل شعرا الا تبين الضعف فيه) فقيل له : (او كذلك الخنساء ؟ قال : تلك فوق الرجال) .

فبشار لم ينصف من شواعر العرب غير الخنساء ، وذلك تحامل ظاهر واضح لا يحتمل التردد والتشكيك كما يقول المناطقة .

تلك اسباب ودواع جنت على الشعر النسائي قد تدخل في حكم المنطق ، ولكن ليس كل ذلك مما يقتنع به اقتناعا عقليا لا يقبل الجدال والنقاش .

ويسوغ لنا بعد هذا ان نضيف سببا آخر الى الاسباب السالفة الذكر ، وهو ان من الجائز ان يكون اصحاب الاخبار قد وضعوا كتبا اخرى خاصة في اشعار النساء بيد انها ضاعت مع ما ضاع من التراث العربي وذلك لظروف تاريخية معروفة .

وفيما بعد تزخر المراجع بشعر النساء في الجاهلية والاسلام كالاغاني ، ثم يؤلف المرزباني كتابا يشمل ثلاثة اجزاء سماه : (اشعار النساء) والموجود منه الجزء الثالث ، وللخرنق اخت طرفة بن العبد ديوان مخطوط طبع بعد ذلك ، ولجنوب الهذلية ديوان (*) ، ويضع السيوطي كتابه (نزهة الجلساء في اشعار النساء) (*) .

ثم يجمع لويس شيخو قسطا من مراثي شواعر الجاهلية في كتاب (رياض الادب في مراثي شواعر العرب) .

ومهما يكن من شيء فان كتب الادب واللغة والتاريخ زاخرة باضمامات من الشعر النسوي كالاغاني وخزانة الادب والعقد الفريد وعيون الاخبار وشرح مقامات الحريري للشريشي ، ومعجم البلدان لياقوت ومعجم ما استعجم للبكري ولسان العرب وتاج العروس وتاريخ الطبري واخبار النساء لابن القيم ، وبلاغات النساء لابن طيفور والكامل للمبرد ، وحماسة البحتري وغير ذلك مما لا يحصى عددا .

والمرأة العربية تسنى لها ان تقرض الشعر في كل الفنون من رثاء وهجاء وفخر ومدح وغزل وحنين الى الوطن . وفيما يلي حديثنا عن كل فن على حدة :

الرثــــاء :

هذا الفن تجد فيه المرأة الشاعرة وسيلة للبوح والافصاح عن عواطفها المكروبة ولا سيما وهي تلتجيء اكثر ما تلتجيء الى منفح الدموع اذا ما اصابها مكروه فتجد في الحزن لذة لا تعادلها لذة ، ولذلك ينطلق لسانها بالشعر لتخفف عن نفسها هول المصاب وحرقة لوعتها الملتاعة .

واولى شاعرة بالتقديم في هذا المضمار تماضر المعروفة بالخنساء التي شهد لها اكثر من شاعر وعالم بالشاعرية ، الم يسأل جرير : (من اشعر الناس ؟ قال : انا لولا الخنساء) ، وان كتب الادب لا تكاد تخلو من اسمها حتى شاعر المعرة ذكرها في (رسالة الغفران) فاختارها دون غيرها .

وتقول الخنساء راثية اخاها صخرا :

فمن للحرب اذ صارت طلوحا
وشمر مشعلوها للنهوض

وخيل قد دلفت لها باخرى
كأن زهاءها سند الحضيض

اذا ما القوم اخربهم تبول
كذاك التبل يطلب كالقروض

بكل مهند عضب حسام
رقيق الحد مصقول رحيض

وصخر هذا قد زعزع موته كيانها وهد جوانبها فلم تعد ترى في الحياة غير البؤس والشقاء ، وتتمنى لو اطبقت السماء على الارض ، واصاب الناس الهلاك فما يهمها غير صخر اخيها العزيز :

(*) كشف الظنون 3 / 271 ليبسك .

(*) مر الحديث عنه .

الا ليت امي لم تلدني سوية
وكنت ترابا بين ايدي القوابل

وخرت على الارض السماء فطبقت
ومات جميعا كل حاف وناعل

غداة غدا ناع لصخر فراعني
واورثني حزنا طويل البلابل

فقلت له : ما ذا تقول ؟ فقال لي
نعي ما ابن عمرو اثكلته هوابلي

فاصبحت لا التذ بعدك نعمة
حياتي ولا ابكي لدعوة ثاكل

فشأن المنايا بالاقارب بعده
لتعطل عليهم علة بعد ناحل

والحديث عن الخنساء في شعرها الرثائي ذو شجون .

وترثي الخرنق زوجها وابناءها الثلاثة بقولها :

لا يبعدن قومي الذين هم
سم العداة وآفة الجزر

النازلون بكل معترك
والطيبون معاقد الازر

والخالطون نحيتهم بنضارهم
وذوي الغنى منهم بذي الفقر (✱)

ان يشربوا يهبوا وان يذروا
يتواعظوا عن منطق الهجر

قوم اذا ركبوا سمعت لهم
لغطا من التأويه والزجر (✱)

هذا ثنائي ما بقيت عليهم
فاذا هلكت يجنني قبري

وفاطمة بنت الاحجم الخزاعية يتوفى ابوها فتقول جريحة النفس دامية القلب :

قد كنت لي جبلا الوذ به
فتركتني اضحي باجرد ضاح

قد كنت ذات حمية ما عشت لي
امشي البراز وكنت انت جناحي

فاليوم اخضع للذليل واتقي
منه وادفع ظالمي بالراح

واذا دعت قمرية شجيا لها
يوما على فنن دعوت صباح

واغض من بصري واعلم انه
قد بان حد فوارسي ورماحي

وسلمى بنت حديث النضرية تنوح على زوجها «زفرة» نواحا يمزق نياط القلوب فتتأوه في ذلك :

اصبحت نهبا لريب الدهر صابرة
للذل اكثر تحنانا الى « زفر »

الى امرىء ما جد الاباء كان لنا
حصنا حصينا من اللاواء والغير

كان العماد لنا في كل حادثة
تاتي بها نائبات الدهر والقدر

الهجـــــاء :

الهجاء فن شعري كان له وزنه وخطره في ماجريات الحياة الجاهلية ، ذلك لانه حرب لسانية تصاحب ضربات السيف ، فهو تعداد للمثالب ، ونفي للمناقب والمحاسن .

وليس من ريب في ان المرأة قد ساهمت في هذا الفن رغم نزره وقلته ، ورغم انها لم تبرع فيه براعة الرجل ، لانه نوع من الطعن في الاعراض لا يلائم الطبيعة الانثوية اللينة ، ويخالف مبادىء الاخلاق والحشمة .

طلب دريد بن الصمة يد الخنساء فرفضته قائلة : ما كنت لادع بني عمي وهم مثل عوالي الرماح واتزوج شيخا ، واستشاط غضبا ثم هجاها بقوله :

وقاك الله يابنة آل عمرو
من الفتيان اشباهي ونفسي

وقالت انني شيخ كبير
وما نبأتها اني ابن امس

فلا تلدي ولا ينكحك مثلي
اذا ما ليلة طرقت بنحس

تريد شرنبث القدمين شثنا
يباشر بالعشية كل كرس (✱)

ثم تجيبه بقولها :

معاذ الله ينكحني حبركى
قصير الشبر من جشم بن بكر (✱)

(✱) النحيت المنحوت الفقير .
(✱) اللغط : ـ الجلبة والضجيج ـ التأويه : ـ الصوت والصياح .
(✱) شرنبث : ـ غليظ الكفين او الاصابع . ـ شثن : ـ غليظ . الكرس : ـ البعر والبول المتجمد .
(✱) حبركي : ـ طويل الظهر قصير الرجلين او ضعيفهما حتى ليكاد يكون مقعدا . قصير الشبر : ـ المتقارب الخطو .

يـرى شرفـا ومكرمـة اتاهـا
اذا اغنى الجليس جريم تمـر (*)
ولـو اصبحـت فـي جشم عديـا
اذا اصبحـت فـي دنـس وفقـر
قبيلـة اذا سمعـوا بذعـر
تخفـى جميعهـم في كـل جحـر

والخرنق تهجو عبد عمرو بن بشر حين وشى باخيهـا طرفه الى عمرو بن هند فاجهزت عليه تقول محتدة غاضبة ثائرة:

الا ثكلتـك امـك عبـد عمـرو
ابـا الخزيـات واخيـت الملوكـا
هـم ركلـوك للوركيـن رطـلا
ولـو سألـوك اعطيـت الدوكـا
فيومـا عنـد زانيـة هلـوك
كمـل الرجـع مزهرهـا ضحوكـا

وهند بنت عصم الدوسية تحقد على كنتها فتشكو بهـا الى زوجها يزيد في هجاء مقذع ينال من اعز ما تعتـز به المـرأة وهو الجمال والاخلاق قالت

ايزيـد قـد لاقيـت منكـرة
عجلـت بامـك مدخـل القبـر

الفخـــر :

العرب امة افتخرت بشجاعتها وفضائلهـا ومكارمها وقـد اقترن فخرهم غير ما مرة بهجاء الاعـداء والطعن فيهـم ، فكان الشاعر العربي يعدد محاسن قومه ويمجد قبيلته بما تتحلى به من مناقب ، غير ان الشعراء في بعض الاحايين يتعدى فخرهم الى الافتخار بانفسهم .

والنساء الشواعر افتخرن ، لكن ذلك لم يتعد نطاق الفخر بالقبائل والاقارب ، لنستمع الى الخنساء تفخر بقومها وهـي بصدد الرثاء :

واقنـى رجالـي فبـادوا معـا
فاصبـح قلبـي لهـم مستفـزا
لذكـر الذيـن هـم في الهيـا
ج للمستطيـف اذا خـاف عـزا
كـأن لـم يكونـوا حمـى يتقـى
اذا النـاس مـن عـز بـزا (*)
وكانـوا سـراة بنـي مالـك
وزيـن العشيـرة مجـدا وعـزا
وهـم منعـوا جارهـم والنسـا
ء يحفـز احشاءهـا المـوت حفـزا
غـداة لقـوعـم بـلمومـة
طحون يغادرن في الارض ركـزا (*)

الى آخر القصيدة التي تفيض فخرا وعزة بقومها الافذاذ .

والخرنق وهي في مجال الرثاء تفخر بقومها فتقول :

لا يبعـدن قومـي الذيـن هـم
سـم العـداة وآفـة الجـزر
النازلـون بكـل معتـرك
والطيبـون معاقـد الازر (*)

وليلى الاخيلية تتباهى بمجد قومها ورفعتهم :

لنـا تامـك دون السمـاء واصلـه
مقيـم طـوال الدهـر لم يتحلحـلا
ومـا كـان مجد في انـاس علمتـه
مـن النـاس الا مجدنـا كـان اولا

تطوان ـ محمد المنتصر الريسوني

(*) جريـم : تمـر يابس .
(*) من عز بز : من غلب سلب .
(*) ملمومة : كتيبة مجتمعة . ـ طحون : ـ يعني تطحن كل شـيء .
(*) البيتان مر ذكرهما .
(*) تامك : سنام ، والمراد بذلك مجد سامق عال .



تطور الاسماء والالقاب في المغرب

للاستاذ : عبد القادر القادري

هذا العصر هو عصر التطور ، كل شيء فيه يتطور ، الافكار والعقائد والقيم والمفاهيم ، الاخلاق والتقاليد الصور المادية للحياة المسكن والملبس والمأكل ووسائل المواصلات ووسائل الاعلام ، الحرب والسلم ، الآلة ، الانسان .

ولا يمر يوم ولا تمر ساعة بل لا تمر لحظة لا يذكر فيها لفظ التطور من اقصى الارض في الغرب المتحضر والشرق المتاخر في كل مكان ، ولا يوجد شيء واحد ولا عمل واحد ولا مفهوم واحد لا تدخل فيه فكرة التطور .. ولا يتصور الناس شيئا في الحياة كلها الا من خلال فكرة التطور التي تشمل كل شيء وكل كيان «1» .

هذه المقدمة هي التي حفزتنا الى تسجيل التطور الذي ادخل على اسماء والقاب المغاربة منذ جرى نظام الحالة المدنية المحدث بظهير شريف مؤرخ في 18 جمادى الاولى عام 1369 الموافق لـ 8 مارس 1950 وخصوصا بعد احراز المغرب على استقلاله حيث أصبحنا نسمع اسماء والقابا غريبة عن اسماعنا ولا عهد لنا بها من قبل يتخذها المغاربة القابا لعائلاتهم **كالاسماء التركية** : رمزي ، فكري ، نوري ، صدقي ، نيازي ، نشأت ، عصمت ، حكمت ، شوكت ، رافت ، شوقي .. حمدي **والاسماء الفارسية** سيبويه ، نفطويه ، رستم ، رضا ، حكيمي ، مصدق ارسلان ، شاهين ، ميرزا ، آية الله . **والاسماء المصرية**: طنطاوي، فؤاد، نحاس، مكرم، محمود، عامر. **والاسماء الهندوسية** : غاندي . **والاسماء اللبنانية المسيحية** : جبران ، الخوري . **والاسماء الباكستانية** جناح . **والاسماء الاندونيسية** : سوكارنو . **والاسماء الحجازية** : النجدي ، السعودي ، الوهابي ، القاضي.

بينما اتخذ بعضهم اسماء عظماء الشرق الاسلامي كالغزالي ، والسيوطي ، والزمخشري ، والكيلاني ، والجاحظ ، والايوبي ، ومروان ، وتيمور، وعبده ، والعقاد ، والحريري ، والمنفلوطي ، والطبري ، والبيهقي ، والطنطاوي ، والطوسي ، والرازي . وحمل البعض الاخر اسم قطر افريقي بكامله حيث كلفوا انفسهم بما لا تطيق كاسم غانا بلاد نكرومة الذي يحمله اليوم مغاربة على اكتافهم ، واصبحت الكنى الحديثة تصادف الهوى في قلب الشباب ابو كمال ، ابو فراس ، ابو المجد ، ابو المودة ، ابو خالد . وان كان احب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن كما ورد في الحديث ، فقد حذف بعض المغاربة ــ عفا الله عنهم ــ الذين سماهم اباؤهم بخير الاسماء كعبد الكريم عبد العزيز عبد الجليل اسم عبد ولام التعريف فاصبحت اسماؤهم : كريم ، عزيز ، جليل ، ظنا منهم ان عصر العبودية قد زال وانقضى مع ان التي زالت هي عبودية الانسان لاخيه الانسان اما العبودية لله فما زالت وستبقى في الدنيا والاخرة ، والندب الى التسمية بالاسم النبوي واسماء الانبياء فما زال الكثير من المغاربة يحملون ولله الحمد تلكم الاسماء كاسم سيدنا محمد وسيدنا عيسى وسيدنا ابراهيم وسيدنا موسى ، كما يحملون ايضا اسماء الخلفاء الراشدين والصحابة كابي بكر وعمر وعثمان وعلي وحمزة ، ويتبركون باسماء الصوفيين فيتسمون باسمائهم كالجيلاني نسبة الى الشيخ عبد القادر الجيلاني مؤسس الطريقة القادرية ودفين بغداد « 471–561 هـ » وباسم المدينة المنورة

«1» مقدمة محمد قطب في كتابه التطور والثبات في حياة البشرية .

كالمدني وباسم مكة المكرمة كالمكي وباسماء زوجات النبي « ص » : خديجة ، عائشة ، رقية ، وبنتاه فاطمة الزهراء ، وزينب وباسماء ولدي سيدنا علي كر مالله وجهه : الحسن والحسين وباسم ام النبي « ص » آمنة ، ومرضعته حليمة السعدية ، وباسم بنت ابي بكر الصديق ، اسماء ذات النطاقين .

واما الاسر القديمة فما زالت تحتفظ بالقابها ولا تبغي عنها بديلا ، لانها توارثتها ابا عن جد كعائلة الفاسي الفهري وبوطالب واليوسفي والسقاط والعبودي والقادري والكتاني والعلوي والادريسي والصقلي وابن جلون والدويري والطاهري والعراقي والتازي وبناني وبرادة والعمراني والعلمي وكنون وجسوس والكوهن واللعبي والحبابي والحلو والقرشي وزنيبر وعواد ومعنينو وحجي والحرش والحصيني والعوني والبارودي والدكالي والناصري والزواوي والصفار وبركاش والمريني وسباطة وضاكة وفرج ومرسيل وبريبش وبنعبد الله وبلافريج والبريبري والبدراوي والبيطاوري وطليدانو ووالزهراء والرغاي وابن الغازي وغنام والابيض والازرق والعياشي والدبي ودينية وموريتو والقرطبي وكراكشو وبوهلال واللحياني والحساني والعيساوي والدغيمر وفرشادو وجوريو والفريي وزكيك والعيماني والزواغي والاغزاوي والودغيري والكردودي والشدادي وفنيش وابن المبارك وابن شقرون وابن خضراء وابن ابراهيم وابن احساين وابن المعطي وابن بركة وابن المليح وابن موسى وابن زاكور وابن سليمان والطريس واللبادي والدفوف وبوستة وافقير واحرضان وامزيان والمنبهي وبوعشرين والبلغيثي والطنجي والخطيب وبنونة والشفشاوني وابن عرفة وابن سعيد وابن الحسني والعمراوي والزعيمي والجعيدي والحجوي والعوفير والمدور وابن يوسف والبزيوي والحمراوي والحريشي والشرادي والشياظمي وملين واجديرة وبلكورة والشرقاوي والمصمودي والصديق وحكم والرندة وابن عزوز وعاشور وبريطل والرايس وجلزيم والحسناوي والعبدي وبنعمرو والقباج والقصري والعروسي وبيرو ووالعلو ولوباريس ومتجينوش والسائح وخالص وابن يعيش والرجراجي وكيليطو والزياني والزناتي والريش والريح وبرق الليل والهواري وكريم والبحراوي والحنصالي وابن اليمني وابن عسيلة وابن فارس والبوري والسباعي والفكاك وميكو وغلاب والسحيمي والمستاري والصباغ وابن الراضي وفنجيرو وابن صالح وبوجندار والتادلي والتادلاوي وابن مشيش وابن شمسي وابن هيمة والبواب وسكيرج وابن كيران والمرنيسي والصنهاجي والريسوني وابن السراج والسعيدي والتسولي والبرنوسي والبقالي وقمرادة والبقالي وابن دورو وابن دراعو والمصلوحي والغماري واللوح ، والمالقي والجزولي والرفاعي والتباع والمعروفي وغيرهم ممن لم تستحضرهم الداكرة .

وتضيف بعض البيوتات الكبرى لقب جدها الاكبر الذي تنتسب اليه الى لقبها كاضافة الفهري الى الفاسي والكيلاني الى القادري والعبدلاوي الى العلوي والقيطوني الى الادريسي او الصفة الى لقبها كاضافة الشريف الى الكتاني بينما لا تضيف بعضها لقبا الى لقبها .

ومما تجدر اليه الاشارة الى ان اسماء شرقية دخلت فى اسماء المغاربة حديثا وهي نعيمة وليلى ولمياء وحياة وآمال ورشيدة ومجيدة وتوفيق وشوقي ومراد وفاروق وجمال وصلاح الدين وجمال الدين سمير ومصدق وشكيب وعبد الرؤوف وامين وفريد وفؤاد وفيصل ونجيب وسعيد وحميدو ومحمود ورفيق وشفيق وعزمي وعزام والمفتي .

ويلاحظ ان بعض الشرفاء الكتانيين يسمون اولادهم باسمين : محمد الباقر ، محمد ناصر الدين، احمد المهدي ، محمد المنتصر ، جعفر الطيار ، كما ان بعض الشرفاء القادريين يسمون اولادهم كذلك باسمين بسبب كثرة تشابه اسمائهم الشخصية: احمد توفيق ، محمد علي ، احمد نور الدين ،

وتذكر بعض العائلات القديمة اسم ابيها بعد ذكر اسمها الشخصي كما يفعل المصريون والامريكان: احمد حسن الزيات صاحب الرسالة وليندون بن جونسون رئيس امريكا .

وبعد ، فهذا قليل من كثير عما يجب الكتب فى تاريخ اسماء والقاب المغاربة فى العصر الحاضر قمنا به لحفز همم الكتاب والمؤرخين الى العناية به وكل ما نقصده هو خدمة تاريخ المسلمين والله ولي التوفيق .

الرباط — عبد القادر القادري

سأسن الفدا الشعب كريم

للأستاذ الشاعر : عبد الرحمن الدكالي

ننشر هذه القصيدة العصماء بمناسبة ذكرى ثورة الملك والشعب للشاعر الفذ الاستاذ السيد عبد الرحمان الدكالي المرشد العام للقوات المسلحة الملكية .

واقد استطعنا أن نحصل على هذه القصيدة من الاستاذ الشاعر الذى يعد ديوانه للطبع .

والاستاذ الشاعر السيد عبد الرحمان الدكالي يعتبر من الرواد الاولين فى الحركة الوطنية الذين عصفت النخوة فى رؤوسهم ، وركب فى نفوسهم حس الادب ، وموهبة البلاغة ، فساعدوا على التوجيه المرشد ، والتنبيه الموقظ ، واشعلوا بعض الضوء فى الظلام الدامس ، والطريق الطامس ، كما اعلنوها حربا عوانا على المستعمر الذي اذاق المغرب لباس الجوع والخوف . فكانت قصائدهم تثير الحماس ، وتلهب المشاعر ، وتبعث النخوة ضد الخنا والفساد ، وبغي المترفين .

ويعتبر ديوان الاستاذ عبد الرحمن الدكالي سجلا للاحداث التي قام بها العرش المعتيد ، والوطنيون الاقحاح لتحرير الفرد والامة من النير الباهظ ، والكابوس الثقيل الذي بهظ الامة ، وارهقها ولا غرو فهو القائل :

ان ديواني الكبير سجل عنك لا ابتغي بدونه فخرا

« دعوة الحق »

عرفتني حوادث الدهر حرا لا اجاري الزمان مدا وجزرا

حسبي النصح مخلصا لبلادي لست والله ابتغي عنه شكرا

كنت قبل استقلالها ابذل النصـ ـح وافني على الملا ما استسرا

اتحنى لها وابكي عليها حين يبدي الوحوش نابا وظفرا

سل بلادي اذا سالت خبيرا حين كانت تسام ذلا وقهرا

بين قتل وبين نفي وسجن كان هذا القريض ينشر نشرا

منذ عامين لم اقل بيت شعر اتراني قد ضقت بالشعر صدرا

ان شعري لاجمل اليوم عندي من رياض الربيع غصنا وزهرا

ما هجرت القريض طوعا ولكن شغلتني عنه مسائل اخرى

انا فى خدمة الامام وشعري بمديح الامام يعظم قدرا

اي ملك فى الارض طولا وعرضا نال ما نلت يا محمد ذكرا

هي اعمالك العظيمة تتلى بجميع اللغات عصرا فعصرا

قلت للدهر « ان نفسي اعلى من عروش الدنا اذا عشت حرا

غايتي فى الحياة شعب كريم   مستقل موحد يتحرى

لست ارضى له حياة خنوع   لست ارضى بان يباع ويشرى

لست ارضى سياسة الميز فيه   اي فرق ما بين عين واخرى

لست ارضى بان اراه بئيسا   سلبوه من ثوبه ، فتعرى

انها صرخة العظيم سيلقيـ   ـها على الدهر ثائرا مستمرا

لا تذوب الشعوب ظلما وتبقى   ارضها للملوك فيهم مقرا

انما الشعب والمليك بارض   درجوا فوقها يمين ويسرى

آن للشعب ان يشق طريقا   وعلى العرش قبله ان يمرا

الوفاء الوفاء للشعب يقضي   ان اضحي وان اذوق الامرا

ساسن الفدا لشعب كريم   لم يجرد للحرب بيضا وسمرا

انا للشعب قائد ومجير   كيف ارضى للشعب ظلما وجورا

حسبي الله ان تغيت واهلي   لا ابالي ولو توسدت جمرا

محنة طال صهرها لبلادي   فبلادي من جلدها تتفرى

يا ابا الشعب عش لشعبك وحد   ه وشيد صرح العلا مشمخرا

حسبك الله ناصرا ومعينا   فبه نلت فى جهادك نصرا

مكن الحب فى قلوب رعايا   ك وكم صار عسرهم بك يسرا

كلما حل عيد عرشك حلت   ازمات وكان للشعب بشرى

قبل ان نستقل كان يرينا   منك ما قد افاد عقلا وفكرا

كان عيد انطلاق شعب من القيـ   ـد يعاني من المصائب كثرا

لم يكن مهرجان شعب ولاكن   كان بعثا الى البلاد ونشرا

كان ايقاظ امة من سباة   كنت فيه الهزبر يزار زارا

ان عيد استقلالنا وانبعاث   اتيا بعده جهادا وصبرا

ايها الشعب انت احفظ للعهـ   ـد الولاء الولاء سرا وجهرا

طاعة الله ان نكون جميعا   عند راي الامام نهيا وامرا

نحن ابناؤه جميعا وحاشا   واحد من بنيه يقصد شرا

انما الشعب اسرة وبنوه   اخوة كلهم يؤمل خيرا

فتعوذ بالله يا شعب ممن   بيت الشر او تعمد غدرا

الرسول الكريم قال تئاخوا   ولتشدوا على الاخوة ازرا

لم يفرق ما بين بيض وسود   اكرم الناس اكثر الناس اجرا

قد نهانا قرءاننا عن نزاع   وكفى بالوعيد فى الاي زجرا

قدروا نعمة الاله علينا … واذكروا كيف كنتم قبل اسرى

حرم الدين ان يفرق شعب … بقبيل او عادة دون اخرى

جسد واحد اذا مس عضو … اشتكى الكل منه داء وضرا

نحن فى العدل والحقوق سواء … وسواء ان كان يسرا وعسرا

نانف الغدر والخيانة والغش … ونرضي الاله دنيا واخرى

ما رزايا الشعوب الا انشقاق … زرعته يد العدو فأثرى

احذروا ان ينال منكم مرادا … انه لا يزال يمكر مكرا

ارفعوا راية البلاد وكونوا … من صروف الزمان اعظم قدرا

يا ابا الشعب دمت للشعب حصنا … لا تدع للشقاق فيه مقرا

قد لمت الخطوب كانت جساما … فتولت بالعزم كرا وفرا

يعلم الله ما تقاسيه لاكن … ان عند الاله ما شئت ذخرا

اي شعر يهدي لعرشك مولا … ي ثناء وللعزائم شكرا

ايه مولاي قد وهبتك شعري … ونثرت البيان والسحر درا

بك يسمو البيان فى الشعر والنثـ … ـر ويبدي العيي فى النطق جارا

ان ديواني الكبير سجل … عنك لا ابتغي بدونه فخرا

كتبته عشرون عاما فوفيـ … ـت البلاد العزيز ما كان نذرا

سمع الشعب فى المعامع شعري … صارخا لا لا تشربوا الضيم مرا

« اشربوا الموت فى الكريهة حلوا » … واتبعوا القائد العظيم الهزبرا

فسلام عليك مولاي لما … عدت للشعب بعد نفيك قسرا

وسلام عليك تعلن انا … لن نرى بعد يومنا قط اسرى

وسلام عليك والشعب يدعو … يوم عيد الجلوس عمرت عمرا

كل لفظ مهما سما بالتهاني … لم يعبر والله عما استقرا

عشت يا سيدي لشعبك عاشت … اسرة العرش ما علا واشمخرا

عاش من قال قبل نفيك « لا لا » … لفرنسا وبعد نفي اصرا

ولي العهد راس اركان حرب … حسن الفعل والصفات الاغرا

ندبته العلا فكان جديرا … بالمعالي وكان بالشعب برا

لك مولاي قد رفعت قصيدا … بك فاحت مسكا وندا وعطرا

كتبتها يدي ولاكن قلبي … كان يملي علي شطرا فشطرا

ورجائي والله منك قبول … لست ارضى سوى الرضا منك مهرا

الرباط — عبد الرحمن الدكالي
المرشد العام للقوات المسلحة الملكية

دم للبلاد مجددا أعيادها

الشاعر ادريس الجاي

هيا افرحوا ، واستبشروا استبشارا ... وتذكروا ميلاده تذكارا

فى مثل هذا اليوم هل هلاله .. فاضاء ارجاء الحمى وانارا

فادر على نخب السعادة كأسنا ... كأس السرور وداعب الاوتارا

واستوح عبقر من بديع لحونها ... ما الهم الشعراء والاطيارا

وليمطر الفردوس من افنانه ... وردا حوالي عرشنا مدرارا

واشرب على نخب السعادة مرة ... اخرى ، وهات رحيقها ان دارا

فاليوم عيد مليكنا « الحسن » الذي ... لما يزل للمكرمات شعارا

عيد الشباب تعقبوا خطواته ... فترعرعوا من حوله احرارا

متطلعين الى المعالي مثله .. يقفون رمز العز انى سارا

العزم شيمتهم ، ومنه تعلموا ... ان العزائم تقهر الاقدارا

كانوا سيوف الله يوم كريهة ... اذ قام فيهم صارما بتارا

فاهتزت الدنيا له ، ولهم وللشعب (م) الذي اصلى الاعادي نارا

ما ظنكم بابن المجيد « محمد » ... من ثار شطر الارض ، لما ثارا ؟ !

من كان والده ابن يوسف لم يكن ... الا ابيا ، ثائرا ، مغوارا

* * *

من كان والده ابن يوسف لم يزل ... ابدا يضيف الى الفخار فخارا

من كان والده ابن يوسف لن تراها (م) تستباح اذا حماها ، الدارا

من كان والده ابن يوسف لم يزل ... يوم الشدائد صامدا صبارا

لا يستكين ، ولا تلين قناته ... حتى يقول : لقد اخذنا الثارا

وعن الاشم الاطلس الجبار عما (م) حوله انا محونا العارا ..

تم الجلاء ، ولا نبيع ترابنا .. ولئن يزنه مساوم دولارا ! ..

* * *

ايه شباب المغرب الاقصى اذكروا ... اجدادنا ، واستنطقوا الآثارا

كانوا هداة للشعوب ، فان غزوا ... اسروا الملوك ، ودوخوا الامصارا

كانت سنابك خيلهم ان قعقعت ... ملأت أنوف الجاثمين غبارا

واذا سفين بلادنا خاضت عباب (م) ... البحر ، لم تر فوقه بحارا

عجبا لمن وهموا ، وظنوا اننا ... نحيا على مجد مضى وتوارى

حتى رأوا ان العزيز مليكنا ... بطل يقود الجحفل الجرارا

جيش الشباب ، النصر خلف ركابه ... ان سار سار ، وان يحلق طارا

❋ ❋ ❋

ايه شباب المغرب الاقصى ، كما ... واجهتم الاهوال والاخطارا

هيوا لنرفع ما تقوض ولنقم ... ما هدّه اعداؤنا فانهارا ..

ان الشجاعة في الحروب جميلة ... ما لم تصر يوم البناء فرارا ..

كونوا عصا « الحسن » المجيد وفجروا ... من كل صخرها هنا انهارا

البحر والصحراء مرتع غيرنا ... فمتى نجوب ونسبر الاغوارا ؟

ومتى تحلق في السماء نجومنا ... تهدي الى افلاكها الاقمارا ؟

ومتى نغوص الى عوالم ذرة ... لما تزل انساقها اسرارا ؟ ..

للسلم لا للسطو ، انا امة ... لا تبتغي لسوى الظلوم دمارا

❋ ❋ ❋

ولى زمان كان فيه امرنا ... بيد العدى ، فاستهتروا استهتارا

وتهافتوا جشعا على خيراتنا ... واستأثروا بنعيمنا استئثارا

اثروا بكدح شبابنا وشيوخنا ... واستنزفوا المليار فالمليارا

واليوم بعد ذهابهم ما عذرنا ... الم يسل عرق الجبين نضارا

ليكون ذخرا للبلاد وأهلها ؟.. ... ما عذرنا ؟ لا نلتمس اعذارا ..

❋ ❋ ❋

هاتوا السواعد يا شباب فأرضنا ... ما باركت الا الفتى الشمارا

هاتوا المعاول للمناجم واحفروا ... ان الكنوز ترقب الحفارا

وعلى الحقول تسابقوا كفوارس ... ركضوا ، وكل يهمز « الجرارا »

هذي جياد العصر ، هبوا وامتطوا ... صهواتها ، واستثمروا استثمارا

والى المصانع حركوا عجلاتها ... كونوا الى تيارها تيارا

فغد كما شئتم يكون ، وانه ... سيكون اجمل ما يكون نهارا

❋ ❋ ❋

ايه شباب المغرب الاقصى اذكروا ... ايام كنا في البلاد اسارى

والرعب خيم ضاربا اطنابه ... لما عتوا واستكبروا استكبارا

كنتم كتائب وحدتها نكبة .. ... نكراء ، فاحتدم الحماس اوارا

وفديتم العرش المكين وربه ... مستبسلين اشاوسا احرارا

حتى اتى النصر المبين مكللا ... ملكا وشعبا ظافرا قهارا

* * *

طوبى بني وطني لخير شبابنا ... ابطالنا ، شهدائنا الابرارا

ماتوا ليحيا بالكرامة شعبنا ... ... في ظل عرش قاوم الاعصارا

رسخت دعائمه كشم جبالنا ... وسما ، فخر مطاول اكبارا

انا رفعنا فوقه « الحسن » الذي ... منه الشباب تعلم الاصرارا

حمل الامانة ، وهي عبء فادح ... ان العظيم ليحمل الاوزارا

فبه اقتدوا ، وبهدي حكمته اهتدوا ... دوموا لفخر شبابنا انصارا

واستلهموا منه الطموح ، وشيدوا ... للعز صرحا شامخا ومنارا

* * *

عدوا ملوك الارض او اقيالها ... واستفسروا عن شانها استفسارا

اترون اعلى همة من ملكنا ... واجل امجادا ، وامنع دارا

واحد في ليل الخطوب بصيرة ... ان خاضها يزجي لها الانوارا ؟

قسما به وبتاجه ، وبعرشه ... ما كان الا مفردا مختارا !

* * *

ملك الشباب : اسلم لكل عظيمة ... فبفضل عزمك ندرك الاوطارا

عزم الشباب يرى الخطوب صغيرة ... ويرى الاماني اذ تلوح كبارا

* * *

حسن الفعال ابوك انبت غرسنا ... حتى نما ، فتعهد الاشجارا

وسقى الشباب جذورها بدمائهم ... فتبرعمت افنانها ازهارا

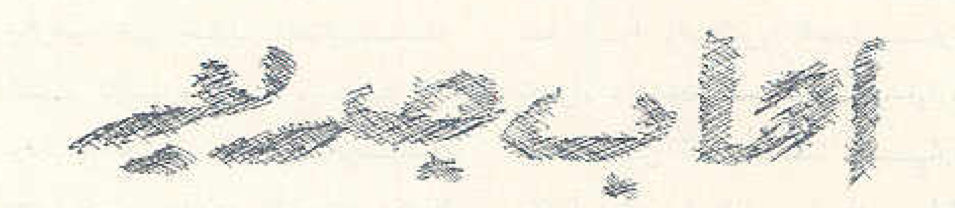
ورعيتها من بعده فتفتحت ... فلنجن في العهد السعيد ثمارا

بك نحتمي ، والى فخارك ننتمي ... اكرم بعرشك للكرام جوارا

دم للبلاد مجددا اعيادها ، ... ما دمت فينا لن نرى اكدارا

واهنأ بعيدك عيدنا ، واسلم لنا ، ... ملك الشباب ، ومتع الانظارا

الرباط : ادريس الجاي



للشاعر: عبد المجيد بن جلون

ان الطبيعـــة أم	لكـل ما فـي الوجـود
خـرجت أسعـى اليهـا	مـرددا لنشيــدي
والجسم مني عـار	أمام بحـر مديـد
ألهـو وأسبـح فيـه	والقلـب جـد سعيـد
فـأكرمتنـي أمـي	بعطفهـا المعهـود
وجـاءت الشمس منهـا	الى ابنهـا المعمـود
أهـدت الى الجسم بـردا	يـزري بكـل البـرود
أمـاه شكـرا جزيـلا	علـى الاهـاب الجديـد

الرباط : عبد المجيد بن جلون

بين ضيـف ومضيـف

أضاف رجل رجلا آخر فأطال في زيارتـه حتى أمسى الليل وأظلم البيت . فقال الضيف يا صاحبي أين السراج فقد أظلم البيت ؟ فقال المضيف : ان الله تعالى يقول: واذا أظلم عليهم قامـوا .

وما قلبي بأول طائر

للشاعر: عبد الكريم النواتي

ادنياي دغدغت الحياة ببسمة ... زهت ليهاها ريقات البشائر
تأودت فاشتاقت لسحرك انفس ... سباها جمال من جفون فواتر
وملت فمالت في انتشاء قلوبنا ... اليك وتاهت في شفاه نواضر
ادنياي عيناك اللتان اهاجتا ... فؤادي فاشتقاتك كل خواطري
بدوت فخلنا الشمس تسطع في الضحى ... وتهت فكنت النور في كل ناظر
ادنياي هدهدت النفوس بنظرة ... لها في حنايانا جحيم الهواجر
حرقت بها احشاءنا فتطهرت ... فاكرم بها نارا واكرم بطاهر
ادنياي نهداك اللذان تناجيا ... وعينيك كانا ريقات الازاهر
احسا فتونا واستطابا هواجسا ... فهاما على رقص ووقع مزاهر
وانت فتاتي نعمة وملذة ... ودنياك احلام ونغمة شاعر
ونفسي في دنياك ولهى تهافتت ... احاسيسها واستعذبتك محاجري
اناجيك حيرانا وادعوك والها ... وارجوك نشوانا اسير خواطري ...
ادنياي اما مال قرطك وانثنى ... يداعب جفنا كالسيوف البواتر
تمايل جيد مشمخر مقلد ... تمائم تنجيه عيون الفواجر
ادنياي لو مستني منك انامل ... تدغدغ اوهامي وتسحر ناظري
تأوهت سكرانا وذبت تلذذا .... وعشت حياتي استلذ سرائري
ادنياي بعثرت الشعور فظللت ... حبيبا تهاوى دونه كل باتر
فاحسست من رؤياه لذة نشوة... ... اظل كما اجتر اسرار خاطري
ادنياي اما افتر ثغرك باسما ... تمايلت نشوانا بكل ضمائري
ساهواك يا حلمي فانت اثيرة ... لقلبي ، وما قلبي بأول طائر

فاس : عبد الكريم النواتي

الأبطال الثلاثة

للشاعر: المدني الحمراوي

تقديـــم :

لقد اوحت هذه الصورة الفريدة التي تمثل اللقاء التاريخي الذي تم في بور سعيد عام 1863 بين الاميرعبد القادر الجزائري رقم (1) والامام الشيخ شامل القوقاسي بطل الثورة القوقاسية رقم (2) في القرن الماضي، للشاعر الاستاذ المدنـي الحمـراوي بهذه القصيـدة التـي عنـونهـا بالابطال الثلاثة :

وقد نشرنا مقالا في موضـوع هذه الصورة في العدد الخامس من « دعـوة الحـق » لهذه السنة تحت عنوان . « وجوه التشابه بين الامير عبد القادر الجزائري والامام الشيخ شامل القوقاسي » للاستـاذ عبـد القـادر القادري ..



ذكـروا الجيل انه كاد ينسـى ... كل ذكـرى لزمـرة الابطـال

ذكروا هذه الشبيبة حتـى ... تبصر النور في سلوك الرجـال

وتحيي ذكراهمـو ثـم تحيـي ... منهمـو كـل همة وفعـال

انهم قـدوة الشبـاب ومرمـى ... كل فكـر لنـا وكـل خيـال

اذكروا « شاملا » فقد كاد يـردي
دولة « الروس » فى حروب الجبال
بطل « القوقز » الذي قاتـل القيـ
ـصـر كي تستقل ارض «الهلال»
فقضى خمسة وعشرين عامـا
حاملا فى الوغى لـواء النضـال
انه الشهـم قـد سعـى لعظيـم
يتخطـى مراقـي الآمـال
قـام فى دولـة الصليب جهـارا
يتحدى بالحق كـل ضـلال
قام يحيي للمسلمين بعـزم
دولـة ذات صولـة ومعـا
ترك « الشيخ شامل » حلقة الذكـ
ـر الى حومة الوغـى والنـزال
تـرك الدرس والمحابـر دهـرا
وارتمـى فى معامـع الاهـوال
انها همـة الرجـال اذا مـا
صمموا لا يردهـم اي حـال

* * *

مثله فى كفاحه الفـذ عبد القـ
ـادر الحـر فـاس الاقيـال
كان فى امـة الجزائـر فـردا
عربيا بعـد خيـر مثـال
ثـار كالنـار فى وجـوه الاعادي
ماحقـا كـل جحفـل ميـال
عرفت يومـه العصيب فرنسـا
حين ذاقت به صروف الوبـال
صامـدا فى كفاحـه مستميتـا
لم يجد سلوة سوى فى القتـال
قارع المعتدين عشر وخمسـا
من سنين الوغـى بكـل احتمال
فارتقى ذروة الكفاح واضحـى
شامخ الذكر خالـد الاعمـال

* * *

لست انسى عبد الكريم اذا مـا
عد اهـل الجهاد مـن كـل آل
بطل المغـرب الـذي كبد الاسبـ
ـان فى « الريف » شر كل نكـال
ثم القى على « فرنسا » جحيمـا
كاد يودي بجيشهـا والمـال
دوخ الامتيـن دهـرا وابـدى
لهما معجزاتـه فى النـزال

* * *

هؤلاء الرجال ابطـال حـق
دافعـوا عنـه دونمـا اخـلال
سوف تبقى ذكراهمـو فى خلـود
يتوالـى على ممـر الليالـي
تلهم الناس كلما حـل خطـب
ان يـذودوا عن الحمـى بالنضال

الرباط ـ المدني الحمراوي

تسائلني...

للأستاذ الشاعر: ابراهيم السولامي

تسائلني والهوى بيننا
وشلال عطر على انحنى

احقا هوى قبلنا احد
احقا حبيبي هووا مثلنا

اكان لهم مثل هذا الجمال
اكان لهم مثل هذا الفنى

تمل عيوني لتنطقها
لتبصر فيها جمال الدنى

وهذا جبيني وهذي يدي
اصابعها من خيوط السنى

لنا الليل يرفل فى ذهب
وامواج كل البحار لنا

وكل خريف وكل شتاء
وكل ربيع لنا وحدنا

احقا حبيبي هووا قبلنا
احقا حبيبي هووا مثلنا

وتدفن راسها فى كتفي
فاصمت . كيف اجيب انا

القنيطرة — ابراهيم السلامي



ان كنت تجهل معنى المال فى النسق ... فسل عن المال اهل البؤس والملق

فكم من الناس قد باعوا ضمائرهم ... واستحسنوا نيله من اقبح الطرق

حتى غدو عكس ماهم فيه اهل حجى ... وقوة ، مذ ناوا عن موطن الزلق

من لم يكن فيهموا بالمال معتصما ... فعيشه بينهم في ظلمة النفق

ان صرت فيهم بئيسا كنت متهما ... بكل عيب ، عديم الجاه والخلق

فالمال في اهله عنوان عزتهم ... والمال في أصله حصن من القلق

والمال دنيا واخرى عند صاحبه ... وهو المطية عند العاقل الحذق

ان العيوب به مستورة ابدا ... فهو المبرد للأهوال والحرق

ان الفقير معزى في مهابته ... يعيش مضطربا في الهول والغرق

فالبؤس اصل البلايا ، فيه قد جمعت ... عوامل الشر والارهاق والحنق

والبؤس مقت وحزن للبئيس ، ومن ... آثاره محنة الوسواس والارق

ضاعت من الناس اخلاق ومكرمة ... وصار ايمانهم في اللحم والمرق

والدين عندهم لهو ومهزلة ... والعلم في رايهم حبر على الورق

ان الغنى مدحة تسمو بصاحبها ... والفقر اصل الاذى والطيش والنزق

ان الفقير اذا ابدى شجاعته ... قالوا : قمين بقطع الباع والعنق

وان تغاضى احتشاما في كرامته ... قالوا : ضعيف ، سليل الذل والرهق

يا ليته لم يكن حيا ، فعيشته ... عبء جسيم ، بدا في آخر الرمق

وان تقدم للآيات يشرحها ... قالوا : عيي خجول بارد العرق

المال داء لمن زلت عقيدته ... وهو الدواء من الاهوال والفرق

فالنار والنور ضدان به اجتمعا ... وهو الحسام بكف البارع اللبق

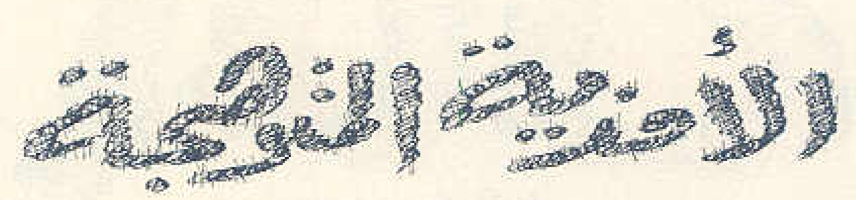
والمال مشكلة الاجيال قاطبة ... ما كان من سابق منها وملتحق

فالمرء مهما اعتلى في ماله بشر ... وانما خلق الانسان من علق

ايماننا عندنا كنز ، ومعقلنا ... في (قل اعوذ برب الناس والفلق)

الرباط ـ محمد العلمي





للأستاذ : ياسين رفاعية

كان يدرك والاحذية تمر باصحابها امامه مسرعة او مبطئة ، ان حياته معلقة بها .. فان حذاء واحدا اذا اتجه نحوه الآن لاستطاع ان يشتري خبزا .. وآخر لاستطاع ان يشتري (فلافل) .

وهو يدرك ايضا ان مركزه في هذا الشارع حساس جدا ، انه حي جديد ، والاناقة لا تتم الا اذا كان الحذاء نظيفا .. تعلو رأسه لمعة وهاجة كالشمس. ولكن لماذا يمرون امامه مرور الكرام ... لايلتفتون نحوه .

« يجب ان تفتح عينيك جيدا .. ان هؤلاء القوم لا يمكن ان يقفوا امامك لتمسح لهم احذيتهم .. الم تشاهد تلك الصالونات الفخمة الانيقة التي بدات تزدحم بها المدينة ، مقعد وثير جميل .. ثم مجلة يقرأ فيها .. او صحيفة يستطلع خبرا منها ، ثم ربع ليرة فقط ، فما بالك تريد ان يأتوا اليك ، ليقف من يريد مسح حذائه على قدم واحدة .. والحر يلفح الوجوه ، ليقتصد عشرة قروش فقط » .

كان يلعن الزمن من صميمه .

لقد حسب فيما لو انتقل الى هذا الحي ان يجد سوقا ارسع لا مزاحمة فيه .

بالامس ، حين كان في حي العمارة ، احد احياء دمشق القديمة ، كان اصحاب صنعته كثر ، وقد انتشروا على طول الرصيف متلاصقين ، يكادون يمسكون بالاقدام كي يتقدم اصحابها ويمسحوا احذيتهم ...

ومع ذلك ، لم يكن كاصحابه هؤلاء ، بل كان يعتمد في رزقه على الله .

بالامس استطاع ان يعمل بمبلغ تسعين قرشا ، مبلغ لا باس به اخذ منه نصفه ليضعه في صندوقه الخشبي ، فيدفع في آخر الشهر منه اجرة غرفته التي استاجرها في خان يسمى « بين الحواصل » ان المبلغ الذي يعمل به طوال شهر كامل، يكاد لايكفي ايجار الغرفة وبعض الضروريات ثم هناك امه ، انها تنتظره كل مساء .. امه العجوز كانت تود ان تتسول ، الا انه لم يرض لها هذا المصير ، انه لايزال شابا في مقتبل العمر .. واشترى بالنصف الاخر خبزا وفلافل تكفي الاثنين وجبتا الظهر والمساء .

وفي اليوم الذي قبله ، كان الخميس ، استطاع ان يسهر طويلا ، والمبلغ محترم ، انه ليرة سورية ونصف الحمد لله على هذه النعمة .

لكنه اليوم ، قصد هذا الحي ، لعل اجره يتجاوز في الربع ساعة التي يعمل جهده بها ليظهر الحذاء جديدا لامعا : الخمسة عشر قرشا .

هذا .. الحذاء ، ان الغبار تعلوه يا رجل ، لماذا تمر هكذا ، يجب عليك ان تنظفه .. انك ترتدي بذلة بيضاء ، فليس جميلا ان يكون حذاؤك وسخا .

وانت .. لا ، ان حذاءك نظيف ، وهذا الجورب الذي ترتديه ، انه جميل جدا ، ليتني استطيع الحصول على مثله ، لا بأس ، حين يقترب العيد ، يزداد عملي ، ويزداد كرم الزبائن، عندئذ ساقتصد مبلغا خاصا واشتري جوربا مثله ، ترى .. االستحق ان ارتديه في حذاء كحذائي الممزق ، وتحت بنطال كبنطالي الوسخ » ... يا الهي .

وصفق الشاب بيديه ، وفرك كفيه قليلا ، ان رجلا يتقدم نحوه ، جميل .. سيضع الآن حذاءه

امامه ويبدا هو عمله .. وينقطع عن هذا الهذيان الذي يؤلمه .

— ارايت فتاة تلبس ثوبا احمر قانيا .. مرت امامك منذ لحظات .. ؟

واكتفى ان هز راسه علامة النفي ، وارتسمت على وجهه امارات البله وابتعد الرجل قليلا يستطلع نهاية الشارع ، ثم عاد نحوه .

ومد ماسح الاحذية نظره نحو حذاء الرجل ، انه لم يلحظ نظافته ولمعانه ، ثم لماذا .. وضع الرجل قدمه امامه وامره بمسحه ... ؟ وشعر بالسرور وهو يبدأ عمله بهمة ونشاط .

« ان الرجل يرتدي بذلة كحلية ، ويرتدي جوربا ابيض ، وحذاؤه اسود وشكله جميل » يجب ان تنتبه لئلا تلمس الاصباغ الجورب . فتكون الطامة الكبرى »

وانساه حذره الشديد وانتباهه ، انساه ذلك الآمه ووضعه المعذب ... وفجأة ..

راى الرجل يخطف قدمه من امامه بسرعة ، ويقذف وجهه بقطعة فضية من فئة الربع ليرة ويمضي

والتفت اليه ، فاذا به يرحب بمقدم فتاة طويلة ، شقراء ، جميلة ، ترتدي فستانا احمر مشدودا على جسدها اللدن ، شيء يثير عواطفه من مكامنها وغرائزه من اوكارها ، لقد شاهد مثلها ، امراة تشبهها تماما ، في العيد الكبير السابق ، ولكن على شاشة سينما غازي ، ممثلة شقراء بارعة ، ولا يذكر اسمها .

وعاد الى نفسه ، وتحسس الربع ليرة « استفتاحة بالصلاة على النبي » .

انها جاءته في دقائق معدودات . « يالله .. يارزاق .. ياكريم » .

امه بالامس قالت : انني اتمنى ان اصنع لك لونا من الوان الطعام يسمى « المجدرة » يجب ان تقتصد على الاقل ليرتين .

فوعدها ان يعطيها المبلغ في العيد .. واذا جاءه عدد من الزبائن من نوع الزبون الاول استطاع ان يحقق امنية امه العزيزة .

ما اعظم هذه السيارة التي تقف امامه .. لقد نزل منها رجل طويل ، عريض المنكبين ، بعد ان فتح السائق له الباب ودخل البناية التي يجلس بجانب من جوانبها ، ودخل السيارة ثم خرج ، ونظر الى ساعته ، ثم تقدم نحوه .

— الله يعطيك العافية ..

— الله يعافيك ياسيدي ..

ووضع ماء على الصابون : يارب ... ياستار

وبدا يحرك فرشاة بالية في يده ، ثم مسح فردة من الحذاء في خرقة تلونت بالوان الاحذية .

انه يعمل بجد ونشاط ... ثلاث فرنكات .. لاباس فيها .. لعل هذا السائق من عائلة متوسطة ، ولكن حذاءه متين وجوربه جميل ، وبنطاله يقف كحد السيف .. يظهر ان معلمه : وزير .. نائب .. تاجر .. لا اعلم .

ووضع الاصباغ على قطعة من الاسفنج ، وبدا يحركها بلطف فوق الحذاء .

ومرت سيارة ، وقفزت قطة ، واذا بصوت « الفرامل » يزعق بشدة على اسفلت الشارع الاسود ، والتفت ماسح الاحذية والسائق معا ، واليد تعمل في الحذاء ، ثم التفت السائق بذعر نحو جوربه .. ورفع يده واسقطها بقوة على وجه ماسح الاحذية ، ثم اتبعها باخرى ، وهو يشتمه ويقول : الم تنظر ماذا فعلت يا وقح .. البويا .. فوق الجورب .. اين عينيك .. ؟ وصرخ المسكين : ارجوك ياسيدي .. لم يكن قصدي ... لم يكن قصدي ..

وانهمرت الدموع مدرارا من عينيه ..

وفي هذه الاثناء ، خرج الرجل : الوزير ، النائب ، المهم ، خرج .. واستفهم الامر من السائق ، فقص عليه ، واذا به يامره بركوب السيارة ، ثم التفت نحو ماسح الاحذية ونظر اليه نظرة رثاء ، وكان هذا لايزال يمسح دموعه بكمه ، ومد الرجل يده الى جيبه .. واخرج قطعة نقدية واسقطها في احضانه .. ثم مضى .

توقفت دموع ماسح الاحذية فجاة ، ونظر بدهشة الى الليرة الفضية التي استقرت في كفه .. ولمسها كأنه في حلم .

انه لم يقبض في حياته هذه الليرة مرة واحدة ، هذه الليرة كان يراها حين كان ابوه على قيد الحياة .. كان يقبض مثلها اثنين ، وهو يعمل (فاعلا) يفرق الحجارة عن الرمال بواسطة غربال كبير ... ولكن .. منذ ان توفي ابوه ، بعد ان انهار عليه حجر كبير من قمة الجبل فحطم رأسه .. لم يعد يراها قطعة

واحدة قط .. فكيف يراها الان تهبط عليه فجاة من السماء ، انه يرجو الله ان يأتيه بأمثال هذا السائق وسيده الوزير .. النائب ، كثيرا ، ويضربه كل سائق لياخذ من كل وزير ، نائب تاجر ، هذه الليرة الفضية الجميلة .

« ليرة وربع ... عظيم جدا » .

وبدات الشمس تتجه نحوه ، يجب ان يغادر هذا الرصيف الى الرصيف المقابل .. ووقف . ثم وضع صندوقه على كتفه ، ومقعده في يده . ومضى الى الرصيف الآخر .

ان الحرارة هنا اخف وطأة .

هذا الشاب يتأبط كتبا .. والى جانبه فتاة لعلها طالبة مثله .. انهما يسيران الهوينا ، ولم يلبثا ان وقفا امامه دون ان يشعرا بوجوده .

قال الشاب : يجب ان تعرفي انني احبك ..
واجابته : وانا كذلك احبك .. وسعل وسعل . لكنهما لم يلتفتا اليه ، وكان يريد ان يشعرهما بوجوده ، لكنهما لم يابها ، وبعد قليل التفت الشاب واعطاه قدماه بلا مبالاة ، وهو يتابع حديثه مع الفتاة . عن الحب . عن الزواج . يجب ان تنتظره . يجب ان لاتقبل اي خاطب .

وحين اندمج ماسح الاحذية في عمله ، لم يعد يدرك حديث الشاب والفتاة حتى اذا انتهى من مسح الحذاء كانت الفتاة تودع الشاب بحرارة .

وخرجت الكلمات من فم صاحبنا : الله يوفقكم وينيلكم مرادكم ..)

واستطاب الشاب الدعاء . فنفحه نصف ليرة .
(ـ يا الهي .. اشكرك .. اشكرك ..)

(هناك ثلاثة اطفال يلعبون الكرة ، قذفها احدهم . اصابت راسه . انهم يضحكون عليه .. ما اجمل الاطفال ، كالملائكة ..)

وقذف لهم الكرة ، وفعل آخران قذفها مرة ثانية نحوه فاصابت صدره .

لعلهم يقصدونه ، كان يحسب ان الاولى عفوا .. ولكن لاباس ، لن يثور عليهم ، انه يحبهم ، ما اجمل هذه الملابس التي يرتدونها .. لعلهم ابناء وزراء او نواب .. ان ابا رمانة لايقطنه الا اولئك ..)

وقذف اليهم الكرة ، فاستلقاها ثالثهم . واعادها نحوه بشدة فاصابت راسه بقوة (انني تألمت من الضربة يجب ان ابعدهم عني ..)

وقذف الكرة بكل ما اوتي من قوة .. فتراكض الثلاثة نحوها ضاحكين .. حتى ابتعدوا عنه ، فضحك ، وان كان لا يزال يتألم من راسه . ان الاطفال لاتفارقهم السعادة ..

ورأى خادم تتقدم نحوه تحمل بيدها احذية نسائية ، انها مكتنزة الجسم .. جميلة .. تمشي بدلال ولولا هذا المنديل الاحمر الذي يلف مؤخرة راسها لحسبها ابنة احد العظماء .

وقذفت بالاحذية امامه ، ثم قالت : يجب ان تمسحها بشكل جميل ..

ـ امرك ياسيدتي

وراقها ان يناديها « سيدتي » وهي التي اعتادت ان تنادي الناس بهذا اللقب دون ان تحلم يوما ان يناديها احد به .. واسندت ظهرها الى الجدار ، فبرز صدرها بشكل مغر .. مما دعاه ان يمر بقطعة الاسفنج فوق يده . ويصبغها بلون البويا .

وحدثته عن سيدها العظيم ، انه رجل مرموق وسيصبح من كبار رجال البلد في وقت قريب ، وسألته عن حاله ، فكذب عليها قليلا .. وصدق قليلا فاستلطفته ، لمح ذلك من خلال ابتسامتها التي اشرقت على ثغرها

ولما انتهى من مسح الاحذية . اعطته ليرة فضية . ثم قالت : انتظر قليلا سآتي لك بأحذية سيدي انك شاطر ...

وذهبت ، ثم عادت بعد قليل واعطته احذية رجالية .

ولما انتهى ، نفحته ليرة ثانية .. فكاد يطير من الفرح ، ولكنه كتم ذلك ، ثم سالته ان يعود هنا غدا وستعمل على الدعاية له بين زميلاتها الخدم ، ويكون عمله مربحا ، فودعها شاكرا ، واعطته ابتسامة مغرية ، جعلت غريزته المكبوتة تتفتح ، ودعته يفكر جديا بالعودة كل يوم الى هذا الحي العظيم .

ولما وصل غرفته في المساء ، الفى امه تنتظره .. فرمى في احضانها المبلغ كله .. اربع ليرات الا ربعا .

ـ يجب ان ناكل غدا « المجدرة » ولا باس اذا اشترينا غدا بطيخة .

وابتسمت الام ابتسامة مشرقة ، قلما ترتسم على شفتيها الا في الاعياد .

دمشق ـ ياسين رفاعية



- 4 -

استدعى القائد شاشون ابنته رحمة وقال لها :

ــ ابنتي المحبوبة ! لقد قبلت رغباتك ، واستغنيت عن حياة المسيحيين . سيرافقوني غدا الى فـــاس وسأسلمهم الى السلطان الذي يمكن ــ اذا كانت تلك رغبته ــ أن يفنيهم او يبقيهم . وسيفنيهم بالتاكيد اذا ظهر أن جؤاو محتال نصاب

عانقت رحمة والدها ، غير انها لم تنبس ببنت شفة . وابتهجت وانشرح صدرها ، لانها كانت متأكدة ان جؤاو لم يكن محتالا ! ولكنهـا فى الوقت نفســه ، شعرت بالحزن العميق ، لان جؤاو سيغادر القريــة فلا تستطيع ان تراه مرة اخرى .

قال الوالــد :

ــ لايساورك الحزن على فراقي يا نـور عينـي فبفضل الله ومشيئته سأعود قريبا ، فاهيىء حفلــة زفافك بصديقي القديم القائد عمار زازور .

ــ أبتاه ! الان فقط اشعر بان السـرور يزايـل قلبي لاني لا استطيع ان اتزوج واتركك .

ــ لا تكوني طفلة حمقاء ! اذهبي واخبري مبارك والعبدين الاخرين ان يستعدوا لرحيلنا غدا ، وان يجهزوا بغلين بردعتين كي يحملا هؤلاء الاســرى ، يمكن لاثنين منهما ان يمتطيا بغلا بكبليهما ، اما جـؤاو فسينزع عنه الكبل ويركب البغل الاخر . وهكـــذا سيعامل المسيحي بمنتهى الرافة كما تهوين .. ولكـن يجب ان يحلف بالله انه لن يحاول الفرار .. هيا مري وصائفك ان يوجهن الحراس ليحضروا جؤاو ، وقومي البس (الحايك) وانتقبي حتى يمكنك ان تمكثي معنا فى الحجرة فتسمعي ما يقوله الكافر ، وما سأصدره مـن اوامــر

وعندما دخل جؤاو تصنع القائد روح الصداقة، وعلت وجهه ابتسامة وقال :

ــ جؤاو ، لقد قررت ان ءاخذك الى المشـــور السعيد ، حيث ان مولانا وسيدنا طبقا للمرسوم الذي قراته يفضل ان يأخذك فى خدمته كصانع اسلحــة . واريد منك ان تنسى كل ما حدث ، وان نصبح منذ الان اصدقاء ثم قال للعبيــد :

ــ انزعوا عنه هذا الكبل الذي يعرقل حركته .

ثم التفت الى جؤاو وقال :

ــ اذهب لاحاجة بنا الى حارس يحرسك ، لانك الان حر طليق اذا حلفت بالله العظيم انك لن تحاول الفرار.

ــ ونزع الكبل عن جؤاو الذي كان علـى وشـك ان يجيب اجابة ثائر متعجرف ، لكن رحمة التي كانت تقف وراء والدها خفضت لثامها ووضعت اصبعهـا على شفتيها ملتمسة منه الا يعارض . حينئذ اجـاب مبتسما :

ــ شكرا ايها القائد . اني اقبل صداقتـــــك وسأنسى الماضي . وكذلك احلف بالله الذي اومـــن به ــ كما قلت ــ حقيقة وصدقا ، اني لن احـــاول الهرب . لكني اراني ملزما ان اطالب بتحرير رفيقـي في الاسر ، وبأن يعاملا برفق مثلما اعامل .

انحنت رحمة على اذن والدها وهمست :

ــ لتاخذك الرافة والشفقة على المسيحيـــن المسكينين يا ابتاه ، والله تعالى يبارك خطواتــك ويجازيك احسن الجزاء .

عندئذ التفت القائد الى جؤار واجاب :

ــ سيكون الامر وفق ما تريد .. وعلي ان ارى هذين الاسيرين فى الحـال .

وعندما قال ذلك ، صفق بيده ، لكن لا مبارك ولا اي تابع ءاخر سمع التصفيق او استجاب للنداء . ونهض القائد بسرعة ، وخطا خطوات في فناء الدار وهو ينادي مبارك بصوت عال . واغتنم جؤاو خلو المكان فصب في صوت منخفض تشكراته القلبية لرحمة اللطيفة . وانتزع من عنقه الشيء الوحيد الذي كان يملكه ءانئذ ، وهو سلسلة فضية علق بها صليب فضي صغير وقال :

— اقبلي هذا تذكارا ممن هو مدين لك بحياته . وهو يامل من اعماق قلبه ان يراك مرة اخرى في هذا العالم .

احجمت رحمة اولا عن قبول الهدية حينما رأت الصليب ، لكنها قبلتها اخيرا وكأنها اعتزمت ان تحتفظ بالسلسلة دون الصليب او ان تحتفظ بالاثنين دون ان تجرؤ على لبسهما . ثم قالت :

— لن يكون ذلك ابدا ، لسنا مثل المسيحيات ، بل نحن محجبات مقيدات الحركة ، قد نعامل معاملة الاسيرات فلا يسمح لنا بابداء الراي فيما هو اخص خصائصنا .. لقد اخبرني والدي مثل قليل انه عند عودته من فاس سيزفني الى العجوز القائد عمار ، اني بائسة اشعر بالشقاء كلما فكرت في مغادرة والدي الذي يحبني ، وفي السكنى تحت سقف واحد مع من لا يمكن ان احبه .

قال جؤاو وكأنه وجد فرصة لكي يضرب ضربته :

— رحمة ، هل تستطيعين حب نصراني يومن بالله ويحبك اكثر مما يحب حياته هو ؟

تلعثمت الفتاة ، ثم قالت وهي تخفي وجهها الذي علته حمرة الخجل :

— استطيع ، وفي الحقيقة اني احبك .. ولكن حبي عبث في عبث . قال جؤاو :

— لن يكون عبثا في عبث ، تأكدي اني عندما اسر السلطان بصناعتي وفني ، وافوز برضاه ، سأرتمي عند اقدامه متوسلا ان يطلب يدك من والدك ، وان يزوجني بك اذا كنت تحبينني حقيقة .

وفجأة طرق سمعيهما رنين سلاسل الكبلين لذا نشلت رحمة من اصبعها خاتما فضيا صغيرا واعطته جؤاو قائلة :

— ارجو ان تكون بركة الله ورحمته معنا كلينا . ثق بالله يكن لنا امل في اللقاء ثانية .

ثم انسحبت قليلا وغطت وجهها باللثام عندما اقترب والدها متبوعا بمبارك والاسيرين ، ووجه القائد الخطاب الى الاخيرين فقال :

— بناء على شفاعة جؤاو الذي ءاخذه غدا الى البلاط السلطاني ليدخل في خدمة مولانا وسيدنا كصانع اسلحة ، فاني قد استغنيت عن حياتكما ، وستنزع عنكما اغلالكما ، وستؤخذان مع جؤاو الى السلطان ، وعلى قرار جلالته يتوقف مصيركما ، وكيفما كان الامر اقسم لكما — اذا ما حاولتما الفرار — انكما لن تريا مني اية شفقة او رحمة . ثم وجه خطابه الى العبد قائلا :

— خذهما الى دويرتك واقفل عليهما ، ولكن انزع عنهما اغلالهما ، واجلب لهما الطعام من مطبخي كي يستشعرا الصحة والعافية والقوة وهما مقبلان على الرحلة غدا ، اما جؤاو فضع له مضربة في ساحة الدار ، انه ضيفي ، حر يذهب ويجيء كما يشاء له هواه . ثم التفت نحو ابنته رحمة وقال مبتسما :

— فعلت كل هذا من اجلك يا فلذة كبدي ، وما حيلتي وقد سبق ان سميتك رحمة ، اليس من الرحمة العفو عند المقدرة ، واعتاق ارواح هؤلاء الاسرى ؟

صاح جؤاو : بارك الله فيها — هي رحمة ونعمة في ءان واحد .

وامن رفيقاه على قوله بالاشارة ، لانهما لم يكونا يعرفان العربية مثل صاحبهما .

وفي صباح اليوم التالي امتطى القائد متن بغل فاره ، وامتطى الاسرى دابتين اعدتا لهم ، بينما كان العبد يقود هدية ثمينة للسلطان تلك الفرس الرمادية اللون التي تشبه البرق في سرعتها وقد زينت بلجام جميل ، وسرج مذهب لطيف .

بدت رحمة على عتبة الدار متشحة بحائكها ، وقبل ان يغادر الموكب المكان ، وفي غفلة من والدها الذي كان قد ادار لها ظهره وهو يستعد للمسير ، كشفت رحمة عن وجهها وسحبت السلسلة والصليب الفضيين من جيبها ، وامرتهما على شفتيها اشارة حب ووداع ، فرد عليها جؤاو بان رفع الى السماء اصبعه التي بها خاتمها .

واوفد القائد شاشون الى القصر السلطاني مبعوثا على وجه السرعة ، كي يعلن قدومهم ، ولكيلا يدع اية فرصة لمن يعاديه ان يدس له عند السلطان ،

وحمل المبعوث رسالة منه الى الوزير يعلمه بانه ءات بجؤاو صانع السلاح وبمسيحيين ءاخرين اسيرين ، ليسلمهم الى السلطان فيتصرف فيهم جلالته كيفما شـــاء .

وحينما بقي على انتهاء الرحلة الى العاصمة بضع ساعات ، استقبلهم قائد من قواد الحرس الشخصي للسلطان ، وابلغ رسالة الى القائد شاشون يامره فيها جلالته ان يعتني كل العناية بجؤاو فلا ينبغـــي ان يتعرض لاية اهانة او سوء معاملة وامره كذلك ان يخبر هذا الاخير بان دارا وحانوت حدادة قد اعدا له ، وان الاسيرين الاخريـن سيسكنان معه في نفس الدار ، ثم اخبر قائد الحرس السلطاني القائـــد شاشون ان جلالة السلطان قد اثنى على وفائه وسلوكه الطيب حين احضر جؤاو سالما ، وانه يعتبر محظيا لدى جلالته ، ومن خدام العرش الاوفيـــاء .

وعند الوصول ، اخذ جؤاو ليمثل امام السلطان ، فعلم منه المقابلة انه سيخصص له راتب شهري ودار قريبة من القصر السلطاني ، وان ءالات الحـــدادة ، واكوام من احذية قديمة للخيل قد اعدت ، وان كـــل ماسورة بندقية يصنعها جؤاو يكافا عليهابعشرة مثاقيل واضاف جلالـــة السلطان :

ــ واذا اصبحت واحـــدا مـــن رعايانا المومنين ، فاني ءامر الان بان تعطى كسوة مسلم .

شكر جؤاو السلطان واجاد :

ــ اقبل بكل سرور هدية جلالتكم التي ستحل محل ثيابي الممزقـــة الباليـــة .

وبقبوله الهدية ، فهم ان جـــؤاو لا يلبـــث ان يعتنق الاسلام ، وتنقطع كل صلة له بماضيـــه الدينـــي او الوطنـــي غير انه ربما كان يسر حسنوا في ارتفاء وتميع بالمزية ؟ ولعله نذر في قلبه ان يتظاهر بالزي المغربي ليفوزوا فقط برحمة زوجة له ؟ ولعله قرر مع نفسه ان يظل كاثوليكيا كما كان ، بل لعله كان يامل في ذلـــك اليوم الذي ينبغي ان يعود فيه الى ارض اسلافـــه ويسقط راسه لشبونـــه .

* * *

ــ كان جؤاو صانعا ماهرا حقا ، وقد استطاع ان يصنع عددا من المواسير البندقيات ، حتى قبل ان يغادر القائد شاشون مدينة فاس ، وكان البرتغاليان الاخران هما الوحيدان اللذان يساعدان جـــؤاو في عمله الجديد ، فلم يسمح لغيرهما ان يعمل معـــه ، وكانه عزم الا يطلع احدا من المغاربة على سر مهنتـــه وفنـــه .

ــ كان مولاي احمد المنصور مولعا بكل انـــواع الميكانيكا ، ومهتما بالصناعة اشد الاهتمام ، لـــذا اعتاد ان يذهب بين الفينة والفينة الى مصنع جؤاو ليراه وهو يشتغل ، فيظهر له ارتياحه ورضاه بعمله ، ولا ادل على ذلك الرضى من انه ذات يوم منحــــه درجة ضابط في الجيـــش .

وعزم القائد شاشون على الرجوع الـــى « تمسيلة » ، فاهداه السلطان حصانا مطهما بســـرج ولجام لطيفين وقبل ان يغادر المشور ، ذهب ليـــرى جؤاو ويودعه ، ويخبره عن الحظوة التي نالها عنـــد السلطان ، فوجد جؤاو مسلما « في الظاهر » ومتزيا بالزي المغربـــي ، وضابطا ذا مكانة عالية .

صافح جؤاو القائد شاشون بحرارة وهو يودعه ثم قال لـــه :

ــ انت تعرف اني مدين بحياتي ومكانتي هـــذه لابنتك ، اني انوي ان اتزوج واسكن هنا في فاس ، فهل تمنحني شرف مصاهرتـــك ؟

اجاب القائـــد :

ــ طلبت مستحيلا ، ذلك اني قد زوجتهـــا لصديقي القائد عمار زازور .. ان السلطان ــ وقـــد اصبحت في مثل هذه المكانة سيزوجك اذا طلبت ذلك من جلالته احدى وصائف القصر ، وسيجهزها بشوار افخم مما استطيع ان اقدمه انا لابنتي .

ثم غادر المكان تاركا جؤاو غريقا في بحـــر لجـــي من البـــؤس والشـــك وانقبـــاض النفس ، وانكسار الخاطر وبعد ايام قليلة من رجوع شاشون الى قريته بني مصور ، زار السلطان مصنع جؤاو ، فوجـــد الصـــانع منكبا على عمله ، حريصا على انجاز مهامـــه ، غير ان السلطان لاحظ عليـــه انه شاحب اللون ممتقعه تكسو مسحة من الحزن والكآبة ، لذا ساله عما اذا كان يحس بالم ، او كانت له اية شكاية من اي كان في القصر ، او عما اذا كان الطعام الذي يرسل اليه من القصر غيـــر كاف ، او ليس كما ينبغـــي .

لكن جؤاو اجاب بان ليس لديه اية شكاية ضد اي كان ، وكل ما في الامر انه يحس حزنا يخالج نفسه ، ولا يريد ان يطلع عليه السلطان مخافة ان يسبـــب لجلالته كدرا او عدم سرور . قال السلطان :

ــ تكلم يا جؤاو ، لا تخش شيئا فكل واحد اساء اليك سيعاقب ، وكل ما تساله ستمنحه ، والـــذي اعداه به شجاعة الكلم بصوت عال وبجراة .

امتثل جؤاو لامر السلطان وقص عليه قصة اسره ، والحكم عليه بالاعدام ، ثم العفو الذي صدر في حقه بعد تدخل ابنة القائد .. وعندما ختم قصته صاح جلالة السلطان :

الله اكبر ! لو كان القائد شاشون اخذ حياتك لخسر هو حياته . ان ابنته هذه التي كانت السبب في حصولي عليك هنا سليما ، لصنع البنادق للمسلمين ستكافأ من لدن جنابنا الشريف . ماذا تريد ؟

هنا قام جؤاو بحركة تمثيلية بارعة ، وقذف بنفسه عند اقدام جلالة احمد المنصور ، وقال :

« هي التي انقذت حياتي ، وكنت آمل ان تصبح لي زوجة ، لكن ، واحسرتاه ! ! لقد علمت انها مخطوبة، لعجوز هو قائد قبيلة مجاورة لقبيلة والدها، هذا الذي يجعلني يامولاي بائسا حزينا ... قال السلطان :

— قبل مضي عشرة ايام بلياليها ، ان لم تكن هذه الفتاة قد زفت الى بعلها ، فان اباها سيحضرها الى هنا وستصبح زوجتك ، وسنجهزها بمهر وشوار لطيفين.

وفي الحين صدر الامر بسفر مندوب سلطاني الى قائد بني منصور ، وكان يحمل رسالة تنص على ان القائد وابنته يجب ان يحضرا في الحال الى المشور السعيد بفاس . ومن التعليمات المعطاة لهذه المندوب وجوب التأكد قبل تنفيذ الامر السلطاني من ان بنت القائد لما يتم زفافها بعد ، لانه في مثل هذه الحالة لا ينبغي تنفيذ الرغبة السامية .

وصل المندوب السلطاني الى قرية تمسيلة ، فوجد ان حفلة الزفاف لم تحصل ولن تحصل لان القائدعمار قد مات فجاة بمجرد ما ارتحل القائدشاشون الى فاس رحلته الاخيرة . ولذا صدع الرسول بالامر وقام بتبليغ رسالته فتاهب القائد وابنته الرحيل الى فاس وهو لا يعلم من امر السفر او غايته شيئا .

واخيرا وصلا الى القصر السلطاني ، فلقيا ترحيبا وانزلا منزلا مريحا قريبا من القصر . وبدات الفتاة تمل فكرها لتتسلى او لتفسر ماحدث : لماذا كان هذا السفر ؟ وهل كان من اللازم ان ترافق والدها في هذه الرحلة ؟ لقد تذكرت خطةجؤاو وكلماته الاخيرة التي وجهها اليها قبل رحيله الى فاس وعلمت من والدها حين رجوعه من العاصمة ان جؤاو يتمتع بمكانة عالية عند السلطان ، لذا لم تر داعيا للخوف على والدها ، بلهي ترى بالعكس من ذلك علائم وتباشير تنبىء بتنفيذ ما تصبو اليه من حلم لذيذ . اليس هذا الترحيب والاكرام دليلا على الارادة الحسنة والخبر الطيب ؟ توصلت الى هذا القرار ، لكنها لم تستطع ان تفضي بشيء من ذلك الى والدها ، ولاذت بالصمت .

وما علم جؤاو بوصول القائد شاشون وابنته ، حتى هب لتحيته . وعلى الرغم من ان رحمة كانت محجرا عليها فلم يسمحلهابدخول الحجرة التي تم فيها اللقاء ، فانها استطاعت بطريقة ما ان ترى جؤاو وان تسترق السمع لما يجري بين الرجلين من حديث . وامكنها ان تسمع جؤاو يحيي والدها ويقول له :

— هل ابنتك التي انقذت حياتي في صحة جيدة ؟ اما زالت غير متزوجة ؟ اذا كان الامر كذلك فلا اكتمك اني قد طلبت يدها من السلطان . ومن اجل ذلك امر جلالته بقدومكما الى البلاط .

وكانت الجملة الاخيرة بردا وسلاما على القائد شاشون ، لانه احس انه قد وصل الى شاطىء النجاة بعد ان كان خائفا يترقب ، ويحسب ويقدر ، ويفرض الفروض المختلفة وان الاحتمال الذي كان يشوش باله هو ان السلطان ربما سمع شيئا عن النية التي كان قد بيتها يوما لقتل جؤاو ورفيقه البرتغاليين ، فاستدعاه الان ليحاسبه على ما فرط عنه . ولكن الاحتمال المخيف ، قد اختفى الى الابد ، واتضح الصبح لدى عينين بفضل هذا الشاب الذي اسرع اليه محييا وخاطبا .. اجاب القائد :

— اسمع يا بني ، بما ان هندامك ينبىء انك واحد من المومنين ، وبما انك تتمتع بمكانة لدى سيدنا ومولانا السلطان ، فان اوامر جلالته — كيفما امكن ان تكون — ستطاع بمزيد من الغبطة والسرور .

ولم يكد يلفظ القائد هذه الجملة الاخيرة ، حتى اقبل عليه جؤاو يعانقه ويشكره على حسن القبول وما رات رحمة هذا العناق الحار ، حتى اعترتها هزة من الفرح والاطمئنان ، لانها علمت ان حلما من احلام صباها قد تحقق او كاد .

وبعد ان اوفد السلطان وزيره الى القائد شاشون ليطلعه على الامر السلطاني بان ابنته ستزوج لجؤاو في الحال ، بدات الاستعدادات لاقامة حفلة الزفاف الفخمة . واخذت رحمة العروس الى حريم قائد المشور ، حيث اعدت النسوة هناك حفلة شيقة اخرى . وقدم السلطان صداقا طيبا كان مقداره الف منقال ، كما ارسل جلالته ، ملابس جميلة وجواهر كريمة الى رحمة . وقد كتب العدلان رسم الزواج وامضاه قاضي المدينة وكانوا جميعا حاضرين في الحفلة .

وفي النهاية ، زفت العروس الى عريسها ، فادخلت في « بوجة » مغطاة باردية حريرية مزينة باعمال التطريز ، وحملت البوجة على متن بغل الى دار الزوجية دار جؤاو . وصحبت الموكب عدة فرق موسيقية – وفرقة من الجيش والحرس السلطاني ، وجمهور غفير من ابناء الشعب الذين كانوا يطلقون النار من بنادقهم بينما كانت زغاريد النساء تشق عنان السماء بين الحين والاخر .

بلغ الموكب الدار ، وتولت انزال البوجة اربع من الاماء واخذت الى حجرة مفروشة بالزرابي الجميلة والاثاث الفاخر ، حيث كان جؤاو ينتظر عروسه على احر من الجمر . ساعدت الاماء العروس على الخروج من البوجة ، ثم انسحبن . وبمجرد ما اختلى الزوجان تعانقا عناقا طويلا حارا ، ثم قالت العروس :

– يا حبيبي لقد استجاب الله دعواتنا . انه رحيم . الان ساكون ما بقيت حية زوجتك السعيدة الوفية .. لكن يا جؤاو ، اسألك ان تعيد على مسامعي انك مومن بالله وبيوم البعث . اني مبتهجة لرؤيتك في زي مسلم ، وءامل من صميم قلبي ا نتكون الان واحدا من المومنين . قال جؤاو وقد رفعها بين ذراعيه : رحمة اني مدين لك بحياتي هذه التي اضعها الان تحت تصرفك ، تفعلين بها ما تشائين ، لانها حياتك انت، انت التي مننت علي بها . لكن يجب ان لا اخدعك – لست مسلما – اني مسيحي كاثوليكي . لقد تزييت بالزي المغربي ليعتقد القوم اني مسلم مثلهم ، ولكي استطيع ان اطلب من السلطان ان يزوجني منك .

نزلت هذه الجمل على رحمة كالصاعقة ، وسحبت نفسها من بين ذراعيه ، وشعرت بخيبة امل، وعلمت في ءاخر لحظة انها مخدوعة ، فما العمل؟ قالت:

– لا استطيع يجب ان لا اقبل ، يجب ان لا اغضب ربي بتزوجي من مسيحي .

– الا تعرفين ان نبيكم محمد « صلى الله عليه وسلم » قد تزوج بمسيحية ؟

– بلى ، اعرف انه تسرى بجاريته مارية القبطية، لكنها اسلمت فهلا اسلمت انت ؟

– ءاه يا زوجتي الحبيبة – ساكون لك زوجا وفيا ، وحينما اطلعك على عقيدتي وشعائر ديني ، ستعرفين ان لنا كلينا نفس القوانين الربانية ، باستثناء ان المسيحية لا تبيح التزوج باكثر من زوجة واحدة ، فهل مثل هذا القانون يكدر صفو عيشتك معي يا رحمتي ؟

ويظهر ان جؤاو ، استطاع بكلامه الحلو الجذاب ان يمس شغاف قلب هذه الانثى ، وان يبعثها على التفكير والتأمل ، غير انه لم يلبث ان اضاف قائلا :

– ثم ان شريعتنا المسيحية لا تبيح الطلاق ، مثلما تبيحه شريعتكم .

وهنا احست رحمة انها ليست امام زوج فحسب ، بل امام مبشر حقيقي يجيد الدفاع والهجوم في وقت واحد ، ورأت من الحكمة او من سوء حظها ان تعلن موافقتها فقالت :

– احلف انك لن تتزوج علي امراة اخرى ، وانك لن تطلقني . اجابها فرحا :

– اقسم لك الا اتزوج غيرك ، وان لا شيء غير الموت يستطيع ان يفرق بيننا .

حينئذ ارتمت رحمة – ثانية – بين ذراعي جؤاو وصاحت :

– اني زوجتك المحبة الى الابد ، وساصون عرضك واطيعك .

عاشت رحمة وجؤاو فترة من الزمان تغمرهما السعادة الزوجية . وفي كل مساء يرجع فيه الى منزله، كان يعمد الى تعليم زوجته مبادىء اللغة البرتغالية . وقد وجدها ذكية سريعة الفهم والتعلم ، فسره ذلك واطمعه في تعليمها مبادىء الدين المسيحي . ولم تعارض في ذلك ، وكأنها وجدتها فرصة لتعلم ما تجهله ، ولتتزود بما يزيدها ثباتا على مبادئها ودينها . ولو كانت اخرى في غير فهمها وعلمها وذكائها لسهل التغرير بها ، وتم ارتدادها بسهولة ، غير ان رحمة التي جادت بالحياة على جؤاو ، تراه الان – غير خجل او وجل – يسعى جادا ليحول بينها وبين عقيدة ءابائها واجدادها . دين التوحيد الخالص ، والاسلام الصحيح. وتذكرت قول الله تعالى « ان الدين عند الله الاسلام » فصممت على الثبات والبقاء على دينها ، وكثيرا ما كانت تناقش زوجها بعض الافكار المسيحية كعقيدة التثليث التي لم تكن تستسيغها عقليا ، فكان يحاول ان يفهمها عبثا ان مسالة الدين هي مسالة القلب لا العقل . وكثيرا ما قالت له ان القرءان الكريم لا يفتا يحث الناس على استعمال عقولهم في كل شيء فلا يكونون كالبهائم يساقون ولا يعقلون .. ومما اثار

الجدل بين الزوجين ذات يوم ما بشفقته مـــن ان المسيحية تحرم على رهبانها ان يتزوجوا وينسلوا فعجبت كيف يحدث ذلك والمسيحيون يدعون ان لله ابنا ، اي كيف ينحون لله الولد ويحرمونه علـــى رهبانهم ؟ اليس هذا تناقضـا ظاهرا ؟

واستمر الحال على هذا المنوال ، الـــى ان انباها ذات مرة بانه يامل وينتظر ذلك اليوم الـــذي يستطيع ان ينتحـل فيه سببا لمغادرة البـلاط المغربي ، ويهرب الى البرتغال ، لقد تعودت رحمة على الحياة المدنية بفاس ، ولم تكن حياة المدينة شيئــا جديدا عليها ، فقد عاشت كثيرا في مدينة طنجــة مع اسرة خالها ؛ بيد ان الحياة في العاصمة لاءمتها ؛ فلم تكن ترى مبررا للرحيـل او الهروب .

وبعد مرور حول كامل على قرانهما ، رزقا بنتـا جميلة ارادت رحمة ان تسميها فاطمة الزهراء ، تيمنا بابنة رسول الله « ص » وباسم والدتها الشريفــة المتوفاة ، ولكن جؤاو عاوضها في ذلك وسماها « مريم » باسم والدة منقذ البشرية كما قال واسرتها رحمــة في نفسها ، ولم يجدها نفعا قولها له :

— دعني اسمي بنتنا هـذه بالاسم الذي اريد ، حتى اذا ازداد لنا ولـد ذكـر ، تركت لك الحريـة في تسميته كيفما تشـاء .

وازاء تصميمه وعزمه ، لم تر بدا من القبـول وقالت في نفسها :

— ليت اطماعه تقف عند هذا الحد ، فلا يطالب غدا او بعد غد بتعميدها ، على انـه ان حـاول ذلك ، عرفت كيف انصرف وكلت له الصاع صاعين ، ولـو اقتضى الامر بتبليغ ذلك الى مسامع الجلالة الشريفة.

* * *

كان جؤاو صانعـا ماهرا ، وظل يتمتع برعايــة السلطان مدة ، صنع خلالها مواسير كثيرة للبندقيات، وكان ينقش على تلك المواسير كلمة **سيدي** بحـروف عربية الى جانب اسمه هو بحروف لاتينية وذلك للدلالة على ان هذه صنعت خصيصا للسلطان . ولم يكن هذا المسيحي هو الذي يصنع وحده الاسلحة ، لقد كـان هناك مغاربة ايضا ، لكن صناعتهم كانت ادنى درجـة من صناعة جؤاو ، ولهذا اقبل السلطان على صناعـة هذا ، واهمل او كاد صناعة اولئك ، واحس المغاربة بان وصول جؤاو الى فاس كان وبالا علـى صناعتهم ، واحسوا الى جانب روح الابتكار لديه ، ذلك انه لـم يشأ ان يستخدم معه اي مغربي بل انه لم يشأ ان يزور محله اي مسلم ، وهكذا الحرم على المغاربة دخول مصنعـه ، حتى لا يطلعوا على طريقة صنعه ، فيفقد بذلك مكانته لدى السلطان .

وذات يوم اجتمع صناع الاسلحة المغاربة للتشاور في الامر . ماذا يصنعون وقد فقدوا كل ما كان يحبوهم به السلطان من عطف ورعاية بمجرد ما قدم هذا الاجنبي الى فاس ؟ واتفقوا فيما بينهم على وجوب كشف سر صنعته . لكن كيف يمكن ذلك وهو لا يسمح بدخـول مصنعه الا للسلطان ؟

واخيرا اهتدوا الى طريقة ، ذلك ان البرتغالي كان معتادا على تنظيف مصنعه دوريـا ، فكان يعنـــى بتبييضه كل شهر . لكن ما الحيلة واليهود هم الذين كانوا وحدهم يشتغلون بحرفة التبييض في جميع انحاء المغرب ؟ وتقدم احد الحدادين باقتراح يقضي ان يتنكر في ثياب يهودي ، ويتقدم لفتنة لجؤاو كي يبيض لـه حانوته كل شهر بثمن معتدل . وحصل الاتفـــاق وظل الصانع المغربي يتردد على الحانوت بقصد التبييض كل شهر . ولم تكن عملية التبييـض لتحول دون استمرار الصانع في صناعته . لذلك كان المغربـي البيض يقوم بعمله وفي نفس الوقت كان يسترق النظر ويتمعن في الصنعة الى ان حذقها واصبح قادرا على التقليد والمحاكاة . وقد نجح في ذلك نجاحا كبيـرا وصنع ماسورة بندقية من الحديد المبروم **وقدمهـا** لجلالة السلطان فاعتبرها مـن الجودة والمتانة بمثابـة ما يصنعه جؤاو نفسـه .

واستدعي هذا الاخير الى المشـور السعيد ، وسئل كيف تمكن الصناع الوطنيون من صنـــع المواسير المبرومة فلم يحر جوابا وايقن في النهاية انه قد خدع ، وان شخصا ما كان يراقبه اثناء العمـل فتمكن من حذق صناعته واتقان حرفته . وبمـا ان احد المغاربة لم يكن يدخل مصنعه ، فانه اعتقـد ان اليهودي البياض هو الذي قام بدور التجسـس ، ونقل اسرار صنعته الى الصناع المغاربة المسلمين .

تمكن الصناع المغاربة من فن جؤاو وصنعـوا المواسير الجيدة من الحديد المبروم ، وصـارت البنادق تباع باثمان بخسة في فاس ، وصار السلطان يشتري كميات كبيرة . وشعر جؤاو بالمضايقـة وان مهمته قد انتهت وان الاحتكار لم يبق له مجال الان فدبر امره وقرر مغادرة العاصمة غير اسف لانه تمكن في هذه الفترة من جمع اموال طائلة .

التمس اذن السلطان لكي يزور مع زوجته وابنته صهره ، ومنح الاذن ، فاشترى بهائم حمل عليها اثقاله التي لم يكن من الممكن التصرف فيها بالبيع او الترك في فاس ، وابتدأ رحلته مع عائلته تجاه قرية تمسيلة من قبيلة بني مصور .

وبعد قضاء بعض الوقت مع زوجته في منزل والدها حيث لقيت الاسرة الصغيرة ترحيبا فائقا ، استاذن جؤاو اصهاره في الرجوع الى فاس حيث ينتظره عمله الرسمي ، فوافق القائد وسائر افراد العائلة بشق الانفس ، وبعد لاي .. وذات صباح غادر جؤاو وعائلته القرية ، لكن بدل ان يتجه الى فاس ، اتجه الى طنجة ، واوقفت حراسة الحدود القادمين وبعد صعوبة تمكن جؤاو من ان يفهم الحرس البرتغالي بأنه برتغالي مثلهم ، وانه هو جؤاو صانع الاسلحة ، وانه الآن متنكر فقط في ثياب مسلم ، وسمح له في النهاية بالمرور ، واخذ هو وعائلته الى الحاكم البرتغالي بطنجة ، وقص عليه مغامراته وقدم له زوجته وطفلته مريم ، وفرحت عائلة الحاكم بعائلة جؤاو التي ظلت في ضيافتها معززة مكرمة طيلة اقامتها في هذه المدينة الجميلة .

لم تكن طنجة جديدة على رحمة ، فقد عرفتها من قبل ، وعاشت بها في دار خالها مدة من الزمان وكان في استطاعة رحمة لو طال بها المقام في طنجة ان تبعث الى اخوالها سرا تعلمهم بوجودها بين ظهرانيهم ، ولكن الوقت لم يطل اذ ان حاكم المدينة سرعان ما اخرج لهم جواز السفر الى لشبونة حسب رغبة جؤاو .. ولم تشا رحمة ان تبدي اية معارضة ، بل رأتها فرصة سانحة ان تغامر بدورها ، وان تسافر الى اوربا لتطلع وتشاهد ءاثار المسلمين ، ولتزداد علما ومعرفة بالمجتمعات والناس .

وقدر لرحمة لاول مرة في حياتها ان تركب سفينة شراعية تحملها مع زوجها وابنتهما الصغيرة الى عاصمة البرتغال ، وزود جؤاد برسائل توصية حصل بمقتضاها على وظيفة مربحة ، وكتبت رحمة الى والدها تخبره بانها مع زوجها في بلاد النصارى ، وانها اضطرت الى هذه الهجرة لان جؤاو لقي منافسة خطيرة في فاس من اجل الصنعة ، وكان يخشى انتقام المغاربة بعد ان فشا سره بينهم ، وبعد ان لم يعد يشعر باية رعاية من قبل السلطان ، وشفع جؤاو هذه الرسالة بهدية الى والدها هي عبارة عن بندقية جميلة نقش على ماسورتها اسم القائد شاشون واسمه هو بحروف من ذهب : جؤاو ناردا عام 1582 .

ونزل الخبر على عائلة شاشون وافراد القبيلة نزول الصاعقة ، وبدات الاشاعات والاراجيف وصار القائد شاشون وابنه محمد يحسان بشرف العائلة يلطخه العار ، ويختمه بخاتم الاحتقار والشنار ، واعتقد الكثير ان رحمة لم تعد مسلمة كما كانت ، وكيف يمكنها ان تقوم بتادية الشعائر الدينية وهي في مجتمع مسيحي كله لا يرعى للاسلام والمسلمين الا ولا ذمة ؟ ام كيف يصبر البرتغاليون الذين فقدوا زهرة شبابهم ونبلاءهم في معركة وادي المخازن ، فلا يسعون سعيا حثيثا الى الانتقام من المغاربة ولو في صورة تكفير رحمة وتمسيح ابنتها ؟

فكر القائد شاشون في السفر الى فاس كي يتصل بالسلطان ، ويعلمه خبر هروب جؤاو بابنته وحفيدته الى البرتغال ، وهو ما كان يفكر في تزويجه لولا الرغبة السامية التي اعتبرها امرا وجب تنفيذه في الحين ، حقا لقد قيل : اتق شر من احسنت اليه . هذا الذي لقي من المغاربة كل عطف ، ومن السلطان كل رعاية ، يكفر بجميع النعم ، فيغادر المغرب فارا وسارقا معا — الم يسرق اموال المغاربة التي منحوه اياها بكل سخاء ؟ الم يخطف جوهرة مكنونة من جواهره المصونة هي رحمة ؟

وبينما كان يفكر قائد القبيلة على هذا المنوال ، سمع طرقا على الباب ، وعلم في النهاية انه علي التاجر النشيط الذي طالما قام بالرحلات بين طنجة وبعض المدن الرئيسية مارا بتمسيلة ، ان هذا التاجر عرف مصيبة القائد من خلال الاشاعات الرائجة فأحب ان يعرج على هذه القرية المنكودة ، وكان مجيئه في الوقت المناسب ، ذلك انه بعد ان اطمأن به المقام وبعد ان افضى اليه القائد بمخاوفه قال :

— دع هذه القضية لي ، اني كفيل بان اجد لها حلا . اجاب القائد :

— ماذا تقول ؟ هل تستطيع ان ترجع لي ابنتي ؟ اراك تخرف وتهرف بما لا تعرف لو كانت ابنتي في طنجة لكان في امكانك الاتصال بها او اغراؤها حتى تاتي معك .

— قلت لك دع المسالة في يدي ولا عليك . الا تدري ان طريق التجارة مفتوح الان بيننا وبين البرتغال الا تدري أني قد سافرت مرارا وتكرارا الى لشبونة

بقصد الاتجار ، فصرت اعرف عاصمتهم كما اعرف طنجة ذاتها ؟

— كيف ما كان الامر فاني مسافر الى فاس ، قال التاجر :

— سافر على بركة الله ، اما انا فوجهتي طنجة ثم بعدها لشبونة .

وتطورت الاحوال تطورا سريعا وعجيبا فقد تاثر القائد تاثرا عميقا لمغادرة ابنته ارض الوطن واصبح يشعر بخطر ارتدادها عن دينها اكثر من اي وقت مضى فحينما كانت في فاس كان يشعر كانها معه ، اما وقد فرت مع ذلك الملعون الذي تظاهر بالاسلام غشا وخداعا وتدليسا ، فان المسؤولية كلها تقع على عاتقها ، انها لا تستحق منه الا الازدراء اما كانت تستطيع المعارضة ؟ اما كانت تستطيع ان تنبئه عن نيتها حينما كانت معه منذ مدة وجيزة ؟ ان هذا يدعو الى الاعتقاد بانها موافقة لزوجها كل الموافقة ، وانها نسيت كلما يتعلق بشيء اسمه الاب او العائلة او التقاليد او الوطن او الاسلام .

ظل القائد يحاور نفسه هكذا اثناء اليقظة واثناء المنام ومن يسمعه يهذي بمثل هذه الاحاديث يحسب انه قد مسه الجنون . وهكذا ظل فترة من الزمن والصدمة لم يخف لها وقع ، حتى أصابه الهم والكدر وحطم نفسه اليأس والكمد ، فلم يصبح ذات يوم الا وهو جثة هامدة واعتقد الجميع انه مات نتيجة الكارثة التي المت به .

* * *

سافر التاجر «علي» الى لشبونة وبحث بمختلف الطرق عن اسم جؤاو وعمل جؤاو ، وعائلة جؤاو ولكن دون جدوى . لم يتمكن من التوصل بأي خبر يقين ، وكاد اليأس يصرعه ، وبينما هو يفكر في العودة ، ويسير في احد الشوارع اذ لمح امراة في ملابس اوروبية وملامح مغربية فظل يقترب منها ويتفرسها ، ويحاول الكلام معها ، ولكنه خشي ان يكون جهاده في غير ميدان ، واخيرا تاكد من هذا الشخص الذي امامه انها قطعا رحمة ، فملامحها وقسمات وجهها تشبه ملامح اخيها محمد وقسماته ، وصار يحدث نفسه ان لابد من مفاتحتها بالكلام ، ولكن هل اذا تجرا بالحديث تستجيب له ؟ ولماذا ؟ اليس في بلاد العجم ؟ اليست هي في ثياب امراة اوروبية ؟ فلتفعل اذن كما تفعل الاوروبية .

وهكذا بداها بالحديث فاستجابت له بل عرفته، انها قوية الذاكرة . الم يزر اخاها ورحى معركة وادي المخازن تدور ؟ انها لم تلقه حينئذ ، ولم يرها هو ، لكنها كعادة النساء راته بطريقة ما .. وعرف منها اشياء ، عرف ان زوجها قد تغير عليها وانه حقيقة لم يتزوج عليها كما وعدها من قبل لكنه اتخذ خليلة تعتبر كالضرة او اشد ضررا ، وابدت له ندمها على ما فرط منها من اتباعها هذا الذي كانت تعتقد انه يحبها حبا جما ، بينما كان في الواقع يقضي بزواجه منها مآربه ليس الا .

وانباها علي من جهته بما تركه هروبها من اثر سيء في والدها الذي يحبها وفي جميع افراد العائلة واصدقاء العائلة . واظهر لها ان والدها يتطلع لذلك اليوم الذي تكتحل فيه عيناه بمرأى ابنته الوحيدة . وناولها رسالة منه في هذا الشأن. وعاود رحمة الشوق والحنين الى مسقط الراس ، وودت لو تجد جناح طائر تطير به نحو ابيها واخوتها الاعزاء . وهنا ابدى التاجر استعداده لتدبير طريقة للعودة الى ارض الوطن اذا كانت هي راغبة في ذلك حقا . قالت :

— هيا بنا الى الدار لتعرف طفلتي الصغيرة وليستانس بك الجيران .

— وزوجك جؤاو ؟

— ذهب في سفرة بعيدة ، ولن يعود .

— هل هرب ايضا ؟

— هربت روحه الى العالم الاخر . قتل في حادثة عفوية .

— وكيف ؟

— وضع رصاصة في بندقية جديدة دون علم من مساعديه وحينما جاء احدهم يجربها ، انطلقت الرصاصة فاصابته .

— مسكين هل كان مسلما ؟

— لم يكن مسلما يوما ما ، رغم ان الجميع كان يعتقد انه مسلم ، في ليلة الزفاف اطلعني على الحقيقة ، فلم اجد بدا من الرضوخ للامر الواقع ، والان لا يعرف احد سواك هذه الحقيقة .

— اذن ، لم يكن زواجكما صحيحا من الناحية الشرعية .. هيا .. هيا ، دبري امر السفر وحاذري ان يكشف لك امر ، والا بطلت خطتنا .

— سأكون حذرة، ومتى نعتزم الابحار ان شاء الله؟

— بعد غد ستقلع سفينة الى سبتة كوني على استعداد .

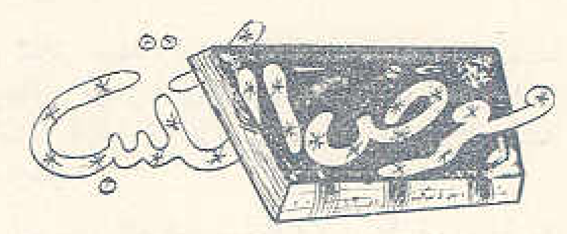
ونجحت خطة علي ورحمة فى العودة من لشبونة الى المغرب ، وفرحت عائلة شاشون بهذا النصر الذي حققه التاجر علي صديق الاسرة . لكن رحمة وعلي لم يجدا القائد شاشون على قيد الحياة فتأثرا لذلك ، ووجدا بدلا منه وفى منصبه ابنه محمدا الذي تزوج اخيرا بابنة عمه طامة ، رفيقة صبا رحمة .

وفرحت عائلة شاشون فرحا كبيرا وشارك افراد القرية هذه العائلة فرحها غير ان هذا الفرح لم يكن ليتم لو لم يأخذ التاجر جزاءه على عمله ، ان للتجارة لغتها الخاصة لذا طالب علي بان يتقاضى ثمنه عاجلا ، ولا ثمنا يرضيه غير رحمة نفسها ، وهكذا ابدى للقائد محمد رغبته فى الزواج من اخته لقد عاشرها فى السفر ، فاعجب بها ، وخلبت لبه بلطافتها وذكائها ، فايقن انه بزواجه منها سيرضي الله والضمير .

ولم يجد الخاطب ممانعة ، لا من طرف رحمة ولا من طرف ولي امرها واخيها محمد ، فتم الوعد بالزواج واحتلفت القرية بالاملاك . وتعهد علي بالسكنى فى تمسيلة حتى يبقى شمل العائلة مجتمعا ، فلا خوف من فرار يحضر او مؤامرة تدبر وكفى الله المؤمنين القتال .

تطوان ـ عبد الله العمراني





قيم جديدة للأدب العربي

تأليف الدكتورة بنت الشاطئ

تقديم وتعليق : الأستاذ عبدالقادر زمامة

عرفنا الدكتورة بنت الشاطئ استاذة قديرة في تحقيق النصوص الادبية ودراسة ابي العلاء المعري ... وتحقيقها لرسالة الغفران . وكتابها عن الغفران سيظلان مثالين رائعين للذاتية والموضوعية في دراسة الادب العربي .. كما ان مقالاتها الادبية في الصحف والمجلات تمثل وعيا ونضجا يستحقان التقديـــــر ..

واليوم تقدم لنا هذه الاستاذة كتابها الجديد « قيم جديدة للادب العربي » .

— فما هي هذه القيم الجديدة ؟
— وما هي الابعاد الادبية التي تقيسها المؤلفة ؟

— وهل هناك ارتباط بين هذه القيم الجديدة والدراسات الادبية المعاصرة ... ؟

هذه هي الاسئلة التي نحاول التحدث عنها والاجابة في هذا الحديث .

فالقيم الجديدة ـ في نظر الكاتبة ـ هي اولا وقبل كل شيء تصحيح مفاهيم الادب العربي ومعطياته ... وذلك ان المؤلفة ترى ان المفاهيم التي اخذت للادب العربي ودراسته في العصور المختلفة كانت مفاهيم منحرفة كليا او جزئيا .. تحكمت فيه زمنا طويلا ...

وتعطينا المؤلفة مثالا حيا في الادب الجاهلي عند دارسيه في القديم والحديث ..

فالدارسون اهتموا بقسم من شعراء الجاهلية فقط ودونوا اخبارهم واشعارهم وجعلوها مادة للدراسة والنقد في حين انهم اهملوا اقساما اخرى من الشعراء لهم من الاخبار والاشعار ما يصح ان يكون مادة خصبة للدراسة المفيدة ...

وتقسم الشعراء الجاهليين الى ثلاثة اقسام :

ـ شعراء القبيلة .. ـ شعراء الصعلكة .. ـ شعراء الامراء والبـــلاط ..

وتعني بشعراء القبيلة اولئك الشعراء الذين اندمجوا في مجتمعهم وعاشوا لغيرهم قبل ان يعيشوا لانفسهم وكونوا تقديرا قبليا حول ادبهم وشخصيتهم ..

وتعني بشعراء الصعلكة .. الشعراء الذين عاشوا لانفسهم وخلعوا انفسهم من المجتمع .. او خلعهم المجتمع .. فعاشـوا يخوضون غمرات الحياة في نعيمها وبؤسها وشقائها وسعادتها..

وتعني بشعراء الامراء والبلاط .. الشعراء الذين عاشوا مادحين متكسبين بشعرهم على ابواب الملوك والامراء ..

وتقول المؤلفة : ان النقاد القدماء والمعاصرين يكادون يهملون شعراء الصعلكة والقبيلة بينما يهتمون بشعراء البلاط ..

ونظرتهم في مفاهيم الادب الجاهلي ومعطياته انحرفت منذ عصر التدوين الاول للادب فلهذا ـ تقول المؤلفة ـ يجب تصحيح هذه المفاهيم .. لتكون دراسة الادب وافية وموضوعية..

وبعد هذا ـ التصحيح ـ الذي يطور اتجاه الدراسة عند المؤلفة تنتقل الى فصل رائع حقا وهو فصل الشعراء الصعاليك وتصدره بهذه العبارات :

« ان شعرهم يمثل الفطرة العربية ويعبر عن معاناة وجدانية لمحنة الغربة والتشرد ويعكس صورة امينة من واقع حياتهم المبعدة عن الجماعة » .

وهذا الفصل من الكتاب قرأته مرتين لانني وجدت حقا فيه مفاهيم وقيما جديدة .. لتقييم تراثنا الادبي الذي تعرض بفعل المحاكاة والتقليد الى ترديد اصداء قديمة في شكل دراسات عصرية مشوهة .

وقارئ هذا الفصل من الكتاب لا يتردد في ان يحكم على الكتب والمناهج بانها مطحية وجوفاء ..

فالشعراء . والمنتخبات . والآراء . والتراجم . والاخبار . التي اختارها الاقدمون . وتابعهم المستشرقون هي التي يهتم بها المؤلفون العصريون الذين يكتبون تاريخ الادب العربي وما اكثرهم ...

اما غيرهم فقد كتب عليهم الاهمال والنسيان وان كان شعرهم دائما مصورا لواقع الحياة العربية في العصر الجاهلي ..

ويعجبك في هذا الفصل ان العرض والاستنتاج اخذ كل منهما حصته من اهتمام ودراسة المؤلفة لانها تقدم دراسة جامعية لا احاديث سطحية .

ويعجبك ايضا ان تعرف ابعاد شعر الصعاليك امثال الشنفرى وطرفة وغيرهما .. مما اهمله مؤرخو الادب العربي القدامى والمحدثون ..

وفي فصل الشعراء القبليين تصور المؤلفة رسالة الشعر الجاهلي في هذه العبارة :

سيادة وقيادة

فالشاعر سيد القبيلة وقائدها وحكيمها وزعيمها .. وعلى ضوء هذه العبارة الموجودة جاءت المؤلفة بآرائها في الشعر القبلي وهي آراء ناضجة عميقة وان كان بعضها معروفا ومتداولا ولكن غرض المؤلفة له حظ من الجمال والتأثير والموضوعية ..

وزعماء الشعر القبلي .. زهير . وعمرو ابن كلثوم . والحارث ابن حلزة وغيرهم .

وفي فصل شعراء البلاط ..

تجرد المؤلفة سيف نقدها الى مؤلفي تاريخ الادب العربي ونقاده حيث انهم احتفلوا اكبر الاحتفال بشعر النابغة الذبياني الشاعر الذي فقد شخصيته ازاء عطايا الامراء والرؤساء.. وكذلك الاعشى الذي عاش تاجرا من تجار الشعر العربي حتى قال في شعره ــ ان الشعر تجارة العرب .

وهذا الفصل ما اجدر طلاب الادب العربي ان يهتموا به اعظم الاهتمام لانه في الحقيقة تقييم وتقويم ..

وتنتقل المؤلفة الى عصر الاسلام والخضرمة وتجيب على السؤال الذي يساله النقاد عادة وهو :

كيف اسكت الاسلام الشعر ... ؟

وجواب المؤلفة عن هذا السؤال التقليدي هو ايضا قيمة جديدة ومفهوم جديد ويتلخص الجواب في نقطتين :

1 ــ ان الاسلام اسكت انواعا من الشعر ..

2 ــ ان هذا الاسكات كان مؤقتا وفي فترة قصيرة جدا اتجهت فيها اهتمامات العرب بشعرائهم وخطبائهم الى العقيدة وبنائها والدفاع عنها وربط الحياة العربية برباط من الايمان والتضحية والابتكار .. ووراء ذلك كانت اسباب قبلية وسياسية انطلقت انواعا من الشعر بل ابتكرت انواعا من الشعر ولا سيما ذلك النوع المعروف بالغزل العذري والحب العفيف ...

وهناك ملاحظة تشير اليها المؤلفة وهي ان مصادر الادب الاسلامي والمخضرم يجب ان تتسع دائرتها لتشمل كتب السيرة والغزوات والفتوح لان فيها من المادة الادبية ما اهمله النقاد ومؤرخو الادب العربي .. وتضرب لذلك عدة امثلة من كتب السيرة والتاريخ والحديث تلقي اضواء جديدة على المفاهيم الادبية في ذلك العصر ..

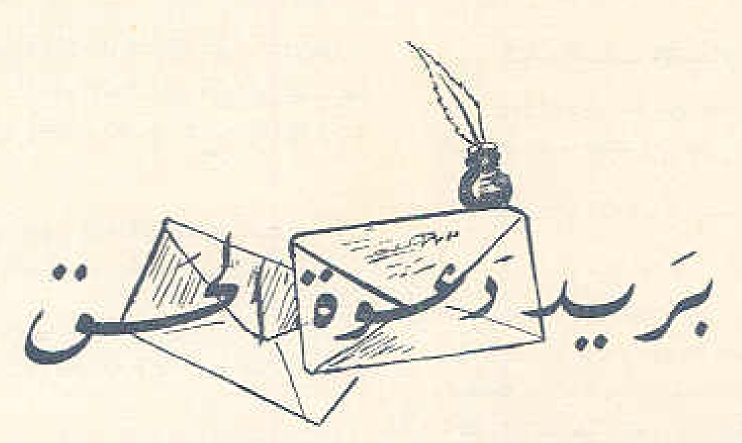
وتناقش المؤلفة النقاد المعاصرين الذين كتبوا عن هذه الحقيقة من تاريخ الادب العربي مناقشة لا ابالغ اذا قلت انها مناقشة عنيفة ..

فتصف بعضهم بالسطحية وآخرين بالتقليد ..

وتختم المؤلفة كتابها بنظريات جديدة في الجملة حول النقد والنقاد وعن الادب في ظلال العصر العباسي . ولها رأي سديد حول نظرية : اعذب الشعر اكذبه .

وتتلخص هذه النظرية في ان الصدق والكذب في الشعر ليسا هما الصدق والكذب في الحديث او الخبر لان مفهوم الشعر العاطفي والخيالي يعرض دلالات خاصة للصدق والكذب ... واذا كنا معجبين بهذا الكتاب موضوعا وعرضا فاننا نلاحظ باستغراب على المؤلفة انها اهملت اهمالا واضحا التيارات الفكرية والفلسفية التي اثرت في الادب العربي ونقده فكانت المؤلفة ترى ان الادب العربي شعره ونثره بمعزل عن ذلك وهذا ما لا يصدقه الواقع ولعل المؤلفة ادخرت الحديث عن ذلك الى الجزء الثاني من هذا الكتاب الذي ما زال لم يظهر بعد ..

فاس : عبد القادر زمامة



القى الينا بريد المجلة في هذا الشهر طائفة من المجلات والكتب والرسائل ، ونحن نريد ان يعيش قراؤنا الاماثل في كل ما يتعلق بمجلتهم المفضلة التي تعمل ما في وسعها لاشباع رغباتهم .

بين محمد علي الطاهر

والدكتور تقي الدين الهلالي

كتب الينا المجاهد العربي الكبير الاستاذ محمد علي الطاهر رسالة تتضمن عواطف ومشاعر كريمة نحو مجلتنا التي نبعثها الى حضرته .. وقد جاء فيما يتعلق بالاستاذ الدكتور تقي الدين الهلالي :

.. واني اشكر لديكم شيخنا واستاذنا الدكتور تقي الدين الهلالي مفخرة المغرب ، وقرة عين الشرق، الذي رفع من قدري ، وجعلني قدامكم من الذين يؤبه لهم ، ! ومن الذين « يقيمون الدنيا » على رأي صديقنا المذكور ، الذي يظن انه يوجد في الدنيا من يماثله ، لان الذي كان يقيم الدنيا ويقعدها هو صديقه وفقيدنا المرحوم شكيب ارسلان ، الذي لم يخلفه في هيبة القلم سوى استاذنا الهلالي الذي كنا نسميه خليفة الامير شكيب ، فقد كان يصول هذا الهلالي الفذ ، ويجول على صفحات الشورى ، عندما كانت قبل 28 عاما تصدر متنكرة باسم « جريدة الشباب » ثم باسم جريدة « العلم المصري » وكم يشفي غليل المظلومين بشواظ قلمه البليغ الذي كان يشوي بمقالاته التي كان يرسلها لي من « بون » يوم قام بتدريس المشرقيات فيها بجامعتها طبعا ..»

كما بعث لنا سيادته مؤلفه المسمى « ظلام السجن »

ظلام السجن : وهو عبارة عن مذكرات ومفكرات سجين هارب ، تنكر واختفى ، ولم يكن هذا السجين سوى المجاهد الكبير الاستاذ محمد علي الطاهر الذي اوعزت السلطات البريطانية في مصر بالقبض عليه وحبسه ، حيث سجن من 20 سبتمبر 1940 حتى ابريل 1941 ، ثم غافل الحرس وهرب من مستشفى السجن بعد مرض ، فتنكر واختفى احد عشر شهرا .

« وظلام السجن » يقع في 895 صفحة مليئة بالاحداث والمفاجئات تصور الوقائع والمباغتات التي صادفت المؤلف كما انه يشتمل على **نظرات في** الاستعمار واحوال الامم المظلومة وقيام الجامعة العربية وحالتها اليوم ، ومصرع فلسطين .

والكتاب عبارة عن ترجمة واعية نابضة بالحياة للاستاذ محمد علي الطاهر المجاهد العنيد الذي لم تنل من عزيمته الايام والخطوب ، فهو المجاهد الذي جاهد وجالد والناس نيام ، فكان قوي الشكيمة ، وطيد الايمان ، فرزقه الله بالمجاهدة والمصابرة التي ارتفعت الى مستواه .

وللاستاذ محمد علي الطاهر عدة مؤلفات منها : « نظرات الشورى » الذي يصف فيه بعض احوال فلسطين والعالم العربي والمؤتمر الاسلامي العام وهو في 270 صفحة في الحجم الكامل .

« الامير شكيب ارسلان » حيث جمع فيه ترجمة المرحوم امير البيان وبعض اخباره ، وما قيل وما كتب ونظم عنه بعد وفاته .

« معتقل هاكستب » وهو يصور فترة من عهد حكم الارهاب سنة 1949 ، واخبار اعتقاله في معسكر « هاكستب » .

مأســاة المعتمـــد

زارنا في مكتبنا الاستاذ الشاعر حسن محمــد الطريبق واهدانا مسرحيته الشعرية : مأساة المعتمد .
وقد قدم لهذه المسرحية الاستاذ الكبير السيد عبد الله كنون الكاتب العام لرابطة علماء المغــرب ، وعضو المجمع اللغوي بالقاهرة ، وقد جاء في هــذه المقدمــة :

« .. ولعل المسرح المغربي كان ينتظر من يسد الفراغ الذي يحس به عشاق التمثيل في هذا الموضوع بالذات منذ فشلت مسرحية : « اميرة الاندلس » عند عرضها في مراكش ، فجاء الشاعر حسن محمد الطريبق بتمثيليته الشعريــة هذه التي ينتظر لها كل نجــاح وتوفيــق ..

.. وانـــي اهنئه عليها بصفتها عملا ادبيــا ، وبصفتها التاريخيــة . »

وكتب الينا من القاهرة الدكتور الطاهر احمد مكي الاستاذ بكلية دار العلوم رسالة رقيقة جاء فيها :

سلام الله وتحياتــه عليكم ، وبعد :

فقد توصلت اليوم برسالتكم الرقيقة ، وبالاعداد التي تفضلتم فوافيتموني بها من مجلتكــم الغــراء « دعوة الحق » وسرني ما ادخلتموه عليها من تطــور وما اصابها من تحسين ، عبر الاعوام القليلــة التــي قطعتها من حياته ، حاملة رسالــة الاسلام الكريمة في المغرب الحبيب ، متمنيا لها ، ولكم ، اعظــم التوفيــق فيما تضطلع به من سفارة بين افراد العالم الاسلامي، قرائه وكتابــه على السواء .

لقد كنت اعد على الدوام ان صلتي « بدعــوة الحق » من منن الله علي ، واذا كانت ثمة شواغــل قاهرة قد صدفتني عن الكتابة فيها ، واللقاء علــى صفحاتها بقوم كرام احبهم واقدرهم ، فان صلتــي الروحيــة بها لم تضعف البتة ، وسيكون مـــن دواعي ســروري وابتهاجي ان اعود الى مكاني بها من جديد ، جنديا يحمل قلمه للتعريف بقوم كانوا عمــد الاسلام ودعاته ، ونامل من خلفهم في المغرب المسلم ان يكــون لهم نفس الدور في نشر كلمة الله ، وعد سوف احققه قريبا بتكملة بحثي الذي بداته عن « يحيى بن يحيى الليثي » ولما يكمل بعد !

هذا واني لاشكر من قلبي ، لاخي الكريم الاستاذ عبد السلام الهراس ، جميل تزكيته ، وحسن مسعاه في سعيه كي يصل ما انقطع ، والحق انــه في خلقــة واسلامه وعلمه ، ليمثل ومن نحا سبيله من شبــاب المغــرب ، املا كبيرا لنــا هنا في المشرق ، ولكم هناك في المغرب ، فالله يوفقكم ويوفقهم وينفعنا بكم جميعا .

جورج صيدح في شعره الوطني وشعر المناسبــات

توصلنا بهذا المقال الطريف الذي نشرتـــه « اضواء » البارسية في اول غشت 1965 .

للشعر الوطنــي مدرستــان :

الاولى : تلغم معانيها بالبــارود والرصــاص ، وتضع في الكلمات فتائل التفجير كانها كتائب فدائية على قدم الاستعداد للتضحيــة بالنفس في سبيل الفكرة التي تحمل رايتهــا .

والثانية : ترسل اناشيدها هادئة ، تنطوي علــى الاشارة بامجاد الامة ، وتذكيرها بما يترتب عليها مــن الواجبات لتستعيد سؤددها الباذخ ، وتفــــرض وجــودها بين الامم الحــرة .

المدرسة الاولى ـ ويتزعمها القروي وفرحات ـ امتد سلطانها في المهاجر الامريكية تساعدها البيئــة المتحررة وانطوى علمها شيئا فشيئا ، بعد ان نالت سوريــة ونال لبنان استقلالهما .

والمدرسة الثانيــة يشترك في تركيز اركانها معظم الشعراء الذين عاشوا بعيدين عن اوطانهم ، مليئــة نفوسهم بذكرياتهــا .

وسواء كان القارىء من الذين تثب بهم الدفقة الحماسية او من الذين يؤثرون الصورة المطمئنة ، فلا غنية له عن الاقرار بان المدرستيــن ـ او المدرســة الواحدة في فرعيها اذا شاء ـ قد برز فيها الشعراء المغتربون، فكانت لهم في ميدان الحماسة كرات موفقات ملات دنيــا العرب في عهود الكفاح العنيف ضــد المستعمرين ، وكانت لهم في الحلبة الاخرى جــولات رائعات وجد فيها المعذبون بالشوق والتائقون الــى العزة ـ اصداء لاحاسيسهم .

وجورج صيدح يعد في طليعة شعراء المدرسةالثانية

انك لن تجد في شعره تلك الفورات البركانية التي تلقاها في قصائد شعراء المدرسة الاولى ، ولكنك تجد فيه الفكرة النيرة الرشيدة ، تنساب انسياب الماء الرقراق يبث الحياة فيما حوله . تجد فيه الحنين المسكن الموحي يحملك على اجنحة خفية الى ءافاق الذكريات الماضية ، وتجد فيه العتاب دافقا من قلب صاف لا يريد الا الخير لامته مهما جنت وتجنت .

ووطنية صيدح خالجة صادقة ، لا تكتفي بالقول ولا تقتصر على الدعوى .

هو يعرف ان الذين يتظاهرون بالغيرة على العروبة كثيرون وان الصادقين قلائل ، فيريد ان يميز بينهم . فلا يرمي المنافقين بالخيانة ، بل يترفق بهم ويجعل الاهداء في الصفحة الاولى من ديوانه «نبضات» الى كل عربي اللسان والوجدان .. وهكذا يفهمك رايه في الادعياء بلباقة ومهارة ، ولا يتحول من التلميح الى التصريح الا نادرا عندما يستفحل الداء ويتعذر الشفاء الا بالجراحة فيلجا اليها على مضض في نفسه :

احببتكم وبلوت نجدتكم
فاذا الذي استنجدته عدم

فرغت يدي منكم وما فرغت
اذني مكان لباتتي نغم

لم يبق فيكم من عروبتكم
الا لسان مفصح وفم

ان العروبة يا بلابلها
روح على كف الفتى ودم

ويلتفت الى الوطن البعيد حيث بعض الزعماء ابعد ما يكونون عن الاهتمام بمصالح الشعوب التي رضيت بهم ءاملة ان يكونوا مثال الاخلاص والغيرة ، فيصرخ فيهم من قلب مجروح :

تولى الرئيس وطاح الزعيم
فما بال شرهما حاضر ؟

فساد يحل محل الفساد
ويفتك بالقادر الفادر

ونحن متاع نباع ونشرى
تداولنا تاجر تاجر

فيا اولياء الامور الذين
على امرهم همهم قاصر

بامثالكم لا نجاري زمانا
يدوس به الواقف السائر

تعيشون خلف غبار العصور
كأنكم زمن غابر

اما النكبة في فلسطين ، فهي المحور الذي يدور حوله شعره الوطني ، يذكرها ويتفجع عليها في كل قصيدة من قصائده :

بنو فلسطين قطعان مشردة
عن الحياة ، ملاك الموت راعيها

وكف صهيون بالاقداس عابثة
كأنما الله امر ليس يعنيها

خطيئة العرب لا الاردن يغسلها
ولا صبا بردى بالنشر يطويها

يحمر بالنيل وجه الماء ان ذكرت
وينحني رأس صنين لراويها

واذا عاد الى بلاده ، بعد ان قضى في غربته السنين الطويلة ، وابصر فيها ما لم يتوقع ، وكادت ءاماله تتلاشى ، لم يغمره فؤاده اليأس بل اعرب عن لوعة الخيبة بهذه الابيات :

زرت الاحبة غبا في منازلهم
وفي القبور ذهنات الالى قبروا

يا مسقط الرأس والارحام تجمعنا
حاشا تغيرني في حبك الغير

ولكنه بالرغم من جميع المثبطات التي يشهدها بأم عينه ، ويدمي لها فؤاده ، لا يضمر لبلاده الا اشرف الحب :

قالوا صف الاوطان قلت حبيبة
لا اشتهي بعد القطيعة وصلها

قد كان همي ان اعيش بقربها
واليوم همي ان اموت فدى لها

وفي شعر صيدح الوطني ابيات حكيمة رائعة لا يتسع المقام لسردها كما لا يتسع لتعديد المآخذ

التي نأخذها على ابيات ضعف فيها البيان شيئا او تمددت فيها الفكرة فى مدى طويل كان يكفيها بعضه .

ومن ينكر فضل المناسبات على الادب العربي وهي التي حولها يدور الشعر من الجاهلية الى اوائل هذا القرن ؟

جميع القصائد التي وصلت الينا فى هذه الحقبة الطويلة من الزمن كانت وليدة المناسبات : لا نعرف شاعرا واحدا من القدامى نظم فى ساعة من ساعات الوحي اللدني ، ولا شاعرا هزه مشهد من المشاهد الطبيعية فمرض علينا خوالجه تلقائيا .

ولولا المناسبات الوطنية او الاجتماعية ما اتيح لشعراء المهجر ان يوقظوا شاعريتهم ويؤدوا رسالتهم لجوالي المغتربين .

وهذه دواوين الشعراء الذين كانوا همزة الوصل بين الشعر القديم والشعر الحديث — صبري وشوقي وحافظ وغيرهم — تكاد تكون كلها قصائد مناسبات ، او قصائد نظمت مداخلها فى مناسبات ، ثم كانت فيها المقاطع الطريفة والابيات الرائعة .

ولا اعرف بين الشعراء المعاصرين شاعرا يفوق جورج صيدح توفيقا الى الاتيان بالبديع المرقص من المعاني اذا نظم فى المناسبات . ذلك ان الخواطر مهيئة فى ذهنه وما عليه الا ان يلبسها حلتها من الكلمات . وان يخترع مدخلا لها او مخرجا . ان المناسبة لا تهمه بقدر ما يهمه جلاء الفكرة المصقولة المخبوءة .

يقول جورج صيدح فى قصيدة عنوانها « الجندي المجهول » نظمها بمناسبة حفلة اقامتها الجالية العربية فى روساريو تكريما لاديب مجاهد هو الاستاذ خليل تبوت الذي ينشر مآثر العرب باللغة الاسبانية :

للمجد نحملهم على اكتفنا
ولربما حمل الخفيف ثقيلا

يتنكرون له وهم اظلاله
ويرون فى جبريلهم عزريلا

فتحوا المتاجر فى المهاجر ليتهم
فتحوا قلوبا مثلنا وعقولا

لو تعلم الفصحى مدى خدماتنا
ضفرت لنا من شعرها اكليلا

وتدشن الجالية فى الارجنتين فرعا لمصرف انشأه مواطنون ، فينظم صيدح بهذه المناسبة قصيدة يشرح حالة الفنى وينتهي الى نتيجة يقرر فيها حقيقة وفيها جراة ، وما اقل الذين يعلنون الحقيقة بما تستحق من جراة :

مشى بنا الدهر من حال الى حال
يا دولة الشعر حيي دولة المال

تطور القوم، ما لي لا اهنئهم
وقد اصابوا ثراء بعد اقلال ؟

اشياع مال تلاقوا عند كعبته
وكان عهدي بهم اشياع موال ..

هذي عكاظ دنانير مفوهة
بل المباراة فى حملان اثقال

تصرف بحظوظ الناس هازئة
بالعاكفين على تصريف افعال

لا وزن للمرء لم يظفر بوزنتها
هل يستضاء بنور تحت مكيال ؟

وعدت من حفلة التدشين انشدها
واها على خيمة فى المربع الخالي

مباركة انت ايتها المناسبات التي تخرج لنا مثل هذه الروائع .

مباركة انت ولو ظلمك بعض المتعنتين الذين لا يرضيهم شيء فى الوجود .

* * *

كما توصلنا من المكتب الدائم للتعريب فى العالم العربي بهذا الحديث الذي يحمل عنوان :

ملاحظات على مجامعنا العلمية

لا زلنا نتوصل بالرسائل العديدة والملاحظات المهمة حول سلسلة المعاجم العلمية التي اصدرناها ولا زالت بعض المجلات العالمية تعلق عليها فقد نشرت مجلة الاكاديمية الروسية تعليقا حول معجم الفيزياء والرياضيات الذي وضعته الشعبة الوطنية للتعريب بالمغرب التابعة للمكتب الدائم للتعريب وهذا التعليق بقلم استاذين كبيرين احدهما السيد بيلكان المكلف بكرسي فقه اللغة العربية فى معهد الدراسات الشرقية بجامعة

موسكو والاخر السيد كوفاليف رئيس كرسي اللغة العربية فى نفس الجامعة ، ونلخص فيما يلي اهم ما احتواه هذا البحث :

« ان معجم الفيزياء والرياضيات الذي وضعته الشعبة الوطنية للتعريب يبرهن على ان مسايرة اللغة العربية للتطور العلمي والتقني صار من الامر المحقق فى بلدان المغرب العربي ؛ وهذا يكذب عمليا مرة اخرى النظرية القائلة بقصور اللغة العربية عن مسايرة ركب الحضارة الحديثة . » ان هذا المعجم يستحق كل ثناء واهتمام ، ومن الطبيعي أن ينهج نفس الطريقة المتبعة الى حد الان فى البلاد العربية وبالخصوص فى مصر وسوريا والعراق وتتلخص فى مبادىء اربعة :

1 » وضع الكلمة تبعا للقوالب العربية .

2 » الاقتباس من المصطلحات الاجنبية .

3 » النقل طبقا للاساليب السيميائية العربية .

4 » النحت .

واهما حسب نظريتنا القواعد الثلاث الاولى التي تستحق ان تفضل على غيرها لمرونتها فى الحقل العلمي؛ ان دراسة عميقة لهذا المعجم ومقارنة الفاظه بالمصطلحات المستعملة فى بقية القواميس التي سبقته الى الوجود تبرز عدة اختلافات حيث ان للمدلول الواحد الفاظا مختلفة كما ان طريقة وضع الكلمة متباينة وهذا ليس بجديد حيث ان اختلافات من هذا النوع معروفة كذلك فى اللغات الاخرى فيما يخص المصطلح العلمي فبالاحرى اللغة العربية التي ما زالت حديثة العهد بهذا الفن .

على انه لا يمكن عمليا حل مشاكل وضع الكلمة العلمية ا والتقنية العربية دون اعتبار التطور العام للبلاد ودون استعمال اللغة العربية فى الشؤون العامة بين الاهالي ودون ان تستعمل كذلك فى جميع مراحل التعليم وخصوصا منه التعليم العالي وباختصار فى الحقل العملي .

ولا شك ان استقلال البلاد يفتح مجالات واسعة للغة القومية وتبرهن التجربة على ان استخدام ما استجد من مستحدثات « ءالات واجهزة ومدارك ومفاهيم » يفرض وجود هاته اللغة سواء كان المصطلح عربيا او مقتبسا من لغات اخرى .

ومهمة المعجم بصفة عامة هي ترتيب وتقنين المصطلح وبالنسبة للدول العربية الاخذة فى تعريب تعليمها هي التوصية باستعمال الفاظ علمية جديدة ، والمعجم الذي نتحدث عنه يلبي هذه الرغبة باكمل صورة ونعتقد انه خطا باللغة العربية خطوة جديدة نحو تسوية مشكلة الازدواجية بالنسبة للغة العربية فى بلدان المغرب العربي .

ان محرري هذا التعليق ليس بوسعهم تقديم نقد دقيق عن مصطلحات هذا المعجم اذ ذلك من اختصاص فقهاء اللغة العربية الذين لهم حنكة كبرى فى هذا الميدان يستطيعون بفضلها ان يقروا صلاحية او فساد هذه الكلمة او تلك غير ان هذا المعجم يستوفي على العموم متطلبات علم اللغة الحديث لمنجزات كهذه .

* * *

تعقيب الاستاذة عتيقة الادريسي من مدينة مراكش على موضوع :

حاجة حياتنا الادبية الى عنصر المراة

للاستاذ عبد العلي الوزاني

من بين المواضيع القيمة التي تطالعنا بها مجلتنا المغربية الخالدة « دعوة الحق » هذا الموضوع الذي اثار انتباهي واهتمامي « حاجتنا الادبية الى عنصر المراة »

— الحقيقة انني عندما كنت اقرا هذا الموضوع الموفق شعرت فى نفسي بدافع غريب جداني .. لاحمل القلم واخط كلمات متواضعة تعبيرا على مدى تقديري واحترامي لحضرة هذا الاستاذ الجليل الذي ابت عليه رغبته السمحاء الا ان يتناول بالدرس والعلاج والتمحيص موضوعا هاما جدا فكان له ابلغ الاثر فى اعماقي ؛ وخلال تتبعي للمراحل الشاملة والجوانب الاساسية لخلو نتاجنا الادبي المغربي من عنصر المراة التي تحدث عنها الاستاذ الجليل كنت خجولة جدا جدا من نفسي اذ تلك هي الحقيقة التي لا تنكر ؛ والواقع يشهد بصحتها ، ويعتبر البرهان الساطع لصدقها .. فالفتاة المغربية حتى ولو كانت متخلفة الثقافة اذا اخذت هذا دليلا للتملص من وجودها فى الميدان الادبي ، وبعدها عن المشاركة فى قيادة حركته بجانب اخيها الرجل فهذا لا يعد دليلا موثوقا به لانها ادركت ما فاتها واصبحت تلج الميدان

الجمعيات والكليات انما الشيء الاساسي في نظري الذي ينقصها واعتقده مطابقا للصواب ، تبعا لما ذكره الاستاذ الجليل في تحليل موضوعه هو ان الفتاة المغربية المثقفة بالخصوص اذ هي محور حديثنا الان ، لا زالت لم تع مسؤليتها الثقافية ، لم تتعمق في مفهومها الحقيقي على نطاق اوسع واشمل تعيش نهبا لمركب نقص خلفته في نفسها رواسب متعفنة نتيجة تقاليد بالية خاطئة عرقلتها عن السير في الطريق الصالح الذي تدعوها اليه حضارة القرن العشرين لتعيش حياة راقية فاضلة ، الفتاة .. المغربية المثقفة دخلت ميدان التعليم ثم الوظيف فاعتقدت بذلك انها وصلت النهاية ، تحررت ماديا وظاهريا ولم تتحرر فكريا وعقليا وجوهريا .

وناهيك بفتاة تعتبر نفسها مثقفة حين نالت شهادة عليا عندما تجالسها وتحادثها تجد في تفكيرها ومناقشتها بساطة ان لم اقل جهالة ، وقد يعوزها النقاش عن ابسط الحقائق او المواضيع الثقافية ، فأحرى بها ان تكون اديبة مرموقة . والواقع اذا كان يشهد ببطء سير حركتنا الادبية من طرف الادباء فهو بجانب الاديبات يشهد بالعقم ، والغريب ان نفس النظرة اذا القيناها من زاوية الشرق نجد نفس الوضع خلو عدة بلدان عربية من عنصر الاديبات وان كان هناك البعض منهن ممن فرضن وجودهن، لكن مع ذلك فاديبات المغرب بالنسبة اليهن لا شيء ، وانني في معرض حديثي القصير اريد ان انتهز الفرصة لاقول بان هناك اقلاما تتحرك .. وافكارا تختلج ، وشعورا ينبض لكن كلها تعيش مغمورة في وحدتها ، وبين طيات حدودها الضيقة . لا تتعداها الى مجال اوسع، وهذا له سبب واحد واضح هو عدم فتح الابواب امام هذه الزهور المتفتحة ، وهذه الاقلام المتحركة لتعبر عن نشاطها وموهبتها ، ومتى وجد المجال فلا شك في انه سيعطي صورة ناطقة لوجود نتاج ادبي سائر في طريق الاكتمال ، ولا شك سيكون لهذا حافز اخر للنهوض به وهو التنافس في الكتابة وابداء الاراء والمناقشات ، وطبعا هذا هو الطريق لاختبار المواهب وتنميتها ، وكل نتاج ظل طي الاهمال او الاختفاء بين الرفوف لا يعرفه احد حتى ولو كان جيدا ، ما دام لم يبرز للوجود ..

اللسان العربي

اصدر المكتب الدائم لتنسيق التعريب التابع لجامعة الدول العربية العدد الثالث من مجلة « اللسان العربي » التي تعتبر مجلة دورية للابحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب في العالم العربي .

ويعتبر هذا العدد الثالث من اللسان العربي مجلدا ضخما ، اذ تبلغ عدد صفحاته 356 .

وقد ساهم في تحريره كل من الاساتذة السادة علال الفاسي ، وعبد العزيز بنعبد الله ، وعبد الرحيم بدر ، وابراهيم السامرائي ، وعبد الحق فاضل ، وادريس الكتاني ، وجمال حمدي ، وعبد الحميد ابراهيم ، ومحمد السلاوي ، والحسن السائح ، وانور الجندي ، ومحمد العلمي .

الهند ..

توصلنا من النادي الادبي بواسطة المعتمد الاستاذ محمد ساجد برسالة تشير الى ان طلبة دار العلوم قد اسسوا ناديا لهم منذ ثلاث سنوات تحت اشراف الاستاذ وحيد الزمان الكيرانوي، ويضم هذا النادي 180 عضوا يجتمعون كل اسبوع لالقاء الخطب والمقالات .. وقالت الرسالة :

« .. لقد تمتعنا برؤوية مجلة « دعوة الحق » الغراء التي وجدناها عند بعض اصدقائنا طلبة افريقية فرغب جميع اعضاء النادي في الاستفادة بالمجلة ، نرجو من سيادتكم ان تتفضلوا بارسالها الى النادي .. »

واننا سنلبي رغبة اصدقائنا اعضاء النادي الادبي الهندي وسنبعث للنادي مجموعة من هذه السنة ، وعددا من المجلة عند صدوره في المستقبل .

دمشق ...

بعث الينا الكاتب اللامع المحقق الثبت الدكتور زكي المحاسني برسالة تعبق بالاكبار والتقدير لعملنا الموصول في خدمة الثقافة والعروبة والاسلام .

ونقتطف من هذه الرسالة العبارة التالية :

« .. اني لمست العمل الدائب وراء كل صفحة من صفحاتها اللوامع الجميلة واخراجها الانيق الرائع ، وموادها الفنية، وقد صرت ارتقبها لافرح بوصولها ، فاخرجها بيدي من صندوق البريد ..

عزيزي الاستـاذ ..

ارسل اليك الان مقالي الجديد « هموم النقـد » المهدى الى الاستاذ عبد المجيد بن جلون ، الخـاص بمجلتكم الحبيبة ، راجيـا العناية في الطبع .

واصدقك القول اني حين كتبته ، وجدته نفحة من روحي .. سل الاستاذ الكبير صديقي عبد اللـه كنـون يحدثك عني وعن ودي للمغرب الحبيب، وشوقا الى ربوعـه الفينانـة .. »

المغـرب ...

القنيطـرة

اقد ابدى صديقنا الاديب النشيـط الاستـاذ السيد ابراهيم السولامي نشاطا للعمل معنا واظهـر استعدادا لاجراء مقابلات ادبية وعلمية مع اصحـاب الفكر والتاثيـر في بلادنا سيقصرها على مجلة « دعوة الحـق » وباسمها .

والحقيقة انه لا يخفى ما لهذه المقابلات مـن فضل ، فهي علاوة على انها باب منتظم ، فستكـون منبرا لعرض افكار وحيوات الذين لا يكتبون الا النزر ونكاد لا نعرف عن حياتهم شيئا .

زيـارات واتصـالات ..

زارنا في الايام الاخيرة في مكتبنا كل من الدكتور نقـولا زيادة الاستـاذ بالجامعة الامريكية ببيروت ، والدكتور احسان عباس بجامعة بيروت الامريكيـة ، صحبة الاستاذ السيد محمد بنشريفة ، وقـد دارت هذه الزيارة الوديـة في جو من الادب ، والمتع الفكرية وتبادل الراي .

ومن المعلوم انه نظمت بالمغرب دورة تربويـة لمعلمي السلك الابتدائي تحت اشراف وزارة التربيـة الوطنيـة والوكالة الامريكية للتنمية الدوليـة .

وقد اشترك في هذه الدورة حوالي 60 معلمـا مغربيا تلقوا محاضرات في التاريخ والادب ، القاهـا بعض رواد الفكر والتربية في العالم العربي حضـروا الى المغرب من بيروت خصيصا لهذه الدورة وهـم الدكتور نقولا زيادة والدكتور احسان عباس، والدكتور مالك بدري والدكتور بطرس مراد .

ونشير الى ان الجلسة الاولى من هذه الحلقة قد انعقدت بمحضر رئيس ديوان وزير التربيـة الوطنية والشبيبة والرياضةوالفنون الجميلة كمندوب عن هذه الوزارة ، والسيد ادامس جونز رئيس القسم البيداغوجي بالسفارة الامريكية .

وقد تلاقى كل من السيد بنكيران والسيـد جونز والدكتور نقولا زيادة كلمات بالمناسبة تحدثـوا فيها عن اهمية هذه الدورة والجوانـب الثقافيـة والتربويـة منهـا .

« والشمس راد الضحى كالشمس في الطفل »

بعث الينا كثيـر مـن اخواننا الكتاب الاماثـل الذين يساعدوننا بمقالاتهم وابحاثهم في مجلتنا يعتبون على تاخير كتاباتهم في ترتيب مواد المجلـة .

ونحن نحيط علم اخواننا الكتاب الذين قد غضب البعض علينا منهم بان للمجلة ابوابا منها ما هو خاص بالدراسـات الاسلامية ، ومنها ما هو خاص بالابحاث والمقالات ..
فلا يضير اي كاتب اذا تاخر مقاله في الترتيب :

فالشمس راد الضحى كالشمس في الطفـل

دعـوة الحـق

نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

توجه معالي وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية السيد الحاج احمد بركاش فى شهر يوليوز الى دار زهيرو بفحص طنجة بمناسبة افتتاح القسم الداخلي لمدرسة الروايات السبع .

ولقد القى معاليه خطبة جامعة على الطلبة ، والحاضرين للحفل القرآني الكريم الذي اقيم بهذه المناسبة الكريمة .

ويسرنا ان نثبت هذا الخطاب القيم التوجيهي الذي تعرض فيه معالي الوزير للاهمية العظمى التي للقرآن الكريم ولحفظه برواياته :

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب تبصرة لاولي الالباب ، والصلاة والسلام على خاتم انبيائه ، الذي اوتي الحكمة وفصل الخطاب .

ايها السادة الافاضل ، معشر القراء المحترمين، السلام عليكم جميعا ورحمة الله . وبعد ، فغير خاف عليكم ان القرآن العظيم ، هو روح الامة الاسلامية بحفظه وتدبره ، والعمل بما فيه ، كانت حياتها ، وعظمت فى الوجود قيمتها ، وقويت شوكتها ، حتى رهبها الاعداء ، وساد بهدايته المومنون الاوفياء ، وبلغ غاية الفضل فى امة سيدنا محمد حفاظ القرآن المشتغلون بتعلمه وتعليمه العاملون بما فيه من احكام واخلاق ، كما قال الرسول عليه السلام : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » ، وقال ايضا ، من حديث صحيح: « ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم ، الا حفت بهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده » . وهذا ما نرجو جميعا ان يغمرنا فى هذا الحفل القرآني المبارك .

ونظرا للاهمية العظمى التي للقرآن ، ولحفظه برواياته ، سواء من جهة التعبد بتلاوته ، او من جهة الاعتماد عليه فى عقيدة التوحيد والاخلاق ، والاحكام واستنباط فروع الفقه الاسلامي منه ، سهر المومنون الصادقون على حفظه وتجويده ، واتقان رواياته بتوفيق من الله وتأييده ، حتى يبقى كتاب الله شائعا فى الامة ، محفوظا فى صدورها ، مصداقا لوعد الله الصادق حيث قال تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر ، وانا له لحافظون » . وهذا ما جعل عظماء الامة شرقا وغربا ورؤساء الدول الاسلامية يعنون عناية خاصة بحفظ القرآن وحفاظه حتى بنوا له المدارس والمعاهد فى مختلف الانحاء ، ولا زال البعض منها موجودا حتى الآن ، كمدرسة السبعيين بفاس ، بل لازال البعض منها قائما على مهمة حفظه برواياته كمدرسة سيدي الزوين وغيرها بالمغرب ، كما ساهم علما المغرب بحظ وافر فى التآليف الخاصة بقواعد قرآءاته وتجويده وما يتبع ذلك .

واذا كان امير المومنين مولانا الحسن الثاني نصره الله وايده ، يولي عناية خاصة لحفاظ القرآن ، ويصدر تعليماته بتشييد مدارسه واحياء معاهده ، قائما يجري على سنن اسلافه المقدسين القيمين على العناية بكتاب الله تعالى ، ومن ذلك امره الكريم باتمام هذه المدرسة التي تحمل اسم ولي عهده الامير سيدي محمد اصلحه الله واقر به عين والده العظيم . واني اتشرف بتنفيذ تعليمات جلالته بافتتاح هذا القسم الداخلي فيها ، راجيا المولى سبحانه ان تزيد هذه المدرسة مع الايام تقدما وازدهارا ، كما يسرني ان ابلغكم باسم جلالته تحياته الابوية وسروره وابتهاجه بحسن قيامكم ، ورضاه الكريم عن عملكم ، حفظ الله مولانا حامي حمى الوطن والدين سندا للقرآن ، وراعيا امينا لحفاظه ورواته .

كما اني شخصيا مسرور بنتائج عملكم فى هذه السنة ، حيث اثمر هذا الغرس الكريم الذي هو من الخطط الرشيدة التي خطها صاحب الجلالة حفاظا على كتاب الله ، وصيانة لاصل شريعة جده المصطفى عليه السلام ، وسابلغ جلالته هذه النتائج الطيبة التي تسر كل مومن ، ولاشك انه سيزداد سرورا بجهودكم

المتواصلة لاتقان كتاب الله وحفظ رواياته ، وفقكم الله وزاد في معناكم ، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

❊ واوفد صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني حفظه الله معالي وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية السيد الحاج احمد بركاش قصد تمثيل جنابه العالي بالله في المهرجان الديني الحافل الذي يقام كل سنة بمدينة زرهون حاملا معه صلة ملكية على العادة المتبعة ، وذلك بمناسبة موسم المولى ادريس الاكبر رضي الله عنه .

تدشين مسجد تلفزة بقبيلة الجاية

قامت وزارتنا بتشييد مسجد بتلفزة من قبيلة الجاية باقليم فاس .

ويدخل هذا العمل التدشيني لهذا المسجد في دائرة البرنامج الواسع النطاق التي اعدته وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية بأمر من صاحب الجلالة والمهابة امير المومنين الحسن الثاني نصره الله وأيده الذي يولي عناية خاصة لشؤون الدين وتقوية الجانب الروحي في هذا البلد المسلم الامين ، والعمل على تلبية رغبات شعبه المتعلق باذيال عرشه الشريف في هذا الميدان بتشييد مساجد في مختلف انحاء المملكة .



منظر آخر من مناظر الاحتفال بتدشين مسجد تلفزة بقبيلة الجاية يوم 2 يوليوز 1965

ولقد اوفد معالي الوزير رئيس قسم الوعظ والارشاد في هذه الوزارة الاستاذ السيد محمد الطنجي ليقوم نيابة عنه بتدشين هذا المسجد ، حيث ادى المومنون صلاة الجمعة ، وابتهلوا الى الله العلي القدير بان يحفظ لهذه الامة راعيها الامين ، وحارس مقدساتها وامجادها صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني حفظه الله وأيده .

تدشين مسجد بني عمار بقبيلة بني وراكن

قام صبيحة الجمعة تاسع ربيع النبوي الشريف عامه ناظر احباس احواز فاس بتدشين مسجد بني عمار قبيلة بني وراكن بناحية فاس ، التي قامت الوزارة ببنائه .

وقد حضر حفلة التدشين قائد القبيلة وعلماء تلك الناحية وعليتها .

وقد ابتهج السكان لهذا العمل الجليل حيث رفعوا اكف الضراعة والابتهال الى الله العلي القدير في ان يحفظ ملكنا الهمام جلالة الحسن الثاني نصره الله .

في الميدان الفلاحي

لقد تميزت سنة 1965 من حيث استثمار الاراضي الحبسية الفلاحية باتساع نطاق تجهيز المزرعات بالوسائل الميكانيكية الحديثة ، وذلك لضمان خدمة الارض من حيث الحرث في اوقات السنة المناسبة ، خصوصا عندما تكون الحرارة شديدة ، وقد وجهت الوزارة عناية فائقة هذه السنة لبناء السواقي في المزرعات الشاسعة التي يضيع فيها الماء بسبب تسربه داخل اعماق الارض او تبخيره تحت تاثير حرارة الشمس .

كما ان بناءات عديدة شيدت لايواء العملة المشتغلين مع الاحباس ، وحفظ الادوات الفلاحية والاسمدة والمزرعات من الاتلاف كما حفرت آبار لتوفير الكمية الضرورية من الماء لجميع الافراد القاطنين في الاراضي الحبسية .

وفيما يرجع لتنمية المداخيل الفلاحية فان كثيرا من المغارسات القديمة قد بدأت تغل ، فتضاعفت مداخيلها الشيء الذي يبشر بالخير ويفتح آفاقا جديدة للاحباس في المستقبل حيث ستصبح ان شاء الله قادرة على تحمل اعباء النفقات الضخمة الراجعة لبناء واصلاح المساجد واداء رواتب الموظفين الدينيين، وتشييد عمارات ، وتشجير اراض ، وبالاضافة الى تنمية مداخيل الاشجار فان وزارة الاوقاف والشؤون

الاسلامية فكرت في استغلال الارض الكائنة بين الاشجار التي لايقل سنها على اربع سنوات .

وهكذا ابرمت عدة اتفاقيات مع الفلاحين الراغبين في استعمال المزرعات التي لاتستنزف الارض بل تساهم في تحسين تركيبها الكيماوي . وقد حصلت الوزارة على ربع هام من بيع واجبها الناتج عن هذه المزرعات بعدما سلمت لمنتجيها قسطه حسب النسبة التي تم الاتفاق عليها في اول الامر .

كما ان هذا المشروع احيط بجميع الاحتياطات فيما يرجع للمحافظة على دائرة شاغرة حول كل شجرة لايقل شعاعها على مترين ولالزام مستغلي الاراضي الحبسية باستعمال جميع الاسمدة الضرورية

ومن جهة اخرى فان هذه الاعمال تسببت في تشغيل عدد كبير من العملة يقدر بالمآت ، فمنهم من يعمل بصفة موقتة عند اجراء عملية التشجير ، ومنهم من يشتغل بصفة دائمة للقيام بعمليات الحراسة والسقي والحرث بين الاشجار والتجفين والتقليم والتسميد ومقابلة مطارح النقلة .. الخ ...

ولا ريب في ان اهمية مجهودات الوزارة في هذا المضمار تتضح ازاء اتساع نطاق التشجير الذي اصبح يضم مساحة 53ر6122 من بينها 2000 هكتار خاصة بالغابة والباقية المقدرة بـ53ر4122 تشتمل على اشجار من انواع الزيتون واللوز والبرتقال والمشمش .

قسم الشؤون الاسلامية :

تاسيس مدارس دينية بالمغرب الشرقي

في نطاق النشاط الهام الذي يقوم به قسم الشؤون الاسلامية فقد توجه الكاتب العام للشؤون الاسلامية الاستاذ الحاج عبد الرحمن الدكالي الى مدينة وجدة التي عقد بها جلسة عمل مع المسؤولين المحليين بقصد تاسيس كتاتيب نموذجية ، ومدارس لتعليم القراءة ، ولاحياء المدارس العلمية التقليدية .

وقد عبر سيادة الكاتب العام عن اهتمام صاحب الجلالة نصره الله بشؤون العلم والدين .

وهكذا فقد تم الاتفاق اثناء هذه الجلسة مع السلطات المحلية على احياء المدرسة العلمية بمدينة بركان ، وعلى تاسيس كتاب نموذجي بمدينة وجدة ، على ان تؤسس مثل هذه الكتاتيب في باقي المناطق الاخرى .

وفي يوم الاربعاء 13 ربيع الثاني 1385 وصل الكاتب العام الى مدينة الحسيمة حيث عقد اجتماعا بمقر العمالة مع رجال السلطة المحلية في مقدمتهم عامل الاقليم ، وباشا المدينة ، وناظر الاحباس ، وفضيلة القاضي ، ونائب مندوب وزارة التعليم .

وقد تقرر تنفيذا للتعليمات السامية لجلالة الملك نصره الله انشاء معهدين علميين لدراسة العلوم الدينية في كل من مدينة تاركيست ، ودائرة بني ورياغل .



أنباء ثقافية

* صدر اخيرا ديوان للشاعر محمد الحلوي « انغام واصداء » في 220 صفحة قامت بطبعه دار السلمي بالبيضاء .

* صدر للاستاذ عبد الهادي التازي ، سفير المغرب في الجمهورية العراقية كتاب « تاريخ المن بالامامة » لمؤلفه عبد المالك بن صاحب الصلاة . وقد قام الاستاذ التازي بتحقيق هذا الكتاب الذي استخرجه من مخطوط من اكسفورد لنيل دبلوم الدراسات العليا بجامعة محمد الخامس . وقد قام بنشر الكتاب دار الاندلس بيروت .

* صدر للاستاذ عبد الكريم غلاب كتاب جديد بعنوان « مات قرير العين » .

* اصدرت مجلة « المجلة » القاهرة في صفحتها الاولى دراسة للاستاذ كنون عن « مساهمة المغرب في تقدم الثقافة العربية » قال فيه : « ان الشرارة التي اعدت المغرب الاوربي فاقامت فيه هذه المدنية الحديثة ، انما انبعثت من الاندلس ، فان فلسفة ابن رشد وابن طفيل ، وابن باجة ، وابن زهر ، وطبهم هما اللذان فتحا اعين الاوربيين على حقائق العلم الصحيح ، ونتائج المعرفة المبينة على التجربة والمشاهدة » .

* شعبة موسوعة المغرب العربي التابعة للمكتب الدائم للتعريب منكبة الان على اعداد قائمة كاملة بالمواضيع التي ستدرج في حرف الالف من سلسلة المغرب الاقصى في موسوعة المغرب العربي . وقد وزعت هذه القوائم على الخبراء في الداخل والخارج ليتكفل كل عضو باعداد بحث في موضوع يحدد باتفاق معه . ويجب ان لا يتعدى هذا الموضوع اكثر من تسعة اشهر ابتداء من السنة الدراسية المقبلة . ليشرع في طبع الجزء الاول من الموسوعة في بداية السنة الدراسية 66 ــ 67

* تكرس جمهورية مالي الان طاقة جبارة منظمة للقضاء على مشكلة من اهم المشاكل وهي مشكلة الامية، ففي هذه البلاد تبلغ نسبة الاميين حوالي 85٪ من السكان . ولكن هؤلاء سيعتمدون منذ الان على المعاونة الصادقة الفعالة التي سيقدمها مواطنوهم ممن يعرفون القراءة والكتابة ، وتبلغ نسبتهم 15٪ من اهل البلاد .

هذا ، وسيشترك في هذه الحملة الوطنية اشخاص من مختلف الطبقات والاتجاهات وذلك في نطاق السنوات الخمس للتنمية الاقتصادية « 1961 ــ 1966 » . ويقضي هذا المشروع بان يساهم كل فرد متعلم في البلاد بتعليم مواطنيه الذين لم تتح لهم فرصة تعلم القراءة والكتابة . وهذا ما يفعله الجميع الان عن رضى وطواعية .

ولا يقتصر المشتركون في هذه الحملة على معلمي المدارس فحسب ، وانما نجد بينهم اعضاء في حركات الشباب ، والمنظمات النسوية ، والجمعيات التعاونية ، وعمال الفنادق والمصانع والفلاحين ، بل ورجال الجيش كما نظم ايضا لنفس الغرض برنامج اذاعي مدرسي ، يقدم كل مساء ، طوال ايام الاسبوع الستة ، كل العام ما عدا شهرا واحدا .

وعهد بهذه الحملة الوطنية المكافحة للامية الى وزير التعليم الذي يتولى ايضا مسؤولية الاذاعات المدرسية . هذا بينما تولى الحزب الوطني في مالي وهو « الاتحاد السوداني » مسؤولية تعبئة القوى الضرورية لتنفيذ البرنامج ، عن طريق اعضائه المنتشرين في كل الانحاء ، حتى اصغر القرى والمواطن النائية . وبدأ الاتحاد العمل بتنظيم حملات واسعة

لحث المواطنين وتبصيرهم بمزايا تعلم القـراءة والكتابة من الناحيتين الشخصية والوطنية .

※ عثر علماء الاثار وهم يقومون في جبال لهافر في الصحراء الجنوبية على بقايا رجل وطفلين يعـود تاريخهما الى حوالي 000 5 سنة . وقال العلماء الذين يعملون بالاشتراك مع معهد ابحاث الصحراء في جامعة الجزائر ان العثور على عظام اسماك كبيرة ، وعلى بقايا اخرى يدل على ان الهياكل البشرية الثلاثة تعود الى الفترة التي جفت فيها المنطقة واصبحت صحراء .

※ تقرر خلال المناظرة الدولية للفولكلور التي انهت اشغالها مؤخرا في قرطاج بتونس تأسيس منظمة دولية للفولكلور . وكانت هذه المناظرة قد انعقدت في اطار المهرجان الدولي الثالث للفولكلور الذي نظم من 29 يوليوز الى 31 منه ، كما تقرر اختيار العاصمة التونسية مقرا دائما للامانة العامة لهذه المنظمة التي ستصبح تابعة لليونيسكو .

※ اعلن ان خبراء الاثار التونسيين يأملون العثور في تونس على بقايا الانسان ما قبل التاريخ الذي عاش قبل مليون سنة تقريبا . ويعمل فريق من علماء الاثار الان على دراسة ءاثار عثروا عليها اخيرا في الكاف على بعد حوالي 300 كلم الى الجنوب الشرقي من العاصمة حيث اكتشف ءاثارا من العصر الحجري شبيهة بتلك التي سبق وعثر عليها في المغرب والجزائر فقد عثروا على حوالي 800 قطعة من ادوات واواني حجرية في اقل من اسبوع وعلى فيل وغزال متحجرة ، ومساكن قديمة جدا .

※ وجهت جامعة ليبيا الدعوة الى بعض الاساتذة والمفكرين العراقيين لالقاء محاضرات على طلبة الجامعة في السنة الدراسية القادمة .

※ في استفتاء قامت به ادارة المكتبات بمصرتبين ان القصص تفوز باكبر نصيب من اقبال القراء . فقد بلغ عدد القصص المعارة 8516 مجلدا تمثل 41,8 في المائة من مجلدة الكتب المعارة . ويلي القصص في الترتيب كتب الجغرافية ، والتراجم ، والاداب ، والعلوم الاجتماعية ، والمعارف عامة ، ثم العلوم التطبيقية ، والعلوم البحتة . اما الفنون الجميلة واللغات فتأتي في ءاخر القائمة . هذا بينما تمثل كتب الدين المكانة الاولى بين الموضوعات التي يقبل عليها سكان الريف .

※ ترجم الاستاذ بكر عباس الى العربية كتاب « الانسان الحديث » لمؤلفه جوزيف وودكرتش .

※ قام الاستاذان زياد عناب ، وشجاع الاسر ، بتعريب كتاب «الثورة» لمؤلفه كرين برقتون ، ويشتمل على دراسة عن طبيعة الثورة وتركيبها ، ويعد مرجعا عن الثورات الكبرى التي غيرت وجه العصور الحديثة .

※ صدر في القاهرة كتاب « المدارس الفلسفية » للدكتور احمد فؤاد الاهواني يتناول فيه مدارس الفلسفة الكبرى وخصوصا ما كان منها على صلة بالحضارة .

※ يقوم الدكتور عبد الرحمن بدوي بترجمة كتاب عن الشاعر ابي العربي من العربية الى الاسبانية .

※ ذكرت صحف القاهرة ان الجمهورية العربية المتحدة ستنضم الى اتفاق حقوق النشر الدولي الذي وقعته 88 دولة في جنيف سنة 1952 ويعني هذا ان 000 400 جنيه استرليني من اجور حقوق النشرة مجمدة الان في باريس ستدفع لكتاب ومؤلفين ومفتيين مصريين .

※ صدر في القاهرة كتاب بعنوان « حديث موسى بن عصام » وهو مخطوط من مخلفات ابراهيم المويلحي ، والد محمد المويلحي صاحب « حديث عيسى بن هشام » .

※ المسرحية رقم 60 لتوفيق الحكيم صدرت في خمسة اعداد من ملحقات جديدة « الاهرام » بعنوان « الورطة » والمسرحية في خمسة فصول ، ومنظر واحد لا يتغير .

※ الدكتور يوسف عز الدين ، امين المجمع العلمي العراقي ، سيصدر له في القاهرة كتاب عن الشاعر العراقي الكبير الفقيد السيد خيري الهنداوي .

※ صدر في القاهرة جزء جديد من كتاب « دولة الاسلام في الاندلس » ويشتمل على «عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس » لمؤلفه محمد عبد

الله عنان ، وهو العصر الثالث ـ القسم الاول « عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية » .

ويعرف القراء ان القسم الاول من كتاب « دولة الاسلام فى الاندلس » صدر سنة 1942 وقد صدر خلال هذه الفترة للمؤلف ثلاث مجلدات تتضمن تاريخ الاندلس منذ الفتح الى نهاية دولة الطوائف ، ثم تاريخ المرحلة الاخيرة من دولة الاسلام فى الاندلس وهو تاريخ غرناطة حتى سقوطها ، ثم كتاب « نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين » واخيرا هذا الجزء

* صدرت فى بيروت للشاعر العراقي سعدي يوسف مجموعة شعرية بعنوان « قصائد مرئية » والشاعر سعدي يوسف يقيم الان فى الجزائر حيث يعمل مدرسا بموجب تعاقد مع الحكومة .

* توفى فى لبنان الشاعر سليم عواد عن 72 سنة .

* صدرت فى بيروت مجموعة شعرية جديدة لانسي الحاج بعنوان « ماضي الايام الاتية » وقد صدرت له سابقا مجموعتان : « لن » و « الرأس المقطوع » .

* «رياح وشراع» كتاب جديد لعبد الله حشيمة صدر فى بيروت ويضم 14 قصة من وحي التاريخ .

* صدرت فى بيروت مجموعة شعرية ونثر باسم « الديوان » للفقيد الشيخ يوسف زكريا من القضاة اللبنانيين . وقد قدم للكاتب الشيخ الياس خليل زكريا بمقدمة « خواطر وهواجس » كما قدم له الفقيد اميل لحود ، وهي المرة الاولى التي ينشر فيها شيء من آثار اميل لحود الخطيب والاديب وصاحب المدرسة الخاصة فى الدفاع القانوني . والديوان يقع فى 400 صفحة .

* « القصبة الخرساء » مجموعة شعرية صدرت فى بيروت للشاعر ايلي ناصر .

* « اجراس الصمت » ديوان جديد فى بيروت للسيدة كلثوم مالك عرابي ، يضم قصائد تصور نكبة فلسطين والمأساة التي تعرض لها الشعب الفلسطيني . وقد سبق للسيدة كلثوم ان اصدرت ديوانها الاول بعنوان « مشردة » .

* تألفت فى بيروت لجنة من بعض النواب برئاسة النائب المحامي اديب الفرزلي للاحتفال بنقل رفات الفقيد الشاعر رشيد نخلة صاحب النشيد الوطني اللبناني الى الضريح الرسمي الذي اقامه له مجلس النواب . وستعلن اللجنة موعد الاحتفال ووقائعه وكذلك افتتاح المتحف الخاص بآثار رشيد نخلة وكل ما يتعلق بتكريم اسمه وتخليد ذكره .

* « العهود المتعلقة بالوطن العربي 1908 ـ 1922 » تأليف وجيه علم الدين صدر عن دار الكتاب الجديد فى بيروت .

* «رحلاتي الى البلاد العربية » عنوان الكتاب الجديد الذي صدر فى بيروت تأليف فريد مخلوف .

* صدر فى بيروت لفؤاد رفقة ديوان « حنين العتبة » وهي قصيدة طويلة فى 17 اغنية . للشاعر مجموعة صدرت سنة 1960 بعنوان « مرساة على الخليج » . وفؤاد رفقة الذي يدرس فى المانيا انهى اطروحة الدكتوراه عن نظرية الشعر عند الفيلسوف الالماني مارتن هيدغر .

* يصدر قريبا كتابان جديدان للاستاذ خيري حماد :

اول هذين الكتابين : « الثورة » من تأليف حنة اراندت .. وهو يشتمل على واحدة من اوسع الدراسات واقيمها للثورات العالمية ، بعواملها ودوافعها ومنطلقاتها الفكرية ونتائجها فى التأثير على مجرى الاحداث العالمية .

والكتاب الثاني هو : « مذكرات الجنرال ديغول» .. الذي سيكون مرجعا تاريخيا ، ووثيقة يعتمد عليها فى تفسير كثير من الاحداث العالمية ، كما انه سيكشف جوانب كثيرة غامضة من قضايا عالمية معاصرة لعب فيها الجنرال ديغول دورا حاسما .

* صلاح الدسوقي محافظ القاهرة كتب مقدمة اول كتاب عن القاهرة عاصمة الجمهورية العربية المتحدة .

* «الانسان روح لا جسد » اطول كتاب فى الدراسات الروحية فى الغرب والشرق فى 670 صفحة صدر للدكتور رؤوف عبيد .

※ اول قاموس جديد للمصطلحات الاقتصادية ، يقوم في الوقت الحاضر بوضعه محمد حسن الجمل رئيس ادارة شركة الشرق للتامين .

※ وافق مجلس جامعة القاهرة على شراء مكتبة المرحوم الدكتور صقر خفاجة عميد الاداب الراحل، والتي تضم مؤلفات نادرة في الدراسات الاوروبية القديمة ، واطلاق اسم الدكتور صقر خفاجة على « مدرج » بكلية الاداب . . ارجا المجلس النظر في اقتراح لكلية الاداب بفتح اكتتاب لجائزة تحمل اسم الدكتور صقر خفاجة لاول خريجي قسم الدراسات الاوربية القديمة .

※ وحدة اليونسكو بالقاهرة ، وقسم التصوير بدار الكتب ، انتهيا من تصوير مليون ونصف مليون صحيفة من المخطوطات والكتب النقيسة .

※ تحت اشراف شرطة الاسكندرية سيتم نقل مكتبة عباس محمود العقاد الى القاهرة حيث تضم الى مكتبة في القاهرة حتى ينتهي النزاع القائم حولها .

※ صدر في القاهرة للدكتور حسين مؤنس كتاب عنوانه رحلة الى الاندلس : « الفردوس الموعود » .

※ اتم الدكتور انور لوقا ، ترجمة كتاب « الفتنة الكبرى » للدكتور طه حسين الى اللغة الفرنسية وراجعه الدكتور طه حسين .

※ تم اعلان عن مسابقة فكرية باسم « عباس محمود العقاد » تقام كل سنة وتوزع جائزتها على الفائز من مختلف اقطار البلاد العربية .

※ تصدر دار « عالم الكتب » بالقاهرة كتابا جديدا عن المرحومة الانسة مي زيادة بعنوان : « مي اديبة الشرق والعروبة » كما سيصدر عن الانسة مي للاديبة السورية المعروفة السيد وداد سكاكيني .

※ صدر في القاهرة كتاب « العرب في صقلية ودورهم في نشر الثقافة الاسلامية » ليوسف حسن نوفل . وهو البحث الفائز بجائزة المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية . يوسف نوفل فاز بعدد من جوائز المجلس الاعلى للفنون وقد نقل من وزارة التربية الى وزارة الثقافة .

※ صدر في القاهرة الجزء الثاني من كتاب « دراسات في الرواية المصرية » للدكتور علي الراعي بعد ان صدر الجزء الاول منذ شهور .

※ المسابقة الادبية الجديدة للمجمع اللغوي بالقاهرة موضوعها « توفيق البكري : حياته وادبه » وءاخر موعد للاشتراك فيها منتصف مارس 1966 والمسابقة مفتوحة للكتاب في جميع البلاد العربية .

※ ترجم فؤاد اندراوس كتاب « بونابرت في مصر » تاليف كوستوفر هرولد وراجعه الدكتور انيس وستنشره الدار المصرية للتاليف والترجمة .

※ ملحمة « عمر بن الخطاب » اطول ملحمة في تاريخ الادب العربي كتبها علي احمد باكثير . وقد امضى في الاعداد لها وتاليفها عاما كاملا . وتصور هذه الملحمة مراحل عصر عمر ابن الخطاب بجوانبه الاجتماعية والثقافية .

※ صدرت بحلب رواية بعنوان « ثائر من بلدي» لابراهيم المرجاني ، وهي تحكي قصة ثورة العرب في الثلاثينيات من القرن العشرين على السلطات التي سلخت لواء الاسكندرون فمنحته لتركيا .

※ يقوم المعهد الفرنسي بدمشق بنشر كتاب « المعتمد في اصول الفقه » لابي الحسن البصري من القرن الرابع .

※ « رياح كانون » كتاب جديد صدر مؤخرا للكاتب السوري فاضل السباعي .

※ ترددت في الاوساط الادبية انباء عن قرب صدور ديوان جديد للشاعر نزار قباني .

※ اهدى مجلس الشؤون الاسلامية بالعراق الى الكونجرس الاميريكي 14 مكتبة اسلامية تنضم الى المكتبات الرئيسية في الكونجرس . وكان الكونجرس قد طلب الاشتراك في الدوريات والمؤلفات التي يصدرها المجلس . وقد تم ارسال مكتبات كاملة الى الجونجرس .

※ انتهى سلمان هادي الطعمة من تحقيق ديوان خطيب كربلاء الشاعر الشيخ محسن ابو الحب المتوفى عام 1369هـ وسيصدر قريبا .

* صدر فى بغداد كتاب لعبد الرزاق الهلالي عن الشاعر الفقيد باقرالشبيبي. كتب مقدمته الشيخ محمد رضا الشبيبي رئيس المجمع العلمي العراقي .

* الباحث العراقي الدكتور علي جواد الطاهر الاستاذ بجامعة الرياض بالسعودية حاليا اعد للطبع « ديوان الطغرائي » و « ابن سلام وطبقات الشعراء » و « محمود احمد السيد » رائد القصة الحديثة فى العراق » و « فى القصص العراقي المعاصر » كما سيعيد طبع كتابه « الشعر العربي فى العصر السلجوقي » .

* صدرت حديثا مجموعةشعرية للشاعر العراقي بلند الحيدري بعنوان « خطوات فى الغربة » .

* كتاب « المواسم الادبية عند العرب » لعبد الحميد العلوجي صدر فى سلسلة الثقافة العامة التي تصدرها وزارة الارشاد العراقية .

* وافق المجمع العلمي العراقي على تقديم المساعدة لطبع ديوان السيد عبد الرزاق الهاشمي ، تحقيق الاستاذ عبد الله الجبوري .

* صدر فى النجف الاشرف الجزء الاول من كتاب « معارف الرجال فى تراجم العلماء والادباء » لمؤلفه حجة الاسلام والمسلمين المرحوم الشيخ محمد حرز الدين ، وقد علق عليه حفيده الناشر محمد حسين حرز الدين .

ويضم هذا الجزء « 196 » ترجمة وافية لمن بدأ اسمهم بحرف « أ » حتى حرف « ظ » ويبدأ الجزء الثاني بترجمة من اسمه عبد الله . وقد نهج المؤلف فى ترجمته للاشخاص نهج التحليل فذكر ترجمة الشخص « تاريخ ولادته ووفاته » ثم اساتذته ومؤلفاته واجازاته ونماذج من ادبه .

* الاستاذ المختار نويرات رئيس البعثة الثقافية الجزائرية التي زارت العراق يعد الان اطروحة يتناول فيها شعراء الشيعة فى العراق ، فى القرنين الرابع والخامس للهجرة وقد اتصل ببعض اعلام الفكر والادب لاستكمال دراسة بعض الجوانب من اطروحته .

* الاستاذ ناجي معروف اصدر الكتاب السادس عشر من مؤلفاته فى التاريخ . الكتاب يتناول عروبة المدن الاسلامية ويبرهن على ان العرب انشاوا نحو 250 مدينة فى مختلف العهود الاسلامية .

* الدكتور صالح العلي عميد معهد الدراسات الاسلامية فى جامعة بغداد انتهى من تحقيق كتاب « جزيرة العرب » للاصمعي . وسيصدر بمساعدة المجمع العلمي العراقي .

* سيترجم المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالعراق كتابا « فى الايمان والاسلام » الى اللغتين الانجليزية والفرنسية ويوزعه فى قارتي اسيا وافريقيا الكتاب من تاليف احمد حسين

* صدر كتاب عن : اعلام الموسيقى والغناء العربي فى المائة سنة الماضية وضعه فكري بطرس .

* صدر مؤخرا الجزء الثاني من كتاب « الصلة بين التصوف والتشيع » وهي الرسالة الجامعية التي الفها الدكتور كامل مصطفى السيبي دكتوراه فى الفلسفة من جامعة كمبردج وليسانس فى اللغة العربية من جامعة الاسكندرية ، ومدرس الفلسفة الاسلامية فى جامعة بغداد « كلية الاداب » وقد ساعدت جامعة بغداد على نشره .

وهذا الجزء يبحث فى التصوف ومقومات الامامة فى الولاية الصوفية والنظم والتقاليد الصوفية وصلتها بالتشيع . وقد ضم هذا الجزء المراجع المخطوطة والمطبوعة وفهارس الاعلام والمواضيع والفرق والجماعات والمصطلحات والايات والاحاديث والاشعار واخيرا فهرس الموضوعات

* يجري الان طبع دراسة عن الشاعر العربي عنترة العبسي ، بقلم الاديب الاردني المعروف يعقوب العودات المشهور بالبدوي الملثم ، وقد كتب مقدمة طويلة للكتاب الاستاذ محمد عبد الغني حسن .

* انعقد اخيرا فى القدس مؤتمر المراة الفلسطينية واهتم المؤتمر بدراسة الموضوعات الاتية :

1 ـ الصهيونية حركة استعمارية عدوانية .

2 ـ دور المراة فى الدعاية والتوعية الوطنية .

3 ـ موارد الوطن العربي كسلاح فى معركة التحرير .

4 ـ عيوب المجتمع العربي التقليدي

5 ـ دور المراة الفلسطينية فى التنظم الشعبي .

6 ـ واشترك فى هذه المؤتمرات ممثلات من الاردن ، وقطاع غزة ، وسوريا ، ولبنان ، والكويت ، والجمهورية العربية المتحدة .

❋ يتجه اهتمام الهيئات التعليمية فى الباكستان اليوم الى ترغيب الطلاب فى دراسة العلوم . فقامت لجنة حكومية ، عام 1958 ، بدراسة الموضوع ، وقدمت توصيات معينة كان من اثرها ان اصبحت دراسة العلوم الان اجبارية فى جميع المدارس الثانوية . هذا كما انشئت اثنان واربعون مدرسة نموذجية ، تستخدم كذلك لتدريب مدرسي العلوم .

ويقوم مركز اقليمي عام فى كل اقليم من اقليمي الباكستان ، الشرقي والغربي ، باصدار الكتب المدرسية باللغتين البنغالية والاردية ، وكتب اخرى فى مختلف المناهج العلمية .

وتتلقى المدارس الخاصة والعامة فى الباكستان مساعدات لانشاء المعامل وشراء المعدات العلمية وسيكون فى الباكستان ، منذ الان الى نهاية عام 1965 18 مدرسة عادية مقابل 12 فى عام 1962 ؛ كما تنظم بالاضافة الى ذلك برامج خاصة فى عشر جامعات باكستانية .

هذا ما يقرره السيد ترافيس ، مفتش التعليم الاسترالي الذي اوفدته اليونيسكو الى الباكستان كمستشار للحكومة فى ميدان تدريس العلوم . وقد نشر الاستاذ ترافيس مقالا فى مجلة المعلومات ، التي تصدرها الشعبة القومية الاسترالية باليونسكو ، ابرز فيه ذلك الطابع الثوري فى هذا التوجيه الجديد . لقد ارتفعت مخصصات التعليم فى ميزانية الباكستان من 3 ٪ عام 51 ـ 1952 الى 6ر9 ٪ فى ميزانية 62ـ1963 .

❋ اختتم المؤتمر الدولي الثالث والثلاثون لاندية القلم اجتماعاته التي استغرقت اسبوعا فى يوغسلافيا باتخاذ قرار بالاجماع فيه المندوبون على اضطهاد الكتاب والادباء فى البرتغال .

❋ اصدرت اليونسكو دليلا جديدا بمثابة مرجع يحتوي على معلومات عن اكثر من 3500 منظمة علمية دولية تقوم اليونسكو برعايتها فى مجال التعليم والعلوم والثقافة والاعلام .

وهذا الدليل موضوع لخدمة المنظمات الدولية والمصالح الحكومية والمؤسسات التعليمية وكل الهيئات والافراد المهتمين ببرامج المبادلات بين مختلف البلاد والمناطق . وينقسم هذا الدليل على ثلاثة اقسام . يتالف القسم الاول من خمس مقالات تمهيدية تتناول المسائل التي تصدى لها الدليل : « الديبلوماسية الثقافية » «دور وسائل الاعلام» «الاتفاقيات الثقافية» « التعليم » « دور المنظمات غير الحكومية » .

اما التعليم الثاني فيحتوي على معلومات عن منظمات الامم المتحدة ، والمنظمات الحكومية وغير الحكومية . واخيرا قائمة بالاتفاقيات المتعددة الاطراف الموقعة بين الدول .

اما القسم الثالث ، وهو اهم الاقسام جميعا فيستعرض شون المنظمات وجوه النشاط والعمل فى 126 دولة . وتنقسم هذه كلها الى فصول حسب البلاد بينما قسمت الفصول الى ثلاثة اجزاء هي السكان واللغة والعملة والطلاب الاجانب ، ومنح الدراسة ، ووسائل الاتصال والاتفاقيات المتعددة الاطراف او الثنائية التي تربط بها البلاد .

❋ تتعرض الكتب الخليعة فى فرنسا لموجة من العداء الحاد من جانب الحكومة الفرنسية .

❋ نظم معهد التعليم التابع لمنظمة الاونروا واليونسكو فى بيروت هذا العام ، برامج دراسية يلتحق بها المدرسون العاملون فى مدارس ابناء اللاجئين العرب فى الاردن ولبنان وسوريا وقطاع غزة . وبدات سلسلة من الدفعات تتابع الدروس منذ شهر ابريل ، وكان عدد المدرسين فى هذه الدفعات 800 مدرس .

ويتم التدريس فى هذا البرنامج بنظام المراسلة بينما يقوم اساتذة المعهد بزيارات منتظمة الى المدارس لتزويد المدرسين فيها بالراي والمشورة اثناء متابعة الدروس .

ومما يذكر هنا ، ان هذا المعهد تم انشاؤه فى بيروت فى العام الماضي بفضل المعونة المالية التي قدمتها الحكومة السورية .

※ توفى فى لندن الاديب الروماني الكبير مائيلا جيكا عن عمر يناهز الثالثة والثمانين مخلفا وراءه مؤلفات فى علم الجمال .

※ افتتح فى اول غشت الماضي مؤتمر للمسلمين فى لندن .

※ كشف الحجارون وهم ينسفون فى محجر على بعد ميل من مدينة اشبونة كهفا فحصه علماء الاثار فوجدوا على جدرانه الصخرية صورا من ابدع ما خلفه الانسان الذي عاش فى العصر الحجري القديم المعروف بالباليوليثي وقدروا عمر الكهف ما بين 15000 و20 000 عاما مضت . ولكنه اقرب الى العشرين الف وتشتمل الصور المكتشفة فى هذا الكهف على طبيعة ساحرة وصور حيوانات شتى ، ومن بينها صور للمواشي . وفى رأيهم ان الكهف كان فى اول مرة مقاما مقدسا ثم تحول الى مقبرة .

※ اصدرت دار الطبع والنشر للشبيبة فى موسكو ، كتابا جديدا بعنوان : « الانسان العاقل » الفه فلاد ميركيلر . حلل فى هذا الكتاب منجزات العلم التي يعتقد الكاتب انها ستصبح حقيقة واقعة فى الحياة البشرية خلال الاربعين سنة القادمة .

ويعتقد فلاميركيلر ان الانسان سيتمكن ، خلال هذه السنوات من بناء اول مدينة فوق سطح القمر ، كما سيتغلب على مرض السرطان ، وسيكتشف مصدرا للطاقة لا ينضب .